الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة وهران
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم اللغة العربية موسومة:

الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري

إعداد الطالبة: بوعناني سعاد آمنة

إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد عزوز

لجنة المناقشة:

رئيسا	بكري عبد الكريم	أستاذ	جامعة وهران
مقررا	عزوز أحمد	أستاذ	جامعة وهران
مناقشا	بوروبة المهدي	أستاذ	جامعة تلمسان
مناقشا	عمار ساسي	أستاذ	جامعة البليدة
مناقشا	بسناسي سعاد	أستاذة محاضرة-أ-	جامعة وهران
مناقشا	طيبي أمينة	أستاذة محاضرة-أ-	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية : 2010- 2011

الإهداء

•إلى قرة العين حبيبي وسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

•إلى تقاسيم وجه خطها الزمان بالفرح والألم، تدعو في جوف الليل، وتقول رباه

إلى والدي

•إلى ثغور باسمة ضاحكة تهفو كل صباح تقول أماه

إلى أولادي، محمد وسليمان ويونس

إلى يد تحظى بحفظ الرحمن ترعى الأمانة من لفح الزمن وحر الأيام.

إلى زوجي

شـــكر وتقدير

أقدر في هذا المقام وأشكر أساتذتي الأفاضل على تقديم يد العون، لإخراج هذا العمل في أفضل صورة له، والشكر الأخص للأستاذ المشرف أ.د أحمد عزوز الذي تحمل مشقة قراءة العمل، وتصحيحه، وتوجيهه، والوقوف على هناته وسقطاته، ولا يفوتني تقدير أ.د مكي درار صاحب فكرة عنوان البحث، وأستاذي الفاضل أ.دالمهدي بوروبة الذي أعانني على تصور خطة العمل وأمدني بجل المصادر المعتمدة في هذا البحث وبخاصة تلك المتعلقة بعلماء التجويد، ولا يفوتني تقديم الشكر لأستاذي أ.د بوعناني الذي فتح لي مكتبته كلما احتجت لذلك، ولكل من أعانني بالقليل أو الكثير لهم مني جزيل الشكر والامتنان.

المقدمة

يعد البحث في مجال الدراسات الصوتية شائكا، وهو في الآن ذاته شيق يتطلب فضلا عن تملك أدوات البحث قدرا كبيرا من الدقة في تتبع الظواهر واستخلاص النتائج، وهذا من صميم طبيعة العمل الصوتي، وهو الميدان الذي قطع أشواطا في مجال البحث والدراسة، فأصبح قاب قوسين أو أدنى من العلوم التجريبية. ما جعله من أكثر الميادين اتصالا بالفيزياء والتشريح والطبيعيات وغيرها.

وغاية البحث في جهود علماء القرن الخامس للهجرة هي الكشف عن إسهامات بعضهم في الدرس الصوتي. وقد شهد هذا القرن ظهور علماء برزوا في تخصصات عدة، كما نضجت فيه علوم مختلفة، وعلى يد بعض علمائها ولدت علوم أخرى، ومن أمثال هؤلاء الباقلاني(ت 403هـ) في إعجاز القرآن، وابن سينا (ت 427هـ) في الطب والموسيقى والفلسفة وعلم الأصوات والقيسي(ت 437هـ) والداني(ت 444هـ) والقرطبي(ت 461هـ) في علوم التجويد، وابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، وعبد القاهرالجرجاني (ت 471هـ) في البلاغة.

وبالنظر لهذا الزخم العلمي والفكري الذي طبع القرن الخامس للهجرة، يعد العمل حول ما قدمه علماء هذا القرن للوهلة الأولى سلسا وسهلا، لما يفترض من وجود مادة غزيرة ومتنوعة، لكن تجربة البحث كانت غير ذلك تماما، فأول عقبات البحث تمثلت في ندرة المصادر وصعوبة الحصول عليها، كمؤلفات ابن سينا (ت 427هـ) وفي مقدمتها كتاب الشفاء والقانون في الطب، وكتب القيسي التي كاد اليأس أن يتملكني وأنا أبحث عنها وفي مقدمتها كتاب الرعاية.

وقد كان إسهام ابن سينا (ت 427هـ) في الدرس الصوتي أساس هذا البحث لأن ما قدمه يحتاج لأكثر من بحث أكاديمي متخصص. فقد استطاع بموسوعيته أن يخوض في

الحديث عن الصوت الطبيعي والصوت اللغوي بمختلف مستوياته، بدءا من الطبيعة وأصواتها، إلى الصوت البشري المنطوق، وصولا إلى التركيب في الخطابة والشعر.

أمام هذا ورغم صعوبة القالب والإطار لمؤلفات ابن سينا (ت 427هـ)، وبخاصة المصطلحات، فإني لم أستطع مقاومة الفكر المتنوع الأخاديد في عمله، من فلسفة وغيبيات ومنطق، ومن فزياء واستقصاء وتجريب، لذا عملت جاهدة على ألا أتجاوز ما توصل إليه، فكانت له حصة الأسد في هذا البحث، خاصة وأن نتائج أعماله سبقت عصره بكثير.

وإلى جانب ابن سينا (ت 427هـ) كان هناك علماء التجويد الذين درسوا الأصوات العربية برؤى مختلفة، فكانت نتائج أعمالهم مستحدثة وقريبة إن لم نقل مطابقة لما جاءت به الدراسات الصوتية الحديثة، رغم اعتمادهم على وصف السماع وكيفية النطق.

والجدير بالملاحظة أن نتائج أعمال علماء القرن الخامس للهجرة لم تكن مكررة لأنها امتازت بالتخصص دون الموسوعية التي طبعت القرون السابقة. فأعمال البلاغيين غير أعمال الأطباء الفلاسفة، وغير أعمال المجودين. وهذا ما جعل الموازنة والمقاربة لأعمالهم ونتائجها صعبة، مما حدا بالبحث إلى السير في عدة مراحل منه في شكل خطوط متوازية غير قابلة للتقاطع. فقد اقتربت أعمال ابن سينا (ت 427هـ) مثلا من الفزياء والطب والفلك والطبيعيات عموما. وامتازت أعمال علماء التجويد بدراسة الجوانب التطبيقية كنطق الصوت وحسن إخراجه، وتميز عمل البلاغيين بتركيب الأصوات وتناغمها وتجانسها داخل المقاطع والتراكيب، ولو أن تآليف ابن سينا (ت 427هـ) وغيره لم تكن تخلو هي أيضا من بعض هذه الجوانب.

واستعنا في هذا البحث بالمنهج الوصفي في سرد الحقائق العلمية عند علماء الفترة المعنية، وكذا بالمنهج المقارن حيث عمدت إلى عرض جهود علماء القرن الخامس للهجرة على من سبقهم وعلى من أتى بعدهم من المحدثين. ولم يخل البحث من المنهج التاريخي خاصة في تتبع مراحل تطور الدرس الصوتي.

يبقى هذا البحث تكملة لمجموعة من البحوث التي تحدثت عن الدراسات الصوتية العربية عند اللغويين والفلاسفة في القرون الأولى بداية من القرن الأول إلى غاية القرن الرابع الهجري. ولاحظنا أن أعمال علماء القرن الخامس للهجرة بقيت غائبة عن ساحة البحث خاصة تلك المتعلقة بابن سينا.

ولأجل مقاربة موضوع الصوت مقاربة علمية، قسمنا العمل إلى خمسة فصول وتمهيد. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هذه الخطة قد أملتها المادة التي توافرت لدينا، والتي على أساسها بنيت دراسة ومقارنة أعمال علماء القرن الخامس للهجرة، فجاءت خطة البحث كالآتي:

تضمن التمهيد إرهاصات الدرس الصوتي العربي مؤرخا لظهور اللحن ومدونا لبداية الاهتمام بالدراسة اللغوية من نحو وصرف وصوت في كتب اللغويين الأوائل، وركزت على الخليل(ت 175هـ) بوصفه أول من صنف معجما على أساس صوتي تضمن مخارج الحروف وصفاتها. كما تعرض التمهيد لتطور الدراسة الصوتية التي جاءت نتيجة لحاجة الناطقين إليها.

أما الفصل الأول فخصص للتعريف بالصوت الطبيعي واللغوي، وتعرض لمفهوم الصوت وماهيته، وأهم العوامل المؤثرة فيه، وابن سينا (ت 427هـ) من الذين خاضوا في ذلك بمرجعية فلسفية وفيزيائية لم نجدها عند كثير من معاصريه. ومن الصوت انتقلنا إلى القراءة ومفهومها اللغوي والاصطلاحي عند علماء التجويد وما ترتب عنه من مصطلحات كالترتيل والتجويد وغيرها. وختمنا الفصل الأول بصفات القراءة الصحيحة.

وخصصنا الفصل الثاني لجهاز النطق، فتناولنا فيه أنواع الأعضاء اللازمة لإصدار الصوت والتقاطه. وكان لابن سينا (ت 427هـ) وآرائه القسم الأوفى، بحكم

تخصصه الطبي، ودقته العلمية في التشريح والوصف. ثم عرجنا على مصدر الصوت، محاولين الإجابة عن كيف ينشأ ويولد وينتج؟، ثم كيف يصل إلى الأذن؟. وكان هنا الحديث عن جهاز السمع أو ما يعرف بالأذن، وقد اصطلحنا عليه بـ "لاقط الصوت" انطلاقا من وظيفته. وبين إنتاج الصوت وسماعه، مرحلة انتقال الصوت وكيفية حدوث ذلك، وهي مرحلة مهمة تمثل همزة الوصل بين الناطق والسامع، وتحتاج إلى شروط جلية وجب توافرها ليتم التواصل بين المتحدث والمستمع.

وختمنا هذا الفصل بذكر معوقات التواصل انطلاقا من عيوب النطق والسمع، فحصرنا أهمها، وبينا أسباب ذلك، وتوصلنا إلى أن جلها تم ذكره في كتب الأوائل، وكانت العرب قد حصرت ذلك إما في عيوب نطق أو في عادات نطقية قد تصل إلى حد نعتها باللهجات.

أما الفصل الثالث والرابع فهما من الأهمية بمكان من حيث المادة والغاية، إذ خصص الفصل الثالث لمخارج الأصوات والرابع لصفاتها. وكان عمل ابن سينا (ت 427هـ) في هذا مميزا ومختلفا من حيث العرض والشرح أيضا، فكان دقيقا في استعمال المصطلح لدرجة إدراجه لمصطلحات جديدة وخاصة به، لم يسبقه إليها أحد من قبل، كما استنجد بأصوات من الطبيعة و بأصوات غير لغوية لكنها دالة على معنى معين للتدليل على صوت لغوي سواء لشرح صفاته أم الوقوف على مخرجه.

أما البلاغيون وعلماء التجويد فقد نهجوا في تحديد مخارج الحروف وصفاتها نهج اللغويين الأوائل كالخليل(ت 175هـ) وسيبويه(ت 180هـ)، إلا أنهم ذهبوا في الحديث عنها مذهبا يلائم رؤى علوم البلاغة والإعجاز، وعلوم القراءة والتجويد، فجاءت الاستنتاجات أكثر دقة. ونجح هؤلاء في رسم معالم علوم لم يضف إليها من جاء بعدهم الكثير.

ويتناول الفصل الخامس الصوت وتغيراته الطارئة بين الإفراد والـتركيب، فتوقفنـا عند التبدلات النطقية للصوت الواحد، وقد خص ابن سينا (ت 427هـ) هذا بفصل كامل في رسالته أسباب حدوث الحروف، فذكر أصواتا عربية كالكـاف والجيـم والسـين، والـتي تنتقل إلى ما يقابلها أو يشابهها من أصوات لغات أخرى كالفارسـية والتركيـة، إمـا بإغفال صفات فيها أو تحويل نقاط إخراجها، وأوعـز ابـن سينا (ت 427هـ) ذلـك إلـى الانـدماج الحاصل في حاضرة المسلمين بين العرب وغيرهم من الأجناس الأخرى. كما توصل إلـى أن الحرف العربي الواحد أصبحت له عدة صور نطقية فـي حيـن تبقـى لـه صـورة خطيـة واحدة يعرف بها. وشدد على ضرورة التمييز بين النطق العربـي القح والـدخيل بإرجـاعه إلى لغته الأصل.

ثم انتقلنا إلى المقاطع وأنواعها، وقد توسع فيها ابـن سينا (ت 427هـ)، فحصـرناها في خمس ـ وهو ما توصل إليه علم اللغـة الحـديث ـ، ففصـل فيهـا وربطهـا بعلـوم سماها فنونا، كفن الخطابة وفن الشعر والموسيقى.

وختمنا الحديث في هذا الفصـل عـن النبـر والتنغيـم،- لصـلته بالمقـاطع-، فوضـحنا رؤى ابن سينا (ت 427هـ) الذي ربـط ذلـك كلـه بالمقـاطع، ثـم بفـن الإلقـاء الشـفهي، كمـا عرضنا آراء بقية العلماء كعلماء التجويد، وقارنا ذلك كلـه بمـا وصـل إليـه المحـدثون فـي بحوثهم.

ولقد حرصنا في الختام كل الحـرص علـى العـودة إلـى المصـادر ـ وإن استعصـى علينا ذلك أحيانا ـ، فحاولنا جاهدين استخلاص النتـائج ومقارنتهـا بمـا توصـلت إليـه علـوم الأصوات الحديثـة، ومـا قـدمه علمـاء اللغـة الأوائل، فكـان التنـوع واضـحا فـي المصـادر والمراجـع المعتمـدة فـي هـذا البحـث، كالقـانون، والشـفاء لابـن سـينا، والرعايـة للقيسـي، والتحديـد للـداني، والموضـح للقرطـبي، والكتـاب لسـيبويه، والعيـن للخليـل، والمقتضـب للمبرد، والخصـائص وسر صـناعة الإعـراب لابـن جنـي(ت 392هـ)،... هـذا مـن جـانب

المصـادر، ومـن المراجـع، نجـد مثلا، مناهـج البحـث لتمـام حسـان، والأصـوات اللغويـة لإبراهيم أنيس، والمصطلح الصوتي لعبد العزيز الصيغ، والدراسـة الصـوتية عنـد علمـاء التجويد لغانم قدوري الحمد...كما استعنا بالدراسات الأكاديمية في هذا المجـال مـن رسـائل ماجستير كرسالة الصوت والدلالة في خطـاب البشـير الإبراهيمـي: عيـون البصـائر نموذجـا لأحمـد عزوز، والحروف العربية وتبـدلاتها الصـوتية فـي كتـاب سـيبويه لمكـي درار، وأطروحـة الدكتوراه المعنونة بـ ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغـويين العـرب حتـى نهايـة القـرن الثـالث الهجري.

تمهيد

إرهاصات الدرس الصوتي العربي

يتم إدراك قيمة الصوت في الحياة، وفضله في مجال التّواصل الإنساني، من خلال التمعن في دوره الحيوي في حياة كل فرد منا، إذ يجعله ابن جني(392هـ) مطابقا للغة حين يقول: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ».[1] فبنظرة متأنية في مقولته ندرك أنه قد عرف الصوت من خلال اللغة وليس العكس.

فالصوت لغة قبل أن تكون اللغة أصواتا، كالمولود يستهل الحياة صارخا مصوتا، مؤذنا بدخوله الحياة الدنيا، فجعل علماء الفقه ذلك كافيا ليرث ويورث، ويبقى المولود على ذلك حينا من الدهر وهو يعبر عن أغراضه الحياتية من رغبة في الأكل والتغيير واللعب بالصراخ المتنوع النغمات، فطلبه للأكل ليس هو الصوت نفسه حين يحب أن يكون مدار اهتمام الأبوين والمحيطين به، كل ذلك يؤكده عدم ظهور الدموع في عينيه حتى يمضي على ذلك أشهر من عمره فيصل إلى مرحلة المناغاة و يحاول فيها تحوير الصراخ إلى نغمات نطقية يسعى بها إلى محاكاة الأصوات اللغوية المسموعة.

ويشكل الصّوت المادة الأولى في تشكيل اللغات، ويجمع الدّارسون على أنّه يمثّل المستوى الأوّل من مستويات الدّرس اللّغوي، وله تأثير جلّي على المستويات الدراسية الأخرى. وقد تنبّه العرب قديماً لقيمة الصّوت وأهميّته في مجال التّواصل من توصيل للأفكار، وتنبيه للأحوال، واستطلاع للهيئات.

وقد أدرك المحدثون من الغربيين ذلك، ومن بينهم غليسن Gleason في "مدخل إلى اللسانيات". يقول: »عندما نسمع شخصاً يتحدث بلغتنا، فإننا لا نسمع ما يقول فحسب، وإنما نعلم أشياء أخرى عن المتحدث نفسه؛ فإذا كان لنا سابق معرفة به

[1] - الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني تحق، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1/33.

فإننا سنتعرف عليه، وإن لم تسبق لنا معرفته فإننا سندرك ما إذا كان رجلا أو امرأة، وقد نعرف سنه ومستواه التّعليمي ووسطه الاجتماعي«.[1]

أما الدّراسة الصّوتية العربيّة فقد انطلقت مع بداية الدّرس اللّغوي عامة، والعناية به، والتّنبه له كان قبل النّحو وعلومه. وكان من بواعث هذا الاهتمام ظاهرة اللحن الذي يعد أحد الأسباب الأساسيّة في الدّرس الصّوتي العربيّ.

وقد جاء في لسان العرب أن للحن معان أهمها أنه «من الأصوات المصوغة الموضوعة وجمعه ألحان، ولحن ولحّن في قراءته إذا غرد وطرب فيها بألحان... وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء».[2]

وأنه بمعنى الفطنة أيضا إذ ورد « لحن الرجل فهو لحن إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره».[3] وجاء أيضا في معاني اللحن كونه«... ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك... وألحن في كلامه أي أخطأ»،[4] وهذا هو المعنى المراد.

وقد انتبه العرب لوجود اللّحن قبل الإسلام، لأنهم ألفوا بعض الموالي الّذين عاشوا بينهم ولم يتقنوا نطق أصواتهم، وهذا لافتقار لّغتهم الأصليّة لأصوات اللّغة العربيّة، ثم لصعوبة إخراجها والإلمام بصفاتها. وبانتشار الإسلام ودخول الأعاجم في هذا الدّين الجديد زاد انتشار اللّحن الصّوتي.

---

[1] -voir H. A. Gleason, Introduction à la linguistique, Librairie Larousse, Paris 1969, p12 : « Quand nous écoutons une personne qui parle notre langue, non seulement nous entendons ce qui est dit, mais nous apprenons également d'autres choses sur le locuteur lui-même ; si nous le connaissions auparavant, nous le reconnaissons ; si nous ne le connaissions pas, nous l'identifions comme homme ou femme, et nous pouvons peut-être nous faire une idée de son âge, de son éducation et de son milieu social ».

[2] - لسان العرب 17/263، ، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة مصورة عن طبعة بولاق مع تصويبات وفهارس متنوعة. المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة 2/361

[3] - لسان العرب 17/263

[4] - لسان العرب 17/263

وباتساع رقعة الدّولة الإسلاميّة زاد الخطر على أهل اللّغة من أن يفقدوا جبلّتهم في النّطق بالعربيّة واستعمالها، فقد ورد في النهاية: »كان اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل، ولا يتطرق إليه الزلل إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم...فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن«.[1]

وقد تعرّض الدّارسون قديما وحديثا لمشكل اللّحن وخطره على الصّوت العربي، ومن بينهم الجاحظ (255هـ) في كتابه "البيان والتبيين" الذي جاء فيه ما يأتي: »قال مسلم بن سلام: حدثني أبان بن عثمان قال: كان زياد النّبطي شديد اللكنة، وكان نحويا. قال: وكان بخيلا، ودعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال: فمن لدن دأوتك إلى أن قلت لبّى ما كنت تصنأ ؟ يريد: من لدن دعوتك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع«.[2] وقال أبو الحسن:» أهدي إلى مولى زياد حمار وحش، فقال لزياد: أهدوا لنا همار وهش، قال: أي شيء تقول ويلك، قال: أهدوا إلينا أيرا- يريد عيرا- قال زياد: الثاني شر من الأول«.[3]

واللحن مستنكر عند العرب، إذ ينتقص من فصاحتهم، يقول عبد الملك بن مروان:» اللحن هجنة على الشريف، والعجب آفة الرأي«.[4]

لقد توصل الجاحظ في دراسته إلى حقيقة صوتية مفادها أن العادات النّطقية إذا تمكنت من اللسان يصعب التخلص منها، فهو يقول في هذا الشأن: »السّندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام في عليا تميم أوفي سفلى قيس أو بين عجز هوازن خمسين عاما«.[5] وهذا ما خلص إليه علماء اللغة المحدثون إذ يرى بعضهم أن « القليل من الناس فقط يمكنهم أن يضيفوا، أو ينقصوا، أو يغيروا من

[1] - النهاية في غريب الحديث والأثر محي الدين بن الأثير، تحق طاهر أحمد زاوي ومحمود الطناجي، ط 1، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، 1963، 1/5

[2] - البيان والتبيين، أبو عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 5 ، 1405/1985، 2/213.

[3] - البيان والتبيين، 2/213

[4] - ، البيان والتبيين 2/ 216

[5] - البيان والتبيين ،2/ 213.

أنماطهم النطقية الأساسية بعد اجتيازهم مرحلة المراهقة اللهم إلا إذا كانوا بصدد تعلم لغة ثانية».[1]

فالعلم إذا بوجود اللحن كان معلوما عند العرب، ولم يخش منه إلا حين أصبح وجوده مرتبطا بقراءة القرآن الذي نزل بلغات العرب المتعددة، والتي كانت دافعا آخر في نشأة علم الأصوات وظهور الدرس الصوتي مبكرا.

وبانتشار اللحن ظهر علماء يحملون على عاتقهم حماية كتاب الله من التحريف والضياع، وحماية اللغة مما قد يفسد سليقتها، خاصة وأنها لغة معربة تحمل معانيها في تغير حركاتها، والتي قد تصل للتضاد، وما تطالعنا به المصادر اللغوية من روايات عن اللحن في اللغة والقرآن دليل على ذلك.

وظلت اللغة العربية مخزنا لعلوم جمة بقيت كامنة، ولم يتم توهجها إلا بانتشار اللحن، ويذكر عبد الجليل عبد الرحيم أن تأخر اكتشاف الإعراب لا يدل على فقدانه وإنما «...كان سليقة لهم في الكلام فطروا عليها ونشؤوا بها وجاء القرآن متفشيا على هذه الفطرة».[2] إذ أنّ العلم كان موجوداً لكن ظهوره ارتبط باللّحن في قراءة القرآن.

ويمكن أن يكون الدرس الصوتي قد بدأ مع بقية العلوم اللغويّة الأخرى خاصة النحو، والفصل بينها لم يكن ظاهرا إلى غاية القرون المتأخرة إذ نجد أمهات ومصادر اللغة الأولى تجمع بين دفتيها علوم اللغة كلها وأولها كتاب سيبويه(ت 180هـ).

[1] - « Peu de gens, sauf s'ils apprennent une seconde langue, ajoutent, soustraient ou changent quoique ce soit à leurs schèmes fondamentaux une fois qu'ils ont passé l'adolescence ».
Introduction à la Linguistique, par H.A Gleason, p 11

[2] - لغة القرآن الكريم ، د.عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط 1، 1401 هـ ص 238.

فهذاّ أبو الأسود الدّؤلي (ت 69 هـ) كان أوّل من استعان بالشّفاه في نقط المصحف الشّريف، إذ قال لكاتبه: » إذا رأيتني لفظت بالحرف، فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد كسرت شفتي فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين».[1]

وعلى بساطة هذه المقالة إلاّ أنّها تحمل بدايات نشوء المصطلح اللغوي واستقراره، وأنّ أصل المصطلح الصوتي ماديّ أكثر من كونه عقليا أو تجريديا، ممّا لا يفتح مجالا للتشكيك في جهود الأوائل في صنع وبناء الدراسة الصوتية ؛وهذا خلاف ما حدث مع الدراسات النحوية حين حاول بعض العلماء إثارة الجدل حول أصولها التي تعود على زعمهم إلى جهود الهنود أو اليونان.[2]

ويأتي بعد أبي الأسود نصر بن عاصم (ت 98 هـ) ويرتب الحروف العربية وينقّطها، ويقدّم للمسلمين عامة عملاً جليلاً، يبعدهم عن اللّبس في قراءة الحروف. وتتجلّى أهميّة عمله في الجمع بين الصوت وصورة الحرف ؛ فأعجم المصحف ومن ثمّ تمّ تعويض نقط أبي الأسود الدّؤلي بصور صغيرة للحرف، فكانت الضّمة واواً صغيرة، والكسرة ياءً صغيرة، والفتحة ألفاً صغيرةً. وينسب هذا العمل أيضا للخليل بن أحمد(175هـ) الذي جعل لحركات الحروف صورا من حروف المد المعروفة.[3]

ويعد الخليل(ت 175هـ) بن أحمد الفراهيدي من أبرز علماء القرن الثاني للهجرة الذين قدموا أعمالا قيمةً في مجال الدراسات اللغوية، لعل أهمها تحديد أوزان الشعر وبحوره من جهة، وتصنيف معجم العين الذي حاول فيه استيفاء كلام العرب. واتسم الخليل بن أحمد (ت 175هـ) بالتفكير المنظم والمنطق »فهو الذي بسّط النحو

[1] - المحكم في نقط المصاحف أبو عمرو الداني(ت 444هـ)، تحق عزة حسن، مط دمشق 1960، ص 13. ويراجع الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، 1/93. وقد ورد النص فيه برواية أخرى وهي:« إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فأنقط بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت».

[2] - ينظر ضحى الإسلام، أحمد أمين، ،ط 3، القاهرة، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، (1371هـ - 1952م)، 2/293

[3] - ينظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ط 1، 1965، مط دار المعارف، ص 266

ومد أطنابه، وسبب علله، وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه حتّى بلغ أقصى حدوده. ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفاً أو يرسم منه رسماً..«.[1] فقد كان لآرائه الأثر البارز في من جاء بعده، فقد رتّب حروف معجمه العين على أساس صوتي.

ولعل أسباب ذلك كثيرة، ومن أرجحها إدراكه للصوت وقيمته وتأثيره في بقية الأصوات المجاورة له، مما دفعه إلى الابتعاد عن الترتيب الألفبائي.

ويحدد الخليل بن أحمد (ت 175هـ) عدد الحروف العربية بتسعة وعشرين حرفا، جامعا بين الحروف الصحيحة، واللينة وفي ذلك يقول :» في العربية تسعة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج، وأربعة هوائية، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة«.[2] وليس المهم عدد الحروف وطبيعتها الواردة في النص بقدر أهمية المصطلحات الواردة فيه، لأن الخليل(ت 175هـ) استعمل مجموعة من المصطلحات تبدو لأول وهلة متداخلة ومترادفة مثل أحياز ومخارج، ولكنها في الواقع دقيقة دقة واضعها، وفي هذا الصدد وجد بعض الدارسين غموضا يحيط بها: »... وبعد أبي الأسود تتضح مخارج الحروف وتتنوع أكثر عند الخليل(ت 175هـ) في شيء من غموض المصطلح وترادف الألفاظ«.[3] فقد استعمل الخليل(ت 175هـ):

1-المبدأ[4]

2-المخرج[5]

3-المدرج[6]

4-الحيز[7]

ولكل مصطلح تحديد خاص به أثناء الاستعمال فالخليل(ت 175هـ):»... يوظف مصطلحي المخرج والمدرج في التعبير عن موضع حدوث الصوت. ويفهم من حديثه

[1] - ضحى الإسلام، أحمد أمين، 2/270

[2] - العين، الخليل(ت 175هـ) بن أحمد الفراهيدي، تحق د.عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد 1386/1967 ، 1/64 .

[3] - الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه(ت 180هـ)، مكي درار، رسالة ماجستير، جامعة وهران، سنة 1984/1985 ص 87.

[4] - ينظر العين 1/65.

[5] - ينظر العين 1/57.

[6] - ينظر العين 1/57.

[7] - ينظر العين 1/64.

أيضا أنه يريد بمخرج الصوت موضع حدوثه مفردا مستقلا. ويريد بالمدرج موضع مجموعة أصوات متقاربة. ويرادف المدرج في معناه عند الخليل(ت 175هـ) الحيز أيضا...«.[1] ويتحدد توزيع الخليل(ت 175هـ) للأصوات العربية على الجهاز النطقي كالآتي:

أ- أصوات الجوف

وتضم الهمزة وحروف اللين وهي الألف والواو والياء، وبذلك يخرجها من الأحياز والمدارج التي وزع عليها بقية الأصوات معلّلا رأيه بقوله:»فأما الهمزة فسميت حرفا هوائيا لأنها تخرج من الجوف...«.[2]

وعلى هذا الأساس جعل الخليل(ت 175هـ) الهمزة والألف والواو والياء في حيز واحد وهو الجوف وقد يتساوى مصطلح الجوف عنده مع أقصى الحلق حين يقول:» وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة«.[3] أما بقية الحروف فتتوزع كما يأتي:

ب –الحلق:

- الحيز الأول: وفيه مخرج العين، والهاء، والحاء

-الحيز الثاني: وفيه مخرج الخاء، والغين. يقول الخليل(ت 175هـ):»فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية، لأن مبدأها من الحلق«.[4] ويقول أيضا:» وأما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق«.[5]

ج -**الفم**: ويضم:

1- اللهاة: وهي حيز لمخرج القاف والكاف، يقول الخليل(ت 175هـ):» والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة«.[6] ويحدد أكثر في قوله:»وأما مخرج الجيم

[1] - الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه(ت 180هـ)، مكي درار ص 89
[2] - العين 1/64
[3] - العين 1/57
[4] - العين 1/57
[5] - العين 1/57
[6] - العين 1/57

والقاف والكاف فمن بين عكدة[1] اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم«.[2] والخليل(ت 175هـ) هنا يجعل الجيم في حيز واحد مع القاف والكاف.

2- شجر الفم: ويسميه الخليل(ت 175هـ):» مفرج الفم«.[3]ويندرج فيه الجيم والشين والضاد. فهو يقول الخليل(ت 175هـ):»والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم«.[4]

3- أسلة: ويحدده بقوله:» مستدق طرف اللسان«.[5] وهذا الحيز يضم الصاد والسين والزاي، يقول الخليل(ت 175هـ):»والصاد والسين والزاء أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان«.[6]

4- نطع الغار الأعلى: ويضم هذا الحيز مخرج الطاء التاء والدال. يقول الخليل(ت 175هـ):» والطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى«.[7]

5- اللثة: ويضم هذا الحيز مخرج الظاء والذال والثاء، يقول الخليل(ت 175هـ): »والظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة«.[8]

6- ذلق اللسان: وهو طرف عند الخليل(ت 175هـ) لقوله: »ولا ينطلق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون«.[9] ويضم هذا الحيز مخرج الراء واللام والنون، يقول الخليل(ت 175هـ):»والراء واللام والنون ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان«.[10]

7- الشفاه: ويضم هذا الحيز مخرج الفاء والباء والميم. وهذه الأصوات شفهية، يقول الخليل(ت 175هـ): »لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصّحاح إلا في هذه الحروف الثلاثة«.[11] ويقول أيضا: »والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة شفهية، لأن مبدأها من الشفة«.[12]

[1] - ورد في لسان العرب »العكدة أصل اللسان و الذنب وعقدته... العكدة أصل اللسان«. لسان العرب 4/292.

[2] - العين 1/57
[3] - العين 1/65
[4] - العين 1/65
[5] - العين 1/65
[6] - العين 1/65
[7] - العين 1/65
[8] - العين 1/65
[9] - العين 1/57
[10] - العين 1/65
[11] - العين 1/57
[12] - العين 1/65

ويتحدث الخليل(ت 175هـ) عن حروف الذلق والشفاه مبينا علة التسمية في حروف الذلق قائلا:» اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة، وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م. وإنما سميت هذه الحروف ذلقا، لأن الذلاقة في المنطق هي بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة: ر، ل، ن،تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف، ب، م، مخرجها من بين الشفتين خاصة«.[1]

وبهذا يكون ترتيب الأصوات عند الخليل(ت 175هـ) كما يأتي: لقوله:» فهذه صورة الحروف التي ألفت منها العربية على الولاء وهي تسعة وعشرون حرفا: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، فهذه الحروف الصحاح، و ا ى ء، فهذه تسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلام العرب«.[2]

واهتمام الخليل(ت 175هـ) بمخارج الأصوات لا يعني أبداً إهماله لصفاتها، لكنه آثر الأولى بالتدقيق والتمحيص لما رأى أن توضيحها يخدم المعجم، لأنه اعتمدها في تنظيم مادته المعجمية، وغايته تمييز كلام العرب لكون بعض الأصوات لا تتجاور في كلام العرب لقرب مخارجها.

لقد حدد الخليل(ت 175هـ) صفات للأصوات. فأما النظرة الأولى فكانت بحسب المخارج، فالمخارج عنده تسعة: الحلقية واللهوية والشجرية والأسلية والنطعية واللّثوية والذلقية والشّفوية والجوفية أو الهوائية. وأما النظرة الثانية فكانت صفات الحروف بحسب الصوت عينه التي كانت قليلة مقارنة بالمخارج، حيث أنه :»...إن صح كل ما في كتاب العين...فإنه لا يعدو أن يكون إشارات عابرة في المخارج وإغفالا لمصطلحات الصفات«.[3] وقد تكون صفة الميم المطبقة أهم صفة صريحة وجدت عند الخليل(ت 175هـ) في كتابه العين لأنها » تطبق الفم إذا نطق بها«.[4] إلى جانب بعض

---

[1] - العين 1/57
[2] - العين، 1/65
[3] - الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه(ت 180هـ)، مكي درار ، ص 229
[4] - العين 1/65

المصطلحات التي استخلصها بعض الدارسين بعد الخليل(ت 175هـ) كلفظ (أنصع ونصاعة)[1] ويقصد بهما الخليل(ت 175هـ) الهمس والجهر، إضافة إلى (الاستعلاء والانخفاض)[2].

قدم الخليل(ت 175هـ) صرحاً معبداً لمن جاء بعده ليواصل العمل في المجال الصوتي، فقد استطاع في معجم العين حصر مفردات اللغة العربية، مستعملها ومهملها من خلال التقليبات في أبنية الحروف، وقاده ذلك إلى تقديم دراسات صوتية وصرفية ومعجمية جادة؛ لما رآه من قصور في الرسائل اللغوية المتخصصة التي لم تف بغرض جمع اللغة مثل رسائل الشجر والنخل والإنسان للغويين متخصصين كالأصمعي (ت 213هـ) وأبي زيد (ت 215هـ) وغيرهما.

كما أدى عمل الخليل(ت 175هـ) إلى ميلاد معجمه العين الذي ضم المصطلحات المؤسسة لعلم الأصوات. ويكفي أنه صاحب الفكرة الطفرة لأنها سبقت عصرها، « فلا الخليل(ت 175هـ) ولا غيره ممن أتى بعده من أصحاب المعاجم استطاعوا أن يجمعوا الألفاظ العربية كلها...».[3]

وبعد الخليل(ت 175هـ) جاء تلميذه سيبويه(ت 180هـ) الذي قدم لنا كتابا جامعا لمختلف علوم اللغة، فضمنه معلومات وأبحاثا هامة في مجال الصوتيات. فقد تحدث عن مخارج الأصوات وجعلها ستة عشر مخرجا[4] تتوزع كالآتي:

أ ـ الصدر

لقد أدرك المحدثون دور الصدر في إنتاج صفة الجهر في الصوت عند سيبويه(ت 180هـ) حيث يقول عبد الصبور شاهين:»...وهنا يبدو سيبويه(ت 180هـ)

[1] - ينظر مقدمة تهذيب اللغة، أبو منصور الزهري، تحق بسام عبد الوهاب الجابي، ط 1، 1985، دار البصائر، دمشق، سوريا، ص 60
[2] - ينظر مقدمة تهذيب اللغة ص 65
[3] - ضحى الإسلام 2/ 271
[4] - الكتاب، سيبويه(ت 180هـ) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحق عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1395هـ - 1975، 4/434

وكأنه يتصور أن بالرئة خاصة عضوية لإنتاج الصوت المجهور، وأن هذه الخاصة العضوية تنشط في هذه الحالة نشاطا يتوقف معه النفس...فلعله استبعد أن تقوم الرئتان بأداء وظيفتين في آن واحد وظيفة التنفس ووظيفة الجهر بالصوت«.[1] وتتضح صورة سيبويه(ت 180هـ) حول دور الصدر في إصدار الأصوات حين يشرح الاعتماد الذي يراه في نقطتين من جهاز التصويت،» وتزداد فكرة الاعتماد وضوحا لدى سيبويه(ت 180هـ) حين نجده يجعل له مركزين في الصدر والفم«.[2]

ب ـ الحلق: « فللحلق منها ثلاثة»[3] مخارج:

1 ـ أقصى الحلق:« فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف».[4]

2 ـ وسط الحلق: « ومن أوسط الحلق، مخرج العين والحاء».[5]

3 ـ أدنى الحلق:« وأدناها مخرجا من الفم، الغين والخاء».[6]

ج ـ الفم: [7] ونجد فيه:

1ـ اللسان: ويتحدث عن أقسامه من أقصاه إلى وسطه إلى حافة اللسان وظهره.[8]

2 ـ الحنك الأعلى[9]

3 ـ الشفتان ويذكرهما في قوله:« ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو».[10] ويذكر أيضا باطن الشفة السفلى.[11]

4 ـ الأسنان: ويندرج تحتها الأضراس[12]، والثنايا يذكرها مرتبطة باللسان ويجعلها ثلاثة أقسام: أصول الثنايا[13] وما فويق الثنايا[14] وأطراف الثنايا[15] وأطراف الثنايا العليا[16]

---

[1] ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي عند أبي عمرو بن العلاء، د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1 1408/1987 ص 201

[2] ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي عند أبي عمرو بن العلاء ص 201

[3] ـ الكتاب 4/433

[4] ـ الكتاب 4/434

[5] ـ الكتاب 4/434

[6] ـ الكتاب 4/434

[7] ـ ينظر الكتاب 4/433

[8] ـ ينظر الكتاب 4/433

[9] ـ ينظر الكتاب 4/433

[10] ـ الكتاب 4/433

[11] ـ ينظر الكتاب 4/433

[12] ـ ينظر الكتاب 4/433

[13] ـ ينظر الكتاب 4 /433

[14] ـ ينظر الكتاب 4/433

[15] ـ ينظر الكتاب 4/433

[16] ـ ينظر الكتاب 4/433

د ـ الخياشم: « ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة».[1] وجعل الخياشم أصل الغنة لخروج بعض هواء الفم فيه، يقول:«...إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم الخياشم فتصير فيهما غنة».[2]

مما سبق نلاحظ أنه يوجد اختلاف بين الخليل(ت 175هـ) وسيبويه(ت 180هـ) الذي حذا حذوه بعض العلماء، مثل الفراء(ت 207هـ) والمازني(ت 247هـ) والمبرد(ت 285هـ) . فقد رتب سيبويه(ت 180هـ) الحروف ترتيبا صوتيا مخالفا الخليل(ت 175هـ) في بعض التفاصيل كالهمزة التي يبدأ بها سيبويه(ت 180هـ) ويؤخرها الخليل(ت 175هـ).

والحروف عند سيبويه(ت 180هـ) تسع وعشرون لها صوت وصورة ويعدها أصلا لحروف العربية وهي:»الهمزة، الألف والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء، والكاف والقاف، والضاد والجيم، والشين والياء، واللام والراء، والنون والطاء، والدال والتاء، والصاد والزاي، والسين، والظاء والذال، والثاء والفاء، والباء والميم والواو«.[3]

وهناك ستة أخرى مستحسنة سماعية شفاهية دون صور خطية وقد ذكر ذلك سيبويه(ت 180هـ) حين قال: « لا تتبين إلا بالمشافهة»[4]، وهي النون الخفيفة، بين بين، الألف الممالة إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد القريبة من الزاي، وألف التفخيم، وهذه تكثر في قراءة القرآن وتجويده[5]، ويعدها سيبويه(ت 180هـ) فروعا لقوله:« وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار».[6]

[1] - الكتاب 4/434
[2] - الكتاب 4/434
[3] - الكتاب 4/431.
[4] - الكتاب 4/432
[5] - ينظر الكتاب 4/436.
[6] - الكتاب 4/436

وفي كلام العرب أيضا ثمانية[1] أخرى مستهجنة ، وهي أيضاً أصوات نطقية لا تملك صورة خطية إذ ليس لها مقابل في نظام الكتابة، وهي:»الكاف التي بين الجيم والكاف، الجيم التي كالكاف، الجيم التي كالشين، الضاد الضعيفة، الصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء«.[2]

ويكون بذلك قد سطر سيبويه(ت 180هـ) الغاية من دراسته لأصوات اللغة العربية، فوضح وضبط قوانين هذه الأصوات حين تجاورها بأصوات أخرى في بنيات لغوية مستقلة، حيث تظهر قيمة الصوت المنفرد، فسيبويه(ت 180هـ) لم يعن بالأصوات منفردة إلا لاهتمامه بها داخل ألفاظ وجمل، وبين مزايا كل صوت منفرد، لأن إدراك صفاته ومخارجه، ييسر معرفة التأثر والتأثير أثناء مجاورته لأصوات أخرى، ولا أدل على ذلك من اهتمام سيبويه(ت 180هـ) بأصوات ليس لها صور خطية.

ويكفي أن تكون الدراسات الصوتية ذات أبعاد أخرى، غايتها ضبط النطق وتحسين القراءة والتلفظ من خلال إثارة مواضيع الإدغام والهمز والتخفيف وغيرها من مواضيع ذات صلة بمجالات أخرى أهمها الصرف. ويكون سيبويه(ت 180هـ) بذلك قد خدم اللغة العربية، وتلك كانت غايته من دراسة أصواتها، وقد تبعه في ذلك معظم الدارسين اللغويين وساروا على ما وصل إليه من نتائج وآراء.

وهذا ينفي رأي هنري فليش القائل بأن غاية الدراسة اللغوية عند الأوائل كسيبويه(ت 180هـ) كانت تفسير الإدغام.[3] فيذهب شعبان عوض عكس ماذهب إليه فليش فيرى أن «...الدرس الصوتي في كتاب سيبويه(ت 180هـ)... كان متناثرا في

---

[1] - جعل سيبويه(ت 180هـ) الجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين صوتا واحدا مما يجعل هذه الحروف عنده سبعة في حين هي ثمانية، ومجموعها بذلك ثلاثة وأربعون، لكن عدها سيبويه(ت 180هـ) اثنان وأربعون لقوله:« وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة». الكتاب 4/432 ولن نسهب في الحديث عن مخارج الحروف عند سيبويه(ت 180هـ) والمازني والمبرد، وسنكتفي بقول سيبويه(ت 180هـ) في كتابه: »وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا لما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك» الكتاب 4/436.

[2] - الكتاب 4/432

[3] - ينظر التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني هنري فليش، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1388هـ/1968م، ص 1.

الكتاب...».[1] ولا يعكسه قوله: «إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ، ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك[2]».

وفي الحقيقة يبقى في نص سيبويه(ت 180هـ) إشارات أخرى غير الإدغام كالإبدال والإخفاء، وهذا ما يوضح تقديم سيبويه(ت 180هـ) لصفات الأصوات ومخارجها، ففسر أولا الإدغام وصاغ قوانينه، وكان هذا خطوة نحو دراسة فونولوجية خالصة تهتم بالتمازج الصوتي وتآلفه داخل بنيات لفظية وتركيبية.

وبقي الدّرس الصّوتي على حاله طيلة القرون الثّلاثة الأولى إلى أن طالعنا أبو الفتح عثمان ابن جني (ت 392 هـ) بـ"سرّ صناعة الإعراب" ، ويعد أوّل كتاب خالص في علم الأصوات إذ يصرح فيه بوجود علم خالص بالصوت والحرف، يقول: «...أن أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب وأن أتقصى القول في ذلك وأشبعه وأؤكده ، فاتبعت ما وسمته، وانتهيت إلى ما مثلته».[3]

ويعد الكتاب مصدرا خالصا في الأصوات بشهادة صاحبه ابن جني حين يذكر غاية الكتاب المقصودة والنفع المرجو منه، يقول:« وإنما الغرض فيه ذكر أحوال الحروف مفردة، أو منتزعة من أبنية الكلم التي هي مصوغة فيها لما يخصها من القول في أنفسها، وأقروا ذلك شيئا فشيئا على تأليف حروف المعجم دون مدارج الحروف...».[4] وقد أدرك أن للصوت وطريقة إصداره خاصة في التجويد علاقة بفن الموسيقى، يقول:»..أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب، وإن لم يكن هذا الفن مما لنا

[1] - التعليل اللغوي في كتاب سيبويه(ت 180هـ)، شعبان عوض محمد العبيدي،منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط 1، 1999م، ص 157

[2] - الكتاب 4/436

[3] - سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 2، 1413هـ/1993م، 1/3

[4] - سر صناعة الإعراب، 1/5

ولا لهذا الكتاب به تعلق، ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم«.[1]

ويكون ابن جني بهذا قد مهد الطريق لدراسة الأصوات حيث ربطها بالزمن والنغم الموسيقيين. وتتجلى مقارنة الأصوات بالموسيقى عنده في تشبيه الجهاز النّطقي بالناي، إذ يقول: »شبه بعضهم الحلق والفم بالنّاي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه».[2]

واختلاف الأصوات عند ابن جني في السماع كاختلاف نغمات وتر العود، حيث يقول: «ونظير ذلك أيضا وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا فإذا حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ثم كذلك كلما أدنى أصبعه«.[3] ويشرح ابن جني الصورة بقوله: «الوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلا...وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات كاختلافها هنا».[4]

وبالنظر لما جاء به ابن جني يمكن القول أن علم الأصوات قد نضج واستوى معه، كما استقر معه المصطلح الصوتي رغم تنوعه واختلافه منذ نشأته، إذ نجد الخليل(ت 175هـ)مثلا يستعمل موضع وحيز ومدرج[5]، أما سيبويه(ت 180هـ)

[1] - سر صناعة الإعراب، 1/9.
[2] - سر صناعة الإعراب، 1/8 و 9
[3] - سر صناعة الإعراب، 1/9
[4] - سر صناعة الإعراب، 1/9
[5] - ينظر كتاب العين 1/65

فيستعمل المخارج[1]، وابن دريد(ت 321هـ) مجاري الحروف[2]، ويستعمل ابن جني(ت392هـ) المقاطع.[3]

ولعل ما قام به ابن جني في القرن الرابع الهجري يعد حوصلة ما قدمه أسلافه في القرون التي سبقته من الدراسة والبحث والتمحيص والاستنتاج، مما ولد رؤى مستجدة في دراسة الصوت اللغوي في القرن الخامس الهجري، إذ خاض فيه علماء بلاغيون وفلاسفة أطباء وقراء مجودون مجال الدراسة الصوتية بخلفية تخصصية، جعلت نتائج تلك الدراسات تختلف عن سابقاتها في القرون الأولى حيث: «تكاد تتلخص جهود اللغويين والنحاة في دراسة الأصوات العربية حتى أواخر القرن الرابع الهجري بما كتبه الخليل(ت 175هـ) بن أحمد (ت 170 هـ) في مقدمة كتاب العين عن مخارج الحروف وصفاتها. وسيبويه(ت 180هـ)(أبو بشر عمرو بن عثمان ت 180 هـ) في (الكتاب) في باب الإدغام خاصة. والمبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت 285هـ) في كتاب(المقتضب) في أبواب الإدغام، وابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن ت 321هـ) في مقدمة جمهرة اللغة. والزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت 337هـ) في آخر كتاب الجمل في باب الإدغام. والأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ت 370هـ) في مقدمة تهذيب اللغة. وأخيرا ابن جني(أبوالفتح عثمان ت 392هـ) في سر صناعة الإعراب. وهناك نتف أخرى متناثرة في بعض الكتب».[4]

---

[1] - ينظر الكتاب 4/434.
[2] - ينظر جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي بن دريد، طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند، 1344هـ، 1/8.
[3] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/6.
[4] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د. غانم قدوري الحمد، ط 1 ، مطبعة الخلود بغداد 1406هـ 1986م، ص 19.

الفصــــــــــــــل الأول

الصّـــــوت الطبيعي واللغوي

- الصوت ومفهومه
- الصوت الطبيعي والعوامل المؤثرة فيه
- مصدر الصوت
- أسباب حدوث الصوت
- مفهوم القراءة والتجويد والترتيل
- صفات القراءة الصحيحة

الصـــوت ومفهومـــه

جاء في لسان العرب لابن منظور أن الصوت هو الجرس-[1]، وهو النداء والصياح، يقول: «صات يصوّت...وصوّت به...نادى، ويقال صوّت فهو مصوّت، وذلك إذا صوّت بإنسان فدعاه، ويقال صات...فهو صائت معناه صائح».[2] ويكون الصوت بهذا المعنى منطبقا على الإنسان وغيره.

[1] - ينظر لسان العرب، 2/361.
[2] - لسان العرب، ابن منظور 2/362.

وفرق ابن سينا (ت 427هـ) بين الصوت والصياح بقوله: «الصياح فهو لجميع من له حنجرة ورئة»[1]، وهو للإنسان والحيوان على حد سواء. كما يميز بين الصوت والصياح والكلام، فيجعل الكلام للإنسان في قوله: «فأما الكلام فهو للإنسان خاصة، وله تقطيع الحروف الصامتة باللسان وإرسال المصوتة عن الرئة».[2] ولا يكون الصياح في الإنسان إلا إذا كان أصما« والذي يولد من الناس أصما فله صياح وليس له كلام».[3]

وينطبق هذا مع ما توصل إليه المحدثون، فمثلا يذكر محمود السعران بأن الصوت اللغوي هو«أصوات يحدثها جهاز النطق الإنساني وتدركها الأذن، وهذه الأصوات تؤلف بطرائق اصطلاحية بكلمات ذات دلالات اصطلاحية».[4]

ولا يعرف ابن سينا (ت 427هـ) الصوت اللغوي إلا انطلاقا من مصدره قائلا: «الصوت فاعله التي عند الحنجرة بتقدير الفتح ويدفع الهواء المخرج وقرعه وآلته الحنجرة...».[5] ويكون هذا تعريفا للصوت اللغوي المختلف عن الصوت الطبيعي في بعض خصائصه، والذي يتناوله ابن سينا (ت 427هـ) في مواضع عدة من مؤلفاته.

ويفصل القاضي عبد الجبار(ت 415 هـ) في ما يسميه بحبس الصوت، فيرى أن الصوت أنواع، ويحدث على وجوه مختلفة، فأصل ميلاد الصوت اللغوي هو حبسه، ومنه فإن طبيعة هذا الحبس والزمن الفارق بينها يؤسس مقاطع الكلام، يقول: «والأصل في هذا الباب أن حبس الصوت قد يختلف الوجه الذي يحدث عليه، فقد يكون صوتا مفيدا غير مقطع، وقد يكون مقطعا في جنس واحد، وقد يكون مقطعا في جنس

[1] - الحيوان لابن سينا، راجعه وقدم له إبراهيم مدكور، تحقيق عبد الحليم منتصر، سعيد زايد، عبدالله إسماعيل بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، ص 63

[2] - الحيوان لابن سينا، ص 63

[3] - المصدر نفسه ص 64

[4] - علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، مطبعة دار المعارف بمصر، ط 1، 1962، ص 66

[5] -القانون في الطب لابن سينا أبي علي الحسين بن علي، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1420هـ 1999م ج 2/322

على وجه يتصل تارة في الحدوث وينفصل أخرى، وقد يحدث على وجه يكون حرفا وحروفا».[1]

إن أصل ميلاد الصوت اللغوي عند القاضي عبد الجبار هو حبسه، ومنه فإن طبيعة الحبس والزمن الفارق بينهما يؤسسان لمقاطع الكلام. كما يربط القاضي عبد الجبار حدوث الحبس بآلة النطق أو كما يسميها بنية الفم وغيره، لأن الصوت قد ينشأ عن غير ذلك، حيث يقول: «وقد يحدث على وجه لا يوصف بذلك، كصرير الباب، وإن كان قد يكون من جنس بعض الحروف، وإنما تكشف الحروف بأن يحدث الصوت في بنية ومخارج مخصوصة كبنية الفم وغيره».[2] ويكون هذا صوتا طبيعيا، وقد حدده الأصفهاني(ت 365هـ) بقوله: «الصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين».[3]

وينطلق هذا التعريف من تحديد مصدر الصوت وماهيته، في حين جاء تعريف ابن فارس(ت 395) للصوت باعتبار سماعه، وهو على بساطته أشمل إذ يجعل السماع مقياسا للصوت مهما كانت طبيعته، ومهما كان مصدره، يقول ابن فارس: «الصوت الصاد، والواو، والتاء، أصل صحيح، وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع».[4]

إن الصوت ظاهرة طبيعية مدركة من السامع قبل الناطق، فلولا السامع لما تحقق وجود الناطق، لأن تعلم النطق يستدعي سماعه حتى يتمكن من تقليده.

هذه الصفة الإدراكية السمعية جعلت طبيعة الصوت عامة منتجة من جموع ظواهر طبيعية مختلفة، فيكون الصوت طاقة أو شكلا من أشكال الطاقة المنتجة لوجود

[1] - المغني في أبواب التوحيد والعدل، إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (415 هـ)، ج 7، خلق القرآن، قوم نصه إبراهيم الأبياري، بإشراف د/ طه حسين، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الغدارة العامة للثقافة، ص 6.
[2] - خلق القرآن ص 7.
[3] - المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحق/ محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 225 و 226.
[4] - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن زكريا بن فارس، تحق/ عبد السلام هارون، ط 1399هـ - 1979م ، دار الفكر.

جسم طبيعي أو غير طبيعي في حالة اهتزاز أو تذبذب فيصدر عن ذلك تموجات معينة تنقل عبر وسط معين ناقل لتلك الذبذبات إلى أن تصل إلى أذن السامع.

وقد أصبح هذا المجال يختص به دارسون في إطار علم الأصوات الأكوستيكي وهو «علم حديث العهد بالوجود نسبيا...إنه يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي وبين علم الأصوات السمعي».[1]

ويحدد إخوان الصفا أنواع الأصوات بنوعين:

أ- غير حيواني:

وينقسم بدوره إلى قسمين:

1- أصوات طبيعية كالحجر والحديد والخشب، والرعد، والريح، وكافة الأجسام التي لا تملك روحا من الجمادات[2].

2- أصوات آلية كصوت الطبل والبوق، والزمر والأوتار وما شاكلها[3]، وقد يدخل في هذا الجزء ما حاول القدماء والمعاصرون من إصدار أصوات آلية هجائية لأصوات البشر.

كما يوضح إخوان الصفا كيفية حدوث الصوت فيزيائيا انطلاقا من حركة الهواء نفسه، وهذا ما لا نجده في التعاريف السابقة حين تربط الصوت بالجسم المتحرك وليس بتحرك الهواء المتسبب في حركة الجسم. فالصوت الآلي «هو هواء يتقلب بين جسمين متصادمين بعنف، فيصك الهواء الراكد في آلة السمع».[4]

ب- الأصوات الحيوانية:

وهي نوعان كذلك:

1- غير منطقية :مثل أصوات سائر الحيوانات غير الناطقة[5]، والتي يصطلح عليها ابن سينا (ت 427هـ) صياحا، وينسب إليها الأصوات غير النطقية لقوله:« وأما الأصوات

---

[1] - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، ط 1 ، بيروت، لبنان، 1992، ص 92
[2] - ينظر رسائل إخوان الصفا، وخلان الوفا، موفم للنشر، الجزائر، 1992م، 3/39.
[3] - ينظر رسائل إخوان الصفا، 3/39
[4] - رسائل إخوان الصفا 3/39
[5] - ينظر رسائل إخوان الصفا 3/39

الأخرى فقد تحدث عن غير الحيوان، وقد تحدث عن الحيوان لا بالصياح، بل بنوع من الصوت آخر مثل صفق اليدين ومثل أصوات المحززات عن صفاتها».[1]

2- أصوات منطقية: وهي الأصوات البشرية، وهي نوعان:

- **غير دالة** وهي أصوات طبيعية مشتركة بين جميع البشر كصوت الضحك، والبكاء، وأصوات الشخير والسعال، وهي أصوات تعبيرية انفعالية، تحمل معاني موحدة وواحدة بين جميع الناس. ويحددها إخوان الصفا في أنها « كل صوت لا هجاء له».[2]

والنطق انطلاقا من هذا التعريف يبقى حقيقة بشرية خاصة إذا قابلناه بالصمت كما ورد عند ابن سنان حين يقول:« قد ثبت أن الفرق الواضح بين الحيوان الناطق والصامت هو النطق، و به وقع التمييز في الحد المنسوب إلى الحكيم [أرسطو]، وإن كان يفسره أصحابه بغير هذا الظاهر...».[3]

ويعطي الأصفهاني(ت 395هـ) بعدا آخر للنطق حين لا يرى له هيئة معينة وطبيعية محددة، إذ يقول: « فالكتاب ناطق لكن نطقه تدركه العين، كما أن الكلام كتاب لكن يدركه السمع».[4] لقد انتقل من معنى النطق المتعارف عليه عند العلماء «الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الأذن»،[5] - فيكون النطق بذلك خاصا بالبشر المالكين لقدرة تقطيع الحروف وتركيبها - إلى كون النطق القوة على النطق، يقول عز وجل في كتابه العزيز الحكيم: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[6]. ومنه جاء المنطق يقول الأصفهاني: «... ويسمي المنطقيون القوة التي منها النطق نطقا وإياها عنوا حيث حدوا الإنسان فقالوا: هو الحي الناطق المائت، فالنطق لفظ مشترك عندهم بين القوة الإنسانية التي يكون منها الكلام، وبين الكلام المبرز بالصوت، وقد يقال الناطق لما يدل على

[1] - الحيوان لابن سينا ص 63
[2] - رسائل إخوان الصفا 3/40
[3] - سر الفصاحة لابن سنان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت 466هـ) الحلبي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، 1389/1969 ، ص 51
[4] - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 757
[5] - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 226
[6] -فصلت: 21

شيء».[1] ويجعل ابن سينا (ت 427هـ) هذه القوة في النفس فيربط النطق بالروح، ويسميها النفس الناطقة[2] مقابل النفس الحيوانية[3] والنفس النباتية.[4]

إن النطق لا يتعلق بالصوت المسموع بقدر ما يرتبط بالمعنى الواقعي في نفس القارئ باعتبار دلائل واقعة في نفسه مدركة لحقيقته، فالنطق هنا غير معلوم الهيئة بحيث لا يعلم أحقيقة يكون أم مجازا. ويعبر الأصفهاني عن ذلك في كون النطق يتجلى في قوله: «اللفظ الذي هو كالنطاق للمعنى في ضمه وحصره».[5] ولعل ذلك يكون أقرب لقوله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[6]، وقوله جل شأنه: (وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ).[7]

ويربط ابن سينا (ت 427هـ) النطق بالكتابة إذ يجعل الكتابة مرحلة متأخرة عن النطق يقول: «... فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النطق، فاخترعت أشكال الكتابة، وكله بهداية إلهية وإلهام إلهي».[8] وهذا المبدأ تبنته أيضا العديد من الاتجاهات اللسانية الحديثة كنظرية جون ليونز John Lyons القائلة أن العديد من اللغات لم تكن من قبل ثم أخضعت بعد ذلك للكتابة.[9]

- **أصوات دالة** وهي « كالكلام والأقاويل التي لها هجاء، وهي تقطيع الصياح بانضمام أجزاء الفم، فتحدث منه حروف، كما تضم الشفتين بنوع ما فتحدث الباء، وتضم بنوع آخر فتحدث الميم».[10] و يبقى هذا التعريف غير ملم بمفهوم الصوت اللغوي الدال لأنه أغفل تقطيع النفس لإصدار أصوات أخرى غير الشفوية.

[1] - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 757
[2] - ينظر النفس لابن سينا، تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، ص 32
[3] - ينظر النفس ص 32
[4] - ينظر النفس ص 32
[5] - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 757
[6] - الجاثية: 29
[7] - المؤمنون: 62
[8] - العبارة لابن سينا، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق محمود الخضري بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، ص 2
[9] - ينظر نظرية تشومسكي اللغوية لجون ليونز، ترجمة وتعليق علي جليل، الإسكندرية، مصر، 1995 ، ص 41 و 42
[10]- رسائل إخوان الصفا 3/40

ويضيف الأصفهاني نوعا آخر من الأصوات، وهي الأصوات الاختيارية كالضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه، يقول الأصفهاني: « الصوت... وذلك ضربان: أحدهما صوت مجرد تنفس بالشيء كالصوت الممتد، والآخر تنفس بصوت ما، وهو ضربان أيضا: أحدهما غير اختياري كما يكون من الجمادات والحيوان. والآخر اختياري كما يكون من الإنسان، وهو ضربان: ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه، وضرب بالفم والذي بالفم ضربان: نطق وغير نطق كصوت الناي، والصوت منه إما مفرد عن الكلام، وإما مركب كأحد أنواع من الكلام».[1]

هذا التعريف البسيط للصوت ينقلنا من الصوت ذاته إلى كيفية إنتاجه أوكما يسميه ابن سينا (ت 427هـ) سبب حدوثه، فهولا يحدد طبيعة الصوت إلا من خلال ذلك، لإدراكه أن الصوت ناتج عن الحركة، وأن هذه لا تكون إلا لوجود سبب ومحرك لذلك.

الصوت الطبيعي والعوامل المؤثرة فيه

نجد ابن سنان(ت 466) في هذا المجال يفصّل ويحدد ميزات الصوت الطبيعي العام ويعلل وجوده.

أ- الصوت مدرك

[1] - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 757

يربط ابن سنان بين صفتي الإدراك والمعقول، بل يجعل الثانية نتيجة للأولى، وهذا ليثبت أنّ الصوت واقعي وموجود، إذ يستحيل إدراك ما لا وجود له، ومن هنا لم يكن الصوت شيئا مجردا بل مدركا، « والصوت معقول، لأنه يدرك، ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما يدرك». [1]

ب- الصوت عرض

يؤكد ذلك القاضي عبد الجبار في مناقشته لعلاقة الصوت بالكلام والحروف، يقول: «... ولسنا نرجع بالنظام المخصوص إلى معنى سوى الحروف، كما نقوله في تأليف الأجسام: لأن الحروف عرض، ولا يجوز أن يحلها عرض، لأن ذلك يستحيل على الأعراض». [2] وهنا ينفي ابن سنان عن الصوت اللغوي التجسيم ومن ثمة الصفة. فالصّوت لا جسم له أي لا يشغل حيزا مكانيا معينا، ولو كان كذلك لأُدرك بالبصر أيضا. وهذا ما يذهب إليه ابن سنان بقوله: «فلو كان[3] جسما لكانت الأجسام جميعها مدركة بحاسة السمع». [4] وقد يأخذ مفهوم العرض أبعادا أخرى إن اعتبرناه مقابلا لغير الدوام، فالصوت مرتبط بالزمن ارتباطا وثيقا من حيث الامتداد، وكذا بالكينونة فالمكان بالنسبة للصوت مرتبط بقوة الانتشار الموجي للصوت.

ويتحدث محمود محمد غالي في كتابه أئمة النحاة عن مفهوم عرضية الصوت في فكر ابن جني، فيرى باختصار أن الصوت عرض وليس جوهر، يقول: «فالصوت عرض أي أنه عارض يخرج مع النفس وليس أساسيا لحياة الفرد كالنفس». [5]

ج-الأصوات غير المتماثلة

وعلى اعتبار أن الأصوات لا تحدها أجسام، فإنها بالطبيعة تكون مختلفة، وينطبق الأمر على الأصوات اللغوية، فيرى ابن سنان استحالة تماثل الأصوات لاستحالة تجسيمها، يقول:«... وذلك أنّا ندرك الأصوات مختلفة، فالراء مخالفة للزاي،

---

[1] - سر الفصاحة لابن سنان ص 6

[2] - خلق القرآن، ص 8.

[3] - يعني بذلك الصوت

[4] - سر الفصاحة لابن سنان ص 6

[5] - أئمة النحاة في التاريخ، د/محمد محمود غالي، ط 1 (1399هـ-1979م)، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية،ص 45.

وكذلك سائر الحروف المختلفة، فإذا كانت الأجسام متماثلة، والأصوات تدرك مختلفة فليست بأجسام». [6]

ويكون التماثل في الأجسام موجوداً في تكرر الجسم أو الشيء المجسم في الواقع إما خلقا أو صنعا بشريا، ورغم ذلك فقد يستحيل التطابق التام بين جسم وآخر تطابقا كليا. والأصوات وإن تكررت منفردة فهي لا تتماثل ولا تتطابق تطابقا كليا وإن كانت من مصدر واحد.

فحرف الراء إن تكرر نطقه عدة مرات كان التشابه موجودا لأنه صوت واحد، فإن دخل الصوت عينه في بنيات لفظية مختلفة فالتماثل والتطابق التام ينتفي عنه رغم كونه صوتا واحدا، وهذا لتكيفه مع أصوات سابقة ولاحقة له، فتنتفي عنه صفات وقد يكتسب صفات جديدة.

ويدفع التمثيل هنا إلى استعمال ألفاظ هي أقرب للعامية في مفهومها منها للفصحى لتوضيح ما سبق. فإن قلنا راب بتفخيم الراء - و راب – بترقيق الراء – فلا فرق بين اللفظين ولا بين أصواتهما إلا في كون اللفظ الثاني اكتسب فيه حرف الراء صفة الترقيق، ورغم هذا الخلاف البسيط فإن معنى اللفظين سيختلفان لدرجة التضاد التام، فراب من الرائب ويطلق على الحليب السائل، إذا مضى عليه مدة من الزمن فتخثر وسار قطعة متماسكة تأخذ شكل الإناء الذي حوى الحليب سائلا، أما راب الثانية فإنها تحمل معنى الانهيار والتشتت والتفكك بعد التماسك والصلابة والقوة، فنقول **حائط رايب** بمعنى آيل للسقوط في أية لحظة لقدمه وذهاب التماسك الذي كان عليه حين شيد بفعل عوامل الطبيعة والزمن أو بفعل الإنسان. وهذا يؤكد أن الترقيق والتفخيم يؤيدان إلى الاختلاف بين دلالة الكلمات.

[6] - سر الفصاحة، ص 6

لذا فالتماثل في الصوت الواحد قد لا يكون موجودا، ولا يكون كذلك عند انتقال الصوت في الهواء ليصل إلى أذن السامع، وتبقى الأذن المميز الوحيد للتطابق والاختلاف بين صوت وآخر، وفي هذا يقول إخوان الصفا: «واعلم أن كل صوت له نغمة وصيغة وهيئة روحانية خلاف صوت الآخر، وأن الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل الصوت بهيئة وصيغة، ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض، فتفسد هيأتها، إلى أن يبلغها أقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة».[1]

د-الأصوات ليست صفات

إن الصوت ظاهرة قائمة برأسها، ومستقلة في غاياتها وتكيفها، والصوت ذو مصدر، وله صفات، ومن هنا يستحيل أن يكون هو نفسه صفات لغيره، فرأى ابن سنان أن الصوت ذات بنفسه، وليس صفة لذات ما، يقول:«...فالذي يدل على أنه ليس بصفة لجسم بل هو ذات مخالفة له أن الصوت لو كان صفة لم يخل من أن يكون صفة ذاتية أو غير ذاتية، ولا يجوز أن يكون صفة غير ذاتية، لما بيناه من أن الإدراك لا يتناول إلا الصفات الذاتية. والصوت مدرك بلا خلاف».[2]

هـ- التضاد في الأصوات

ونجد في هذه الميزة فريقين، أحدهما يقول بتضاد الأصوات والآخر ينفيها، ويجمع ابن سنان في كتابه سر الفصاحة آراء الفريقين، فيعرض لرأي علم الهدى المرتضى(ت 436هـ) الذي ينفي التضاد في الأصوات. أما الرأي المؤيد فينسبه ابن سنان لأبي هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي، ويعتمد هذا على مقابلة الصوت باللون، والسماع بالنظر، فلما كان التضاد موجودا في اللون، فلا غرو أنه موجود كذلك في الصوت، ثم استحالة اجتماع صوتين في مكان واحد كما الألوان، ويرجع سبب ذلك إلى التضاد.[3]

[1] - رسائل إخوان الصفا 3/40
[2] - سر الفصاحة لابن سنان، ص 9
[3] - ينظر سر الفصاحة ، ص 9

ويقدم ابن سنان نقضا لما سبق موضحا بطلان ما ذهب إليه أبو هاشم الذي اعتمد في رأيه على أن الصوت واللون يدرك كل منهما بحاسة واحدة، فكان ذلك أساسا ليتشابها في كل الصفات الأساسية والعارضة، وهذا طبعا غير ممكن.

فإن سلمنا بوجود التضاد في الألوان لإمكانية حلول لون مكان آخر دون القطع بالتضاد فيها، فإن هذا لا يحدث في الصوت، يقول ابن سنان:«..إن الصوتين المختلفين ليس محلهما واحدا، فيقطع على تضادهما لامتناع اجتماعهما فيه في ذلك الوقت الواحد، بل محال الحروف المتغايرة متغايرة، وإذا كان المحلان مختلفين فلا سبيل إلى القطع على التضاد باستحالة اجتماعهما في المحل لأن كل واحد من الصوتين المختلفين لا يصح أن يحل محل الآخر».[1] وهذا ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار الذي ينفي التضاد في الأصوات حيث يقول: « ...لأن تضاد الأصوات ليس بينا لدينا».[2]

ينفي ابن سنان صفة التضاد في الأصوات اللغوية، ويشير بذلك إلى المقابلة في الحروف، ودور الحرف في البنية اللفظية، ومن ثم إدراكه أن الصوت اللغوي له علاقة بسياق البنية اللفظية من ناحية، ودوره في تحديد المعنى.

و- الانتقال و الديمومة في الصوت

قد نتصور الصوت منتقلا في الهواء حتى يصل أذن السامع، لكن ابن سنان يقول أن «الأصوات تدرك بحاسة السمع في محالها، ولا تحتاج إلى انتقال محالها وانتقالها، وكونها أعراضا منع من انتقالها».[3] فلا نستطيع التحكم في توجيه الصوت لجهة دون أخرى على خلاف النظر. لهذا كان المنع في النظر ولم يكن أبدا في السماع.

[1] - سر الفصاحة ، ص 10
[2] - خلق القرآن ص 28
[3] - سر الفصاحة لابن سنان ص 11

وفي هذا الصدد أوجب الإسلام غض البصر، يقول النبي(ص) «يا علي لا تتبع النظرة بالنظرة فإن لك الأولى وليس لك الثانية».[4] ولم يرو عن النبي غض السمع، لأنها الحاسة الوحيدة التي لا تنام ولا تفتر درجة تحسسها، لأنها مرتبطة بالعناصر الخارجية الطبيعية، وبالظواهر الفيزيائية، فقد وصلنا القرآن بالتواتر سماعا.

وتتدخل عوامل مساعدة في انتقال الصوت، قد تكون مانعة كالمسافة، فالصوت إذا كان مصدره بعيدا كان إدراكه ضعيفا أو منعدما.

يتميز الصوت بعدم الاستمرارية ومن ثم كان إدراكنا له مرتبطا باستمرار صدوره، وفي هذا الشأن يقول ابن سنان «ولا يجوز البقاء على الأصوات...فإنه يعتل في المنع من بقاء الأصوات بأنها لو بقيت لاستمر إدراكنا لها مع السلامة، وارتفاع الموانع ومعلوم خلاف ذلك».[2] فارتباط الصوت بالهواء و العوامل الطبيعية على اختلافها تنفي عنه صفة الانتقال والاستمرارية الدائمة، يقول إخوان الصفا: «...الأصوات لا تمكث في الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظها، ثم تضمحل ...»،[3] فكلما كان الجسم يحدث اهتزازا كان الصوت مستمرا.

إن للاستمرارية علاقة بظواهر فيزيائية تتصل بالجسم المُصدر للصوت، وهنا يميز ابن سينا (ت 427هـ) بين الاهتزاز نفسه والاستغراق الزمني، ويشرح ذلك في إطار النغمة الموسيقية وزمانها، وهذا كله في مجال علاقة الحركة بالزمن والمسافة، يقول ابن سينا (ت 427هـ): « فينقسم الزمان وتنقسم الحركة بحسب ذلك انقساما لا يقطع الاتصال، ويشبه أن يكون كون الصوت المسموع من الوتر المنقور بنقرة واحدة، الباقي زمانا، الذي يسمى نغمة، هو من هذا القبيل، فإن هذه النغمة ستعلم في جزئيات الطبيعيات ومشاهدة أحوالها أنه ليست تحدث عن وقع المضراب على الوتر بل إنما تحدث من قرع الوتر المدفوع بالمضراب عن وصفه المنصرف، عند مفارقة

[4] - حديث رقم 5773 الباب الاستئذان من أجل البصر 17/467 فتح الباري لابن حجر مصدر الكتاب موقع الاسلام أون لاين islamonline

[2] - سر الفصاحة ص 12

[3] - رسائل إخوان الصفا 3/49

المضراب إلى وضعه، انصرافا بقوة وحمية تقرع ما زحمه من الهواء فيصوت. ثم لا يزال مهتزا كذلك، فيحدث قرع بعد قرع إلى أن يهدأ أو تكون تلك القروع مستحفظة لصوت مسموع على الاتصال إن كان بالحقيقة متصلا كما يسمع ولم تكن القطوع من الصغر بحيث لا تحس».[1] فالكلام المنطوق أوالتعابير الصوتية المختلفة تقع اضطرارا مرتبطة بالزمان وبتواصله أو انقطاعه، وهذا ما فسره ابن سينا (ت 427هـ)[2].

وقد تناولت الدراسات الحديثة هذه الفكرة، وكان ما جاءت به اللسانيات الحديثة تحت عنوان خطية الدال والحالة الخطية التواصلية للكلام في النطق والسماع أقرب لما قدمه ابن سينا، فطبيعة الدال الصوتية والأصوات اللغوية الملفوظة ذبذبات وتموجات فيزيائية مدركة من السامع، تمنح الكلام الإنساني طابعه الخطي **.linéarité** [3].

من هنا يكون التواصل السماعي المنطوق من الأصوات لا يتصف بالآنية البتة، فالزمان هو الفاصل فيه، فيستحيل نطق صوتين في آن واحد، مما ينفي عن الأصوات صفة التكرار ويستوجب ترتيبا معينا لها داخل البنيات اللفظية اللسانية، فتكون القطع اللسانية الصوتية عبارة عن دوال سمعية تعتمد على الخط الزمني، فتأتي هذه العناصر اللسانية متتالية على شكل سلاسل معينة.

كل هذا يتضح في الصورة الخطية للأصوات اللغوية بحيث تكون عبارة عن توالي الدوال الخطية بشكل من الأشكال، إما من اليمين إلى اليسار في اللغة العربية أومن اليسار إلى اليمين في معظم اللغات المكتوبة بالحرف اللاتيني، أو عموديا من فوق إلى تحت كما في لغات جنوب شرق آسيا كالصينية، اليابانية أو الكورية.

لقد نجح ابن سينا (ت 427هـ) في إثارة ذلك كله، فعبر عنه محمد صالح الضالع بقوله: «ويجرنا موضوع الاستغراق الزمني إلى حديث ابن سينا عن وحدة الحركة

---

[1] - السماع الطبيعي ابن سينا، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق سعيد زايد بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، ص 264 و 265

[2]- ينظر السماع الطبيعي ص 264

[3]- Éléments de linguistique générale ,André Martinet ,A. Colins, Paris, 1980.p16

وكثرتها، وقد عرض لهذا المفهوم في إطار فلسفي ومنطقي مطبقا وممثلا له من ظواهر طبيعية متنوعة ومنها ظاهرة الصوت والنغم. وقد بحث هذا المفهوم في العصر الحديث تحت مفهوم الاتصال والاستمرارية، فالكلام عبارة عن اتصال مستمر من النطق من الناحيتين الفسيولوجية والفزيائية، ومع ذلك يمكن أن نحلله أو ندرسه في صورة وحدات متتابعة أو ندركه على أنه أجزاء متعاقبة». [1]

مصدر الصوت

يسهل على المتمعن في الصوت الطبيعي التعرف على مصدره ودوره، لأنه يختلف حسب اختلاف مصدره، يقول القاضي عبد الجبار في هذا: «لا... إنه يختلف بحسب صلابة المحل ورخاوته، وإنه لا يصح أن يوجد في القطن مثل الصوت الذي يوجد في الخشب أو الطست». [2] فرغم بساطة مفهوم الصوت الطبيعي لاتصاله بحياة الإنسان ووظائفه المختلفة، فقد نجد له تعاريف متنوعة تحدده وتوضح اختلاف الرؤى في فهمه.

إن الصوت الطبيعي من حيث المصدر عامة، إنما منشؤه اهتزاز جسم أو تذبذبه، ولهذا يعرفه إبراهيم كايد محمد بأنه «ظاهرة طبيعية، وشكل من أشكال الطاقة، وهو يستلزم وجود جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب، وهذه الاهتزازات أو الذبذبات تنقل عبر وسط معين حتى تصل إلى أذن الانسان». [3] ويحمل هذا التعريف طابع الصوت المحدد في الاهتزاز أو التذبذب لجسم معين وبرغم اختلاف الاهتزاز عن التذبذب إلا أن كلا الوصفين يحدثان أمواجا معينة، إذ الأصل في الصوت هو التموج الحادث من اهتزاز أوتذبذب جسم ما.

---

[1] - علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع، القاهرة، مصر، 2002م، ص 37.

[2] - خلق القرآن، القاضي عبد الجبار، ص 31 .

[3] - صوت الهاء في العربية، إبراهيم كايد محمد، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الملك فيصل، الأحساء، بحث منشور على شبكة الأنترنت على الموقع: http://www.moudir.com/vb/showthread.php?t=59993، ص 2

وقد اتفق إخوان الصفا على مصطلح التموج قبل ابن سينا (ت 427هـ)، في وصفهم حركة الهواء المحدثة للصوت «...ذلك أن الهواء لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها، فإذا صادم جسم جسما انسل ذلك الهواء من بينهما بحمية وتدافع وتموج إلى جميع الجهات، فحدث من حركته شكل كروي، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها، أو الماء الساكن إذا ألقي فيه حجر فيتزاحم الماء حتى يبلغ أطراف الغدير».[1]

وذهب ابن سينا (ت 427هـ) مذهب إخوان الصفا في كون «الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وقوة من أي سبب كان».[2] ولعله أدرك ذلك في أوانه حين حديثه عن السبب الفاعل في الصوت، فهو لم يعرفه، ولم يتحدث عن طبيعته وأنواعه وإنما رأى أنه سيظهر ويتضح بصورة أوضح حين التعرف على سبب حدوثه.

ولسبب الحدوث أو السببية موقع خاص في فكر ابن سينا (ت 427هـ) الفلسفي، ويتحدث عنها بإسهاب كبير ومفصل في مجال الطبيعيات[3]، فيفصل في العلل والمعلولات وأنواعها، وعلاقتها بالاتفاق والبحث، وكذا بالحركة والقوة الفاعلة، التي تعكس تأثره بمبدأ العلة والسببية في حدوث الصوت، ومن ثم اعتبار الصوت حركة حادثة عن فعل أو قوة لها سبب وربما لها غاية، يقول ابن سينا (ت 427هـ) في سبب حدوث الصوت: « أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أي سبب كان».[4] فالصوت يكون في الهواء على شكل موجات، مهما كان سبب التموج الحادث.

ومن شروط التموج المحدث للصوت السرعة والقوة في اندفاع الهواء، وهي ضرورية حتى يتمكن الصوت من الوصول إلى أذن السامع بوضوح ويسر. و يبين هذا أنه ليس لكل تموج هوائي صدى يمكن للأذن التقاطها، لأن التقاط الأذن موجات

---

[1] - رسائل إخوان الصفا، 3/40
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 56
[3] - ينظر السماع الطبيعي، ص 48 و 53 وما بعدها و ص 60
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 56

صوتية أو بصورة أوضح وصول الموجات لأذن السمع يشترط القرب من مصدر الصوت، يقول إخوان الصفا في ذلك «... فمن كان حاضرا من الناس وسائر الحيوانات التي لها أذن بالقرب من ذلك المكان، تموج ذلك الهواء الذي هناك، فأحست عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة والتخيير».[1]

أسباب حدوث الصوت عند ابن سينا (ت 427هـ):

ويوضح ابن سينا (ت 427هـ) السبب المحدث للصوت فيراه في أمرين اثنين: وهما القرع والقلع ولا يعدهما صوتا« فليس القلع والقرع بصوت، بل إن كان ولابد فسببا للصوت»[2]:

أـ القرع: يقول ابن سينا (ت 427هـ)«...والذي يشترط فيه من أمر القرع عساه ألا يكون سببا كليا للصوت، بل كأنه سبب أكثري، ثم إن كان سببا كليا فهو سبب بعيد ليس السبب الملاصق لوجود الصوت».[3]

أما إخوان الصفا فيجعلون القرع سببا في حدوث الصوت الطبيعي كله، ففي رسالة الحاس والمحسوس ورد«...وكل هذه الأصوات إنما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجسام».[4] وفي نظر ابن سينا (ت 427هـ) فالصوت يحدث أغلبه من القرع.

والقرع لغة الضرب، قرع الشيء يقرعه قرعا، ضربه، ومنها المقرعة خشبة تضرب بها البغال.[5] فالقرع هو ضرب يحدث اهتزازا في الجسم محدثا صوتا. يقول ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك «وذلك أن القرع هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له لمزاحمته تقريبا تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها».[6]

[1] -رسائل إخوان الصفا 3/40
[2] - النفس، ص 71
[3] - أسباب حدوث الحروف ابن سينا ص 56
[4] - رسائل إخوان الصفا 3/40
[5] -لسان العرب 10/134
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 57

يشرح لنا ابن سينا (ت 427هـ) القرع، بأنه مماسة عنيفة نتيجة تقريب جسم من جسم آخر، فيحدث صوت كما في أجراس البوذيين والصينيين. فكلما كان إبعاد الخشبة عن الجرس أقوى كلما كان انتشار صوته أوسع وأقوى. ونجد عنده ما يفسر به ذلك: «فإن هذه النغمة... ليست تحدث عن وقع المضراب على الوتر،بل إنما تحدث من الوتر المدفوع بالمضراب عن وصفه المنصرف، عند مفارقة المضراب إلى وضعه، انصرافا بقوة وحمية تقرع ما زحمه من الهواء فيصوت، فيحدث قرع بعد قرع إلى أن يهدأ».[1] ونفى ابن سينا (ت 427هـ) أن يكون القرع سببا وحيدا في حدوث الصوت، يقول:«... ثم إن كان سببا كليا فهو سبب بعيد، ليس السبب الملاصق لوجود الصوت».[2] ولعل في هذا إشارة إلى الصوت اللغوي أو الإنساني.

ب- القلع: يرى ابن سينا (ت 427هـ) أن القلع مقابل للقرع، فإن كان هذا ينتج عن ضرب جسم بجسم آخر، فإن القلع كما يعرفه هو«... تبعيد جرم ما عن جرم آخر مماس له، منطبق أحدهما على الآخر، تبعيدا ينقلع عن مماسته انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التبعيد، وهذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع».[3]

فالقلع لغة[4] هو انتزاع الشيء من أصله. قلعه يقلعه قلعا، وقلّعه واقتلعه وانقلع واقتلع وتقلّع، وينسب ابن منظور إلى سيبويه(ت 180هـ) قوله: «قلعت الشيء حوّلته من موضعه...والقلاّع، والقلاّعة... قشر الأرض الذي يرتفع عن الكمأة فيدل عليها».[5] ولابد أن هذا المعنى ضمني في المصطلح الذي قصده ابن سينا (ت 427هـ) بخصوص حدوث الصوت.

فالقلع كما فسره هو إبعاد جسم عن آخر ملاصق له بقوة ثم إطلاقه ليصدر صوتا نتج عن ذلك الإبعاد. فالصوت إذا يحدث حسب ابن سينا (ت 427هـ) من حركتين اثنتين، هما القرع والقلع، وهما يشتركان في ما يأتي:

---

[1] - السماع الطبيعي، 264 و 265

[2] - أسباب حدوث الحروف، ص 56

[3] - أسباب حدوث الحروف، ص 57

[4] - ينظر لسان العرب، 10/163

[5] - لسان العرب، 10/163

أولا- التموج: الحادث عن الحركة في الهواء. يقول ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك«... إنما يلزم في كلا الأمرين[1] شيء واحد وهو تموج سريع عنيف في الهواء».[2] ويجعل التموج الأصل والسبب القريب في حدوث الصوت إذ يقول: «فإذن العلة القريبة كما أظن هي التموج، وللتموج علتان، قرع وقلع».[3] وهذا التموج وإن اشترك فيه كلا من القرع والقلع من حيث شرط إبعاد الجسم مسافة حتى يحدث التموج فإن شكل الموجات الحادثة تختلف من القرع إلى القلع يقول:« وفي الأمرين جميعا يلزم المتباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والتموج الواقع هناك، وإن كان القرعي أشد انبساطا من القلعي».[4]

ولعل إدراك ابن سينا (ت 427هـ) للتموج، وما أتبعه ببعض المفاهيم المرتبطة بانتشار الصوت وحدوثه، دليل على إلمام كاف بالخصائص الفيزيائية للصوت خاصة من الناحية السمعية، على اعتبار أنه يقول أن الأمواج الصادرة عن القرع والقلع هي التي تحرك هواء الأذن الراكد على شكل أمواج، فيحدث تحسس أو اهتزاز، فيدرك الصوت بالسماع، يقول:« ... ثم ذلك الموج يتأدى إلى الهواء الراكد في الصماخ، فيموجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه».[5] فينفي كون الصوت نفس تموج الهواء[6]، ولا الحركة نفسها الفاعلة للصوت، إذ الصوت «...عارض يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها، ويكون معها، فإذا انتهى التموج من الهواء أو الماء إلى الصماخ... أحس الصوت».[7]

من هنا توصل ابن سينا (ت 427هـ) للخصائص الفيزيائية والسمعية الثلاث للأصوات وهي:

1- التردد الفيزيائي **frequency** وتقابله الحدة **pitch** من الناحية السمعية والإدراكية.

---

[1] - يقصد بذلك القرع والقلع
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 57
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 57
[4] - أسباب حدوث الحروف، ص 58
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 58
[6] - النفس، ابن سينا ، تصدير ومراجعة د/إبراهيم مدكور، تحق/الأب الدكتور جورج قنواتي، وسعيد زايد، بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ الرئيس، ابن سينا ص 71
[7] - النفس، ص 71

2- الشدة الفيزيائية **intensity** التي يقابلها علو الصوت **loudness** من الناحية السمعية والإدراكية.

3- الشكل الموجي الفيزيائي **waveform** الذي يقابله نوع الصوت **sound quality** من الناحية السمعية والإدراكية.[1]

ولابد أن ابن سينا (ت 427هـ) قد توصل إلى هذا كله لإدراكه أن الصوت متنوع فعلا لتنوع مصدره، و تختلف طبيعته باختلاف الأجسام المتحركة وطبيعة حركتها.

ولايمكن الحديث عن مصدر الصوت دون التطرق لاستقبال الصوت لأن السمع هو المفسر للون الصوت ودرجته، فيبين التمايز في طبيعة وكيفية إنتاج القرع والقلع للصوت، واللذان يختلفان في الحركة نفسها الحادثة في الهواء، ويبين ابن سينا (ت 427هـ) ذلك بقوله: «أما في القرع فالاضطرار القارع الهواء إلى أن ينضغط وينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف وقوة وشدة وسرعة».[2]

وهنا يبين ابن سينا (ت 427هـ) صفات الهواء المقروع، وهي في الواقع صفات للحركة المحدثة للقرع، ويمكن إجمالها في العنف والقوة، فينتج عن ذلك هواء سريع وشديد وهو الصوت المقروع.

أما عن القلع فيقول:« وأما في القلع فلاضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منهما دفعة بعنف وشدة».[3] يصف ابن سينا (ت 427هـ) كيفية حدوث القلع بدقة بالغة مستخدما صفات دقيقة ومحددة، ويصف الحركة المحدثة للهواء المقلوع وهو جعل الهواء ينحاز إلى المكان الذي أخلي بالقلع، وكلما كان الجسم أوالجزء من الجسم المقلوع قد أبعد بعنف وقوة كان الصوت أقوى، وذلك لاندفاع الهواء المحدث للصوت بعنف وشدة، وهو الصوت المقلوع.

---

[1] - ينظر علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 36

[2] - أسباب حدوث الحروف ص 57

[3] - أسباب حدوث الحروف ص 57 و 58

ثانيا- الحركة: ينتج الصوت عن الحركة، لأنها السبب والأصل في حدوث تموج الهواء. ويذكر القاضي عبد الجبار أن الصوت يذهب بذهاب وسكون الحركة، فبفتور الحركة يفتر الصوت حيث يقول: « وكان أبو علي- رحمه الله- يعتل في حاجته إلى الحركة بأن في فقد الحركة وزوالها زوال الصوت، لأن الطست إذا نقر فطن سكن طنينه بزوال الحركة، ولأن الواحد منا لا يمكنه إيجاده إلا مع الحركة (وإن لم تكن سببا له)، وذلك يقتضي حاجته إليها». [1]

الحركة هي كل انتقال كيفما كانت طبيعته، ويفصلها إخوان الصفا بقولهم: «الحركة يقال على ستة أوجه، الكون والفساد و الزيادة أو النقصان والتغير والنقلة. فالكون هو خروج الشيء من العدم إلى الوجود، أو من القوة إلى الفعل، والفساد عكس ذلك، والزيادة هي تباعد نهايات الجسم عن مركزه، والنقصان عكس ذلك، والتغيير هو تبدل الصفات على الموصوف من الألوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات». [2] أما الحركة المقصودة فهي النقلة التي يراد بها الخروج من مكان إلى مكان آخر. [3]

ويجعل القاضي عبد الجبار الحركة سببا لتوارد الأصوات وحدوث الكلام، يقول: « وقد يبين أن الكلام إنما لم يوجد منا إلا مع الحركة، لأنها تجري مجرى السبب له، من حيث كان الاعتماد لا يولده إلا إذا وقع على سبيل المصاحبة وهذا يوجب مفارقة الحركة له، فهي وإن لم تكن بنفسها سببا فهي مصححة لكون الاعتماد مولدا، وما لا يتم السبب إلا به، صارت الحاجة إليه كالحاجة إلى نفس السبب». [4] فمن هنا يمكن تصور حلقة الحركة المسببة للكلام في نظر القاضي عبد الجبار على الشكل الآتي:

[1] - خلق القرآن ص 31 .
[2] - رسائل إخوان الصفا 2/99 و 100
[3] - ينظر رسائل إخوان الصفا 2/ 100
[4] - خلق لبقرآن ص 34 .

الاعتماد ← الكلام ⟶ الحركة (لا يتم إلا به وإن لم يكن بنفسه سببا)

↑↑ ↓↓

مفارقة الحركة للموضع ⟵ المصاكة ⟵ السبب

فهي على شكل حلقة والعلاقة بهذا طردية، فإذا زال السبب زالت المصاكة فيزول الاعتماد ومن ثم الكلام.

وتوسع ابن سينا (ت 427هـ) في حديثه عن الحركة، وكانت بادرة للدراسة الفيزيائية الحديثة، خاصة وأنه ربطها بحركات الأجسام نفسها ثم ربط الحركة بالمكان والزمان، فالفيزياء الحديثة ترى أن الحركة ما هي إلا سرعة انتقال الشيء، وهي ارتباط أبدي بين المسافة والزمن، مما يجعل من هذا الثنائي عنصرين مهمين في المعادلات الزمنية للمحركات المختلفة سواء أكانت مستقيمة أم غير ذلك.

فالحركة هي القوة في الانتقال، وهي عند ابن سينا (ت 427هـ) نوعان: إرادية وغير إرادية، فالإرادية « لها مبدأ قريب، ومبدأ بعيد، ومبدأ أبعد».[1] ليدل أن الحركة لا تكون في المادة فقط، وإنما تقع في النفس وفي الفكر.

ولعله لم يجانب الصواب في كون الحركة الواقعة في أي عضو هي تتمة لحركات سابقة وغير ظاهرة، إذ يربط بين قوى التفكير والتذكر مع التخيل وينظم ذلك فيما أورده «فالمبدأ القريب هو القوة المحركة التي في عضلة العضو، والمبدأ الذي يليه هو الإجماع من القوة الشوقية، والأبعد هو التخيل أو التذكر».[2] فحركة العضو المادي يسبقها حركات قبلها هي الأصل في وجودها، وهذا من المؤكد أنه ينطبق على حركات أعضاء النطق المختلفة.

---

[1] - الإلهيات لابن سينا، راجعه وقدم له إبراهيم مدكور، تحقيق الأب قنواتي وسعيد زايد بمناسبة الذكرى اللفية للشيخ الرئيس، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، ص 284

[2] - الإلهيات ، ص 284

ففـي نطـق الأصـوات ينطبـق التتـابع الحركـي، وهـو وجـود مجموعـة مـن الحركات المرتبطة والمتآلفة بحيث يظن أنها حركة واحدة، وقد فصل إخوان الصفا قبل ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك بقولهم أن هذه الحركـات تتخللهـا فواصـل سـاكنة ولهـا علاقة بالزمن،فأجمعوا على أن بيـن كـل حركـة وأخـرى سـكون وإن لـم يكـن ظـاهرا، ومثلوا لذلك بالنغم الموسيقي، في قـولهم: «اعلـم أنـه لا تنفصـل حركـة عـن حركـة إلا بسكون بينهما، وهذا يعرف ولا يشك فيه أهل صـناعة الموسـيقى، وذلـك أن صـناعتهم معرفة تأليف النغم. والنغم لا يكون إلا بالأصوات، والأصوات لا تحدث إلا من تصـادم الأجسام، وتصادم الأجسام لا يكون إلا بالحركـات، والحركـات لا تنفصـل بعضـها عـن بعض إلا بسكونات تكون بينهما، فمن أجل هذا قال الذين نظروا في تأليف النغم إن بيـن زمان كل نقرتين زمان سكون».[1]

والنطق ليس إلا تعبير عـن حركـات أخـرى أبعـد فـي الشـعور الوجـداني وفـي التفكير المنطقي الحادث في الدماغ. ولعل أهم شيء توصل إليه ابـن سـينا (ت 427هــ) هو ربط النطق بالتخيل وإدراك هذه القوة النواقض نفسها، فالنطق ليس فعلا منفردا بـل هو قوة أبعد من ذلك لها علاقة بالتفكير والحس والطباع والخيال، يقول:« وهـذه القـوى التي هي مبادئ للحركات والأفعال، بعضها قوى تقارن النطق والتخيـل...والـتي تقـارن النطـق والتخيـل تجـانس النطـق والتخيـل، فـإنه يكـاد أن يعلـم بقـوة واحـدة الإنسـان واللإنسان، ويكون لقوة واحدة أن تتـوهم أمـر اللـذة والألـم، وأن تتـوهم بالجملـة الشـيء وضده».[2]

ويرتب ابن سينا (ت 427هـ) هذه القوى المشاركة في هذه الحركـة الإنسـانية المادية المسموعة. فالخيال أول الخطوات الفاعلـة فـي حركـات العضـو، ويسـاوي ابـن سينا (ت 427هـ) بين الخيال والفكـر النطقـي. فيثبـت أن النطـق يسـبقه ارتسـام وتحديـد للصورة ويكون ذلك بمساعدة الخيال، فالصـورة المسـتدعاة مـن الخيـال تحـرك طبيعـة الشعور ونوعه ثم يكون بذلك الدافع إلى التحرك فالقوى النفسـانية هـي مبـدأ كـل حركـة

[1] - رسائل إخوان الصفا، 2/102
[2] - الإلهيات، ص 173

عضلية عند ابن سينا (ت 427هـ)، يقول:«والقوة المحركة التي في الأعضاء مبدأ حركة لا محالة، والقوة الشوقية أيضا مبدأ أول لتلك الحركة فإنه لا يمكن أن تكون حركة نفسانية لا عن شوق البتة، لأن الشيء الذي لا تنبعث إليه القوة ثم تنبعث إليه انبعاثا نفسانيا يكون بتشوق نفساني لا محالة قد حدث بعدما لم يكن. فإذن كل حركة نفسانية مبدؤها الأقرب قوة محركة في عضل الأعضاء، ومبدؤها الذي يليه شوق، والشوق كما علم في علم كتاب النفس تابع لتخيل أو فكر لا محالة. فيكون المبدأ الأبعد تخيلا أو فكرا».[1]

وربط ابن سينا (ت 427هـ) الحركة بالجسم، لأن الجسم هو المتحرك عيانا، فيقول: « فإن القابل للحركة لا يلحق الجوهر أول للحوق، بل بعد أن يصير مكانيا جسمانيا، فقابل الحركة يلزم الجسم..يلزم الجسم أشياء كثيرة...».[2] وحديثه عن الجسم يدفعه ليفصل في طبيعته المتحركة، فينبه إلى أنه نوعان، جماد وحي، فيميز بينهما كون الثاني ناطق والأول غير ناطق. ويربط ذلك بالنفس أو الروح، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «..إن الجسم منه ناطق و منه غير ناطق.لأن الجسم بما هو جسم فقط ليس مستعدا لأن يكون ناطق وغير ناطق، بل يحتاج إلى أن يكون أولا ذا نفس حتى يكون ناطقا. فإن ذا النطق وعديم النطق من جهة ما هو ذو نفس».[3]

و يجعل ارتباط النطق بالنفس أو الحياة بلفظ آخر الحركة المادية أو العضوية حالات عارضة لكن ذات منطلق فكري تفكيري قبل أن تكون مادية محضة، ولابد أن هذا يكون أوضح في الحركات الإرادية الصادرة عن الأجسام الناطقة حسب ابن سينا (ت 427هـ) الذي يرى أنه يوجد حركات غير طبيعية، أي قسرية أو لا إرادية، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «وأما الحركة غير الطبيعية، ولكنها مع ذلك موجودة في ذات المصوف بها فمنها بالقسر ومنها ما يكون من تلقائه».[4] وهنا تنبيه ظاهر يتناوله ابن

[1] - الإلهيات ، ص 285
[2] - الإلهيات ص 221
[3] - الإلهيات ، ص 222
[4] - السماع الطبيعي ص 324

سينا (ت 427هـ) في مقالات سابقة خاصة بالأسباب والعلل والتي يفرد لها حيزا واسعا من دراساته وتفصيله فيها،« وقد استمرت نظرية الأسباب هذه حتى عصر النهضة في العالم الغربي، وقد تمثلها ابن سينا (ت 427هـ) واتخذها أنموذجا لشرح الأشياء وتفسير كل ما حدث في الكون، وخصص فصلا كاملا لهذه النظرية الأرسطية في السماع الطبيعي من الشفاء». [1]

لم يحد فكر ابن سينا (ت 427هـ) الفلسفي عن مبادئ الفكر الإسلامي الديني، وكذا عن الظواهر الطبيعية، حيث يرى أن العلم هو الذي يوصلنا إلى السعادة الأخروية، وهي المحصلة للخير والشر، يقول:«...فقد علمت أن العلوم كلها تشترك في منفعة واحدة وهي تحصيل كمال النفس الإنسانية بالفعل مهيئة إياها للسعادة الأخروية». [2]

وقد ناقض ابن سينا (ت 427هـ) بعض المقولات العلية وبين أسباب ذلك[3]، ولعل للسببية آثارا إيجابية، وكذا أخرى جانبية، لكن الأولى كانت انعكاساتها صارخة فقد « كانت السببية(العلية) إطارا فكريا سائدا في الفكر اليوناني ثم في الفكر الإسلامي. واعتقد الفلاسفة القدماء أن لكل معلول علة تحدثه أوتحركه، وأن معرفة الأسباب هي شرح الظواهر وتفسيرها، فلكل شيء سبب ولكل سبب غاية من ورائه. وعندما درسوا الظواهر الطبيعية في إطار العلم الطبيعي بحثوا عن أسبابها. فلكل حركة سبب أحدثها. وهكذا ارتبطت في أذهانهم العلة بالمعلول وجودا وعدما». [4]

و تدخل في إطار الحركات القسرية الأجسام الجامدة المحركة بقوى خارجة عن الجسم، وبهذا يعرفها ابن سينا (ت 427هـ) «إن الحركة التي بالقسر هي التي محركها خارج عن المتحرك بها وليس مقتضى طبعه». [5] ودراسة الحركة من هذا

[1] - علوم الصوتيات عند ابن سينا محمد صالح ص 26
[2] - الإلهيات ص 17
[3] - ينظر السماع الطبيعي ص 55 و ما بعدها، وص 76 وما بعدها.
[4] - علوم الصوتيات عند ابن سينا محمد صالح ص 25
[5] - السماع الطبيعي لابن سينا ص 324

المنظور فتح لابن سينا (ت 427هـ) أبواب دراسة الحركة فيزيائيا من حيث السرعة وقياسها، وكذا الحافز أو القوة والكيف. ويربط الحركة بالزمان والمؤءثكان ويكون قد سبق عصره بالتنبه إلى ما تسميه الفيزياء الحديثة بالـ"كتلة" المؤثرة في سرعة الحركة. وقد ميز بين سرعة الضوء والصوت.[1]

ومما سبق يرى ابن سينا (ت 427هـ) أن الحركات في الأجسام تتعلق بأسباب ومتعلقات خاصة في الأجسام الجامدة حيث تكون حركاتها قسرية، توضيح للحركات.

فالحركة تكون بوجود متحرك ومحرك أو سبب لقيام الحركة. ويفصل ابن سينا في بداية الحركة ثم مسارها ثم غايتها ثم الزمان الواقع فيه، ويركز كثيرا على سبب الحركة لأنها الأصل في المتحرك، يقول: «واعلم أن الحركة قد تتعلق بأمور ستة هي المتحرك، والمحرك، وما فيه، وما منه، وما إليه والزمان. أما تعلقها بالمتحرك فأمر لا شبهة فيه. وأما تعلقها بالمحرك فلأن الحركة إما أن تكون للمتحرك عن ذاته من حيث هو جسم طبيعي أو تكون صادرة عن سبب، ولو كانت الحركة له لذاته لا لسبب أصل، لكانت لحركة لا تعدم البتة ما دام ذات الجسم المتحرك بها موجودا. لكن الحركة تعدم عن كثير من الأجسام وذاته موجودة، ولو كانت ذات المتحرك سببا محركة حتى يكون محركا ومتحركا لكانت الحركة تجب عن ذاته. لكن لا تجب عن ذاته إذ توجد ذات الجسم الطبيعي، وهو غير متحرك».[2] فالحركة تحدث عن قوة تكون في المحرك بها يندفع مهما كانت طبيعة الحركات، قسرية أم طبيعية أم عرضية.[3]

انفرد ابن سينا (ت 427هـ) بدراسة مميزة للأصوات لا نكاد نجد لها نظيرا في عصره، وفي مقابل اتجاهه الطبي والفلسفي في معالجة المواضيع الصوتية نجد علماء القراءة والتجويد يبحثون في الأصوات بنفس آخر، فعالجوها بطريقة مختلفة لا تكاد

[1] - ينظر السماع الطبيعي ، ص 324
[2] - السماع الطبيعي، ص 87
[3] - ينظر السماع الطبيعي، ص 228

تتقاطع مع أعمال ابن سينا (ت 427هـ) ، وهذا دليل على أن القـرن الخـامس الهجريقـد أوجد توجهات بحثية مختلفة.

مفهوم القراءة والتجويد والترتيل

يدفعنا البحث الصوتي عند علماء القـراءة والتجويـد للوقـوف علـى بعـض المصطلحات القرائية، ومحاولة تحديدها وفهمها حتى يتسنى لنا استنباط جهود القراء في مجال الدراسات الصوتية.

1-القراءة:

أ- لغة: القراءة مصدر من قرأ يقرأ قرآنا، بمعنى تلا فهو قارئ[1]، والهمزة في قرأ تكون ثابتة ومهملة حسب ابن جني.[2] ونجد لقرأ، القرء والقراءة والقرآن والاقتراء.[3] ومنه قرأت الكتاب قراءة وقرآنا.[4] وسمي القرآن قرآنا لأنه جامع للسور[5]. جاء في اللسان «..والقرآن والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض».[6]

فالقرآن من قرأ بمعنى جمع وضم بعضه إلى بعض، قالت العرب: وما قرأت جنينا قط أمي لم يضطم رحمها على ولد.[7] وفي معنى آخر لم تلقه، ومنه معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا أي ألقيته.[8] والهمزة في قرأ ثابتة وقد تخفف، « وقد تحذف الهمزة منه تخفيفا فيقول قران، وقريت وقار».[9] ويرى ابن جني أن الهمزة في قرأ أصلية وحين إبدالها تصبح قريت مبدلة من قرأ.[10]

ويروي عن الشافعي أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول:«القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله- مثل التوراة والإنجيل ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن».[11] وهذا ما ذهب إليه ابن القيم الجوزية،[12] في أن معنى الجمع والاجتماع ليس من معاني قرأ، والقرآن بالهمز، إذ يقر أن هناك فرق بين قرى يقرى وبين قرأ يقرأ، فالأولى يقصد بها الجمع، أما

---

[1]- ينظر الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري ت 128 هـ، تأليف عادل هادي حمادي العبيدي ط 1 1425/2005 الناشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة مصر ص 18. والقراءات وأثرها في علوم العربية د محمد سالم محيسن ط 1404/1984 دار الاتحاد العربي للطباعة 1/9

[2]- ينظر الخصائص 3/153.

[3]- ينظر لسان العرب ط 1 دار صادر، دار إحياء التراث العربي 1/128

[4] - ينظر لسان العرب، 1/128

[5]- ينظر الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري ص 18

[6]- اللسان 1/124، دار صادر

[7] - ينظر اللسان 1/123 ، دار صادر

[8]- ينظر اللسان 1/124 ، دار صادر

[9] - اللسان 1/124 ، دار صادر

[10]- ينظر الخصائص 1/153

[11]- لسان العرب 1/124

[12]- ينظر زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 7، 1407 هـ

المهموز فيحمل معنى الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد، ومنه قراءة القرآن، لأن قارئه يخرجه مقدارا محدودا لا يزيد ولا ينقص.[1]

ولعل إلى هذا قصد الأستاذ عادل العبيدي حين وضح قوله تعالى من سورة القيامة «إن علينا جمعه وقرآنه»[2] أي وإثبات قراءته في لسانك.[3] ويبدو من الآية المذكورة أعلاه من سورة القيامة تدل على أن الله سبحانه وتعالى قد فرق بين الجمع والقرآن إذ عطف الثانية على الأولى.[4] وورد عند ابن كثير أن الجمع هنا يقصد به جمع القرآن في الصدر،[5] أما قرآنه، فهو قراءته وتلاوته.

أما الزركشي(794هـ) فيفرق بين القرآن والقراءات بقوله: «واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد(ﷺ) للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما».[6] وخالفه في ذلك بعض الدارسين المتأخرين إذ يرى محمد سالم محيسن أن القرآن مرادف للقراءة، وأن الزركشي قد جانب الصواب وفي هذا يقول:«ولكنني أرى أن الزركشي مع جلالة قدره، قد جانب الصواب في ذلك، وأرى أن كلا من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد. يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات... إذا فهما حقيقتان بمعنى واحد».[7]

ب- اصطلاحا:

---

[1]- ينظر القراءات القرآنية نشأتها، أقسامها، حجيتها، د. خير الدين سيب، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ص 14

[2]- القيامة: 18

[3]- ينظر مصطلحات القراءة عند الجحدري، ص 18

[4]- ينظر التبيان في إعراب القرآن التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، 1407 هـ، 1987م، ص 1253 وما بعدها، لكنه لم يقف على هذه الآيات من الآية 15 إلى الآية 21 من سورة القيامة. وقد أقر الأستاذ محي الدين درويش أن لفظه تعالى {قرآنه} معطوفة على قوله {جمعه} يراجع إعراب القرآن الكريم وبيانه، تأليف الأستاذ محي الدين الدرويش، ط 7، 1420 هـ 1999 م، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الأرشاد للشئون الجامعية حمص سورية 8/148 الجزء التاسع والعشرون والثلاثون .

[5] - ينظر تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774 هـ، قوبلت هذه الطبعة الجديدة المدققة علة جميع النسخ الخطية في دار الكتب المصرية وعلى جميع النسخ المطبوعة، وتمتاز هذه الطبعة بفهرس تفصيلي لجميع آيات القرآن الكريم، أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 7/169

[6]- البرهان في علوم القرآن بدر الدين بن محمد الزركشي، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1408 هـ 1988 م، 1/318

[7]- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ط 1404هـ 1984م. 1/10 و 11.

في اصطلاح القراءة نجد تعاريف كثيرة، متقاربة، ومتطابقة، وأخرى فيها بعض الاختلاف، ويمكن أن نورد في مفهوم القراءة قول ابن الجزري في كون القراءة هي «علم كيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها معزوا لقائله»،[1] أو أنها «علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف».[2]

ورغم ابتعاد الزمن بين التعريفين إلا أنهما يتفقان في أهم عناصر القراءة، وهي العلم وكيفية الأداء، والنسبة ومن التعريفات الأكثر تبسيطا وتوضيحا لمفهوم القراءة نجد «النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي (ﷺ) أو كما نطقت أمامه فأقرها، سواء أكان النطق باللفظ المنقول عن النبي (ﷺ) فعلا أم تقريرا، واحدا أم متعددا».[3]

وأهم ما يمكن أن تجمع عليه هذه التعريفات وغيرها، يكمن في كون القراءة علم مظبوط منقول عن النبي (ﷺ) كما أنزل عليه من الله سبحانه وتعالى، كما نقلت عن شخصه (ﷺ) ، فهي كما نطق به الرسول الكريم (ﷺ) وفقا وطبقا لما سمعه وعلمه إياه جبريل عليه السلام.[4]

من هنا يتبين أن القراءات منزلة، فهي وحي بدليل الأحاديث النبوية الصحيحة، فعن عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه- قال: « سمعت هشام بن حكم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ﷺ) فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله- (ﷺ)،فكدت أساوره في الصلاة، فتبصرت حتى سلم،فلببته برادئه،فقلت :من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال:أقرأنيها رسول الله (ﷺ) ، فقلت: كذبت فإن رسول الله (ﷺ) قد أقرأنيها على غير ما قرأت،

[1] ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحق محمد حبيب الله الشنقيطي، وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 3

[2] ـ القراءات وأثرها في علوم العربية،1/10.

[3]ـ القراءات القرآنية تاريخ و تعريف عبد الهادي الفضلي، دار العلم للملايين، بيروت 1981، ص 56، والظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري، ص 18

[4]ـ ينظر القراءات وأثرها في علوم العربية، 1/10

فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت: إنــي سـمعت هـذا يقـرأ بسـورة الفرقـان علـى حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله: أرسله. اقرأ يـا هشـام، فقـرأ عليـه القـراءة الـتي سمعته يقرأ، فقال رسول الله: كذلك أنزلت ثم قال :اقرأ يا عمر، فقـرأت القـراءة الـتي أقرأني، فقال رسول الله:كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[1] .

يؤكد هذا الحديث أن القراءات القرآنية، ومنه القرآن الكريم قد تناقله الصحابة مشافهة وسماعا عن النبي (ﷺ)، وذلك لمعرفة كيفية أداء الحروف ونطق الأصـوات، وهذا دليل على أن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع و المشافهة[2].

ولعل هذا ما جعل بعض العلماء ينهون عن الأ خذ من المصاحف سواء أكـان قرآنا أم علما، إذ يروى أن حمزة الزيات أحد القراء السبعة أنه كان يتعلم القـرآن مـن المصحف فتلا قوله تعالى من سورة البقرة «ألم ذلك الكتاب لا زيت فيه» بـدلا مـن ريب، وأبوه يسمع،فنهاه عن حفظ القرآن من المصـحف ، وأمـره أن يتعلـم ذلـك مـن أفواه الرجال.[3]

فالسماع إذا والمشافهة هو ما آثره النبي، ويرى الأستاذ عطية قابل النصر أن ذلك «يحتمل أن يكـون الرسـول (ﷺ) قـد أحـب أن يسـمعه مـن غيـره ليكـون عـرض القرآن سنة يحتذى بها، كما أنه يحتمل أن يكون ليتدبره ويتفهمـه وذلـك لأن المسـتمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها».[4] لكـن أعتقد أن الأمر أبعد من ذلك، فالنبي (ﷺ) قد فهم الطبيعة النطقية للغة العربيـة والـتي يستدعي تعلمها وبخاصة القرآن الكريم مشافهة، لما فيه من خصـائص نطقيـة لهجيـة

[1] - حديث هشام موجود في صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزية البخاري الجعفي، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث 4992 5/ 417، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان .

[2] ـ ينظر القراءات و أثرها في علوم العربية 1/10 .

[3] - ينظر شرح ما يقع فيه التصحيف التحريف، ألفه أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (382ه)، تحق، عبد العزيز أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،مصر 1383ه-1963م،ص 12 .

[4] ـ غاية المريد في علم التجويد، عطيه قابل نصر، ط 6، 1420ه -2000م، توزيع دار التقوى .

خاصة، كالإمالة، والتخفيف،والترقيق، وكذا الإشمام و الروم،وخلاف ذلك، وهذه كلها ليست لها بيانات خطية في اللغة العربية.

و بعيدا عن ذلك كله فإن النبي (ﷺ) كان يحب سماع القرآن من عبد الله بن مسعود، و قد صح في الأثر أنه أبكى النبي (ﷺ) ،و ثبت عنه أنه قال (ﷺ): «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأ ابن أم عبد ».[1]

فالسماع يخشع القلوب فيسلبها، ويقرب النفس من خالقها، فكم من كافر أسلم لأنه استمع لآي من القرآن، فكان الاستماع للقرآن كالقارئ له لما يتبعه من تدبروتمعن، فقد روي أن جماعة من اليهود و النارى أسلمت لما سمعوا «الإمام أبو محمد عبد الله بن علي البغدادي المعروف بسبط الخياط مؤلف المبهج و غيره في القراءات –رحمه الله– أنه... أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته».[2]

فالمشافهة أساسية في تعلم حسن الأداء و من تم حسن القراءة و التجويد مما يجعل المتقن لذلك يتحسس كل خفي وكل جلي للحن، فابن الجزري يربط بين الإدراك للحن الخفي لا يكون إلا عند علماء تلقنوا أسس التلاوة بالمشافهة،«... و أن الخفي يخل إخلالا يختص بمعرفة علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوا من أقوال العلماء وضبطوا عن ألفاظ أهل الأداء الذين ترتضى تلاوتهم؛ ويوثق بعربيتهم؛ و لم يخرجوا عن القواعد الصحيحة،و النصوص الصريحة، فأعطوا كل حرف حقه؛ ونزلوه منزلته وأوصلوه مستحقه، من التجويد والاتقان، والترتيل والإحسان . »[3]

إن المشافهة أصل في تلقين القرآن و تجويد حروفه،و لا يتم ذلك إلا بحسن الاستماع، وليس بالنقل، ونجد ذلك في أكثر من نص و قول كالذي ذكره أبوبكر

---

[1] - الحديث موجود في سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القرويني ابن ماجه،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، في باب فضل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – رقم الحديث 138، ص 49.

[2] - النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة فضيلة الأستاذ علي محمد الضباع، شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1/213.

[3] - النشر في القراءات العشر 1/211.

أحمد، في شرح قول أبي عمرو الداني(ت 444هـ) [1] «أي ليس بين التجويد و تركه فرق إلا رياضة امرئ أي مداومته على القراءة والتكرار والسماع من أفواه المشايخ الحذاق». [2]

الحرف عند القراء:

لقد تعددت الأقوال حول مفهوم الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم فقد«اختلفت عبارات العلماء في عدد الأقوال المنقولة في تفسير معنى الأحرف فمنهم من ذكر أنها خمسة و ثلاثون قولا». [3] وهذا دليل على اهتمام العلماء قديما و حديثا بأمر و كنه الحروف السبعة، وإن لم يثبت أنه ورد عن النبي (ﷺ) توضيحه طبيعة الحروف السبعة والاختلافات الممكنة بينها، وهذا لأنها كانت واضحة عند الصحابة رضوان الله عليهم، فعدم سؤالهم دليل على عدم خفائه عليهم [4] .

و أهم ما جاء حولها أنه ليس المقصود بالحروف السبعة هي تلك القراءات السبعة المشهورة، وقد اتفق العلماء على ذلك [5]، و منهم مكي بن أبي طالب القيسي الذي يقول:«فإن سأل سائل فقال هل القراءات التي يقرأ بها الناس اليوم و تنسب إلى الأئمة السبعة كنافع و عاصم و أبي عمرو و شبههم هي السبعة الأحرف التي أباح النبي(ﷺ) القراءة بها ... فالجواب عن ذلك أن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وحت روايتها عن الأمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، و وافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان». [6]

---

[1] - «و ليس بين التجويد و تركه إلا رياضة من تدبره.» التحديد في الاتقان و التجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، دراسة وتحقيق، د/غانم قدوري الحمد، ط 1، 1407هـ-1988م، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، طبع ونشر وتوزيع مكتبة دار الأنبار، الرمادي، العراق، ص 70.

[2]- ينظر هامش ص 70 من المصدر السابق.

[3]- القراءات القرآنية (تاريخها، ثبوتها، حجيتها، و أحكامها)، عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، أشراف و مراجعة و تقديم أد/ مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلا مي، ص 103 .

[4] - ينظرالقراءات و أثرها في علوم العربية، د/ محمد سالم محيسين،1/19.

[5]- ينظرالقراءات و أثرها في علوم العربية، د/ محمد سالم محيسين،1/19.

[6] - الإبانة عن معاني القراءات أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت (437هـ)، تحق، د/ محي الدين رمضان، ط 1، 1399هـ -1979م، دار المأمون التراث،دمشق،سوريا،ص 21 .

وأفاض العلماء من أهل الاختصاص في توضيح طبيعة هذه الاختلافات، و يكاد يجمع هؤلاء على امتداد الحقب الزمنية المتعاقبة أن «حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي (ﷺ) اختلاف تنوع و يغاير،لا اختلاف تضاد و تناقض،لأن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى ... ».[1]

فهذا التنوع الوارد قد يشير إلى التنوع اللغوي واللهجي للغة العربية، وهذا يؤكده قول الإمام علي بن أبي طالب (ت 40هـ) وعبد الله بن عباس (68هـ) -رضي الله عنهما: «نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب ثم قال ابن عباس :أن النبي () كان يقرئ الناس بلغة واحدة،فاشتد ذلك عليهم فنزل جبريل، فقال: يا محمد أقرئ كل قوم بلغتهم».[2] ، ومن هنا جاء تحديد ابن الجزري للقراءة الصحيحة أكثر دقة و وضوحا فهي «كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالا، وصح سندها،فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها،و لا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن و وجب على الناس قبولها ...».[3]

هذه هي الأركان الثلاثة للقراءة الصحيحة المتعارف عليها، وأهمها -كما يظهر- موافقتها لخط المصحف العثماني الذي يحتمل «لأكثر من حرف إذ لم يكن منقوطا و لا مظبوطا، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية ... فجاز لنا أن نقرأ بما صحت روايته، مما يحتمله ذلك الخط لنتحرى مراد عثمان رضي الله عنه – ومن تبعه من الصحابة و غيرهم».[4]

وبهذا فالأحرف السبعة منزلة، وقد قرأ وأقرأ بها النبي (ﷺ) وأقرها فلا يجب أن تنسب إلى القراء، «فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين، قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة التي نص عليها النبي (ﷺ)، هذاخطأ عظيم، أكان ذلك

[1] - القراءات و أثرها في علوم العربية 1/35.
[2] - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة(ت 665هـ)، ط 1، 1395هـ-1975م، دار صادر، بيروت، لبنان،ص 90.
[3] - النشر في القراءات العشر 1/9.
[4] - الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي ص 25.

بنص من النبي (ﷺ) أم كيف ذلك، و كيف يكون ذلك، و الكسائي أنما ألحق بالسبعة بالأمس، في أيام المأمون»[1].

ولعل أقرب المعاني للحروف السبعة هو لغات[2]، و ينقل ابن الجزري عن أبي عمرو أن «الأحرف جمع حرف في القليل كفلس و أفلس و الحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى (يعبد الله على حرف) الآية فالمراد بالحرف هنا الوجه أي على النعمة والخير...»[3]، ويوافق على هذا الرأي و يراه الأقرب إلى الصواب و المنطق، يقول: «و كلا الوجهين محتمل إلا أن الأول محتمل احتمالا قويا في قوله (ﷺ)».[4]

وفتح اختلاف القراءات و تعددها الباب أمام ما يسمى بالاحتجاج في القراءات، وهو الذي ينسبه ابن جني ويراه من أعمال اللغويين فيقول:«فكأنما كان تأليف القراء الكتب في جمع القراءات و نسبتها و البحث عن إسنادها داعيا لعلماء اللغة أن يؤلفوا الكتب في الاحتجاج لها، فقد مهدت أمامهم السبيل، ومدت لهم الأسباب، فكان جمع القراءات الخطوة الأولى والاحتجاج لها الخطوة التالية.»[5] .
وللاحتجاج مصطلحات متقاربة في المعنى، على نحو: علل القراءات، و وجوه القراءات، و معاني القراءات، و تخريج القراءات. [6]

أما التأليف فيه فجاء متأخرا بالنسبة لكتب القراءة، وهذا ما يدل عليه قول ابن جني السابق، وتكشف عنه عناوين الكتب المؤلفة في هذا المجال و لعل أشهرها كتاب الكشف لمكي بن أبي طالب القيسي الذي يذكر في مقدمته :«كنت قد ألفت في المشرق كتابا[7] مختصرا في القراءات السبع...وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورين، وأضربت

---

[1] - الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي ص 27و 28.
[2] - ينظر القراءات وأثرها في علوم العربية 1/35.
[3] - النشر في القراءات العشر 1/23.
[4] - النشر في القراءات العشر 1/23.
[5] - المحتسب في تبيان وجوه شواد القراءات و الايضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني،تحق،علي النجدي ناصف، و د/عبد الحليم النجار، و د/عبدالفتاح شلبي،المجلس الأعلى للشئون الأسلامية، القاهرة، مصر، 1999م.
[6] - ينظر توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة و تفسيرا و إعرابا، د/عبد العزيز بن علي الحربي، ط 1، 2003هـ، دار ابن حزم،الرياض، المملكة العربية السعودية،ص 27.
[7] - يقصد كتابه التبصرة .

فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات، طلبا للتسهيل وحرصا على التخفيف، و وعدت في صدره أني سأؤلف كتابا في علل القراءات،و وجوهها، وأسميه (كتاب الكشف عن وجوه القراءات)...».[1]

وعلى أهمية كتاب القيسي يذهب بعض الدارسين إلى أن كتاب ابن مجاهد (ت 324هـ) كتاب السبعة في القراءات كان ملهما لكتب أخرى في هذا الميدان، «فأكثر كتب الاحتجاج بني على كتاب في القراءات،جعل متنا له فمعاني القراءات للأزهري، وإعراب السبع، والحجة لابن خالويه، والحجة لأبي علي، وضعت على كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد.»[2] . و يعتمد عبد البديع النيرباني على بعض الأسباب المفسرة لذلك دون وجود قرائن ودلائل حقيقية – في رأينا – تثبت ما ذهب إليه.[3] و دون التوسع في هذا الرأي و الخوض في مدى صحته فإن كتاب ابن مجاهد يعد عمدة في مجال القراءة و الاحتجاج و التجويد أيضا.

2-التجويد:

1- لغة:

يعرف التجويد في اللغة عادة بأنه التحسين[4]، و قد يكون التجويد من جاد جود، ومنه الجيد ضد الرديء[5]، وجاء عند ابن منظور «جاد الشيء ... أي صار جيدا، و أجدت الشيء فجاد و التجويد مثله ...و أجاد أتى بالجيد من القول أو الفعل... ».[6]

ومنه يكون التجويد الإتيان بأحسن ما في القراءة من أداء الحروف، ونطقها، وإخراجها، وإتباع أحكامها. و يفسر أبو عمرو الداني(ت 444هـ) مصطلح التجويد دون

[1] - الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها، أبو محمد مكي بنأبي طالب القيسي، تحق، د/محي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5،1418هـ -1997م، 1/3و 4.

[2] - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، تأليف د/عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الحلبوني، ط 1، 1427هـ -2006م، ص 16.

[3] - ينظر الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ص 16وهامشها.

[4] - ينظر الملخص المفيد في علم التجويد،محمد أحمد معيد،ط 4 1418ه-1998م مط دار السلام القاهرة مصر ص 10و غاية المريد في علم التجويد عطية قابل نصر ص 39.

[5] - ينظر لسان العرب 4/110.

[6] - لسان العرب 4/110.

تفصيل أو بحث عن معان تأصيلية للفظ غير توضيح معناه اللغوي بقوله: «ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه، و بلوغ النهاية في تحسينه، و لذلك يقال : جود فلان في كذا، إذا فعل ذلك جيدا،و الاسم منه الجودة»[1] .

واكتسى لفظ التجويد المعنى المصطلحي فغطى على المعنى اللغوي، ويُقابل لفظ التجويد غالبا بلفظ التحسين والذي يعد من الألفاظ المقابلة لمفهوم التجويد في عهد النبي(ﷺ) مع مصطلحات أخرى استعملت في معناه، «مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، وهي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية لصفات النطق العربي»[2] .

2- **اصطلاحا :**

يتصل مفهوم التجويد بالقراءة والتلاوة، ويؤكد ذلك ابن الجزري في قوله: «فالتجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة»[3]. وهو أقصى درجات ضبط القراءة وتحقيق التلاوة، فهو حلية وزينة، لهذا أخر ابن الجزري الحديث عنه بعد التلاوة والتحقيق، وعرفه بقوله: «هو إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها مراتبها، و رد الحرف إلى مخرجه و أصله، و إلحاقه بنظيره و تصحيح لفظه و تلطيف النطق به على حال صيغته و كمال هيئته، من غيرإسراف ولا تعسف ولا تكلف »[4] .

لقد توصل ابن الجزري إلى أن التجويد ما هو إلا قراءة بالتحقيق، والذي يرتبط غالبا بالترتيل، و هذا ما نجده صريحا في قوله: «فأعطوا كل حرف حقه و نزلوه منزلة وأصلوه مستحقه، من التجويد والإتقان والترتيل والإحسان».[5]

[1] - التحديد في الاتقان و التجويد، للداني ص 70.
[2] - الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، د/غانم قدوري الحمد، ط 1986،1م- 1406هـ، مط الجلود، بغداد،العراق،ص 14.
[3] - النشر في القراءات العشر 1/212.
[4] - النشر في القراءات العشر 1/212.
[5] - النشر في القراءات العشر 1/211.

ويقرن الدارسون مصطلح التجويد بالقراءة والقراء وقد تأخر استعماله إلى القرون المتأخرة وبالضبط إلى الربع الأول من القرن الرابع للهجرة، و ينسب ذلك إلى أبي مزاحم الخاقاني (ت 325هـ)[1] .

لقد كان مصطلح التجويد غائبا بدليل غيابه عن أحاديث النبي (ﷺ) كما لم يستعمله القرآن الكريم[2]، و حكمة هذا الغياب يقابله عدم النضج المصطلحي من ناحية، ثم عدم إدراج التجويد في حكم الترتيل بالنسبة لقارئ القرآن، وإن كان مصطلح التحسين حاضرا، و هو اللفظ الذي أورده الخاقاني في قصيدته مقابلا للتجويد .

واستقر مصطلح التجويد وشاع استعماله في القرن الخامس بعد الهجرة بظهور مؤلفات مهمة تقعد له و تؤسس، فكان أول من استخدم مصطلح التجويد بعد ابن مجاهد أبوالحسن علي بن جعفر السعيدي (ت 410هـ) في كتابه التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي.[3]

ويعتبر الدارسون والمهتمون بعلم التجويد أن القرن الخامس الهجري كان بالفعل فترة نضج و استواء هذا العلم على يد علماء أمثال مكي بن أبي طالب القيسي (437هـ) وأبي عمرو الداني(ت 444هـ)، وإليهما ينسب الفضل في تأسيس وإرساء علم التجويد، «فبعد كتاب التنبيه على اللحن الجلي و اللحن الخفي للسعدي ...يظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد، هو الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي(437هـ) و التحديد لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت 444هـ)».[4]

وظهور مؤلفات كهذه والتي تعد المصدر الأول في ميدان التجويد دليل على نضج التصور المتكامل لهذا العلم وحدوده المصطلحية، وهذا واضح في مؤلفات علماء

---

[1] - ينظر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ص 15، و غاية المريد في علم التجويد ص 22.
[2] - ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة جمال للنشر، بيروت، لبنان.
[3] - ينظر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ص 16.
[4] - الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ص 17.

تلك الفترة، فبينما يعلن مكي بن أبي طالب أنه السباق في إفراد كتاب في هذا المجال في قوله: «وماعلمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى مثل ماجمعت فيه»[1]، فإننا نجد أبا عمرو الداني(ت 444هـ) قد استفاض في رسم حدود مصطلح التجويد وما يقابله من مصطلحات كالتحقيق والتلاوة وغيرها، يقول: «فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ومراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبر بفكه»[2].

فالتجويد هو حسن النطق بكلمات وألفاظ وحروف القرآن الكريم، ويرتبط ذلك ببحث العلماء على السماع والمشافهة في تعلم القرآن وضبط القراءات، «فلا بد من التلقي والمشافهة، لأن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة ».[3]

والسماع والمشافهة يرتبطان بمفهوم التجويد الذي يعتمد على حسن الأداء وكيفيته، ويشرح العلماء الكيفية بحسن النطق وصحته، وكلاهما منقول عن النبي ﷺ « ذلك أن القرآن نقل إلينا لفظه، ونصه، كما أنزله الله تعالى على نبينا محمد(ﷺ)، ونقلت إلينا كيفية أدائه كما نطق الرسول، وفقا لما علمه جبريل عليه السلام».[4]

لقد كان مصطلح التجويد غائبا في حين أن المفهوم كان مطروحا وموجودا مع القراء منذ زمن، ولعل الاهتمام به هو فتور طلاب العلم بأصول وأحكام القراءة خاصة إذا علمنا أن التجويد يجمع ثلاث محطات علمية دقيقة وهي العلم بمخارج الحروف، ثم صفاتها، ثم أحكام تركيبها في مفردات وألفاظ، يقول أبو عمرو الداني(ت 444هـ): «وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلك قياسا

[1] - الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي (437هـ)، تحق، د/أحمد حسن فرحات، توزيع دار الكتب العربية / مط دار المعارف للطباعة، دمشق، سوريا، 1393 هـ - 1973م،ص 42.

[2] - التحديد ص 70.

[3] - القراءات و أثرها في علوم العربية 1/10.

[4]- القراءات وأثرها في علوم العربية 1/9 و 10

وتمييزا، وهو الحاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعا وتقليدا، وهو الغبي الفهيه، والعلم فطنة ودراية آكد منه سماعا ورواية، وللدراية ضبطها ونظمها، وللرواية نقلها وتعلمها».[1]

فعلم التجويد ومصطلح التجويد نفسه كان غائبا، وأقدم نص جاءت فيه كلمة التجويد قريبة من المعنى الاصطلاحي ما جاء في قول ابن مجاهد(ت 324هـ)،[2] والنص أورده أبو عمرو الداني(ت 444هـ) في تقريبه بين لحن الإعراب وما يترتب عنه من اختلال وقلب في المعاني، وعدم تحقيق الحرف وحسن تجويده وما يترتب عنه من خلط في المعاني أيضا وقد جعل ابن مجاهد على إثر ذلك اللحن لحنان جلي وخفي، يقول أبو عمرو: «اعلموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يمكن لفظه ويوفى حقه من المنزلة التي هو مخصوص بها، على ما حددنا، وما نحدده، ولا يبخس شيئا من ذلك، فيتحول عن صورته ويزول عن صيغته، وذلك عند علمائنا في الكراهة والفتح كلحن الإعراب الذي يتغير فيه الحركات وينقلب به المعاني، كما حدثني الحسين بن شاكر السمسار، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحروف حقه من تجويد لفظه».[3]

ويصبح مصطلح التجويد خاصا بالقرن الخامس الهجريحيث استقر مفهومه، وأصبح علما على علم أفردت له مصنفات خاصة وموسعة وكان «أول من استخدم مصطلح التجويد بعد ابن مجاهد هو أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي المتوفى في حدود 410 هـ وشاع استخدام مصطلح التجويد بعد عصر السعيدي على نطاق واسع».[4] ورغم كون عبد الله بن يحي بن خاقان الخاقاني البغدادي (ت 325 هـ) يعد أول من صنف قصيدته الخاقانية[5] في التجويد بحسب بعض الباحثين القدامى والمتأخرين أمثال ابن

---

[1] ـ التحديد في الإتقان والتجويد للداني ص 69
[2] ـ ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري ص 15
[3] ـ التحديد للداني ص 118
[4] ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري ص 10
[5] - ينظر هامش ص 25 من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد حيث يذكر د/ غانم قدوري أنه حققها ونشرها في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، في العدد السادس (سنة 1980م). وتعد القصيدة الخاقانية أول مصنف في التجويد لموسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقرئ (ت 325هـ). مطلعها:
أقول مقالا معجبا لأولي الحجر * ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر
أعلم في القول التلاوة عـــائدا * بمولاي من شر المباهاة والفخـــــر
وأسأله عوني علم مــا نويتــه * وحفظي في ديني إلى منتهر عمري

الجزري، ومحقق كتاب الرعاية د/ أحمد حسن فرحات فإن القرن الرابع للهجرة كان بعيدا عن نشأة علم التجويد المتفق عليه، ويلقي الضوء بنوع من التفصيل غانم قدوري على القرن الرابع وخلوه من مؤلفات في هذا العلم المستحدث، بل تكاد عناوين علوم القرآن تنعدم من مصطلح التجويد ومفهومه، يقول: «وحين رجعت إلى كتاب الفهرست لابن النديم المتوفى سنة 385 هـ على الأرجح، لم أجده يذكر أي كتاب يحمل اسم التجويد أو يمكن أن يكون موضوعه هذا العلم، على الرغم من أنه ذكر في الفن الثالث من المقالة الأولى من كتاب مئات الكتب المؤلفة في علوم القرآن».[1]

وبعد السعدي في القرن الخامس الهجري نجد مجموعة من المؤلفات تظهر عناوينها بمصطلح التجويد، ومضمونها يقنن لعلوم القراءة والتلاوة والتجويد، ويعد الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي(437هـ) والتحديد لأبي عمرو الداني(ت 444هـ)من أشهرها «و حين نتقدم خطوة إلى الأمام و ندخل في القرن الخامس الهجري نجد أن المؤلفات في علم التجويد يتتابع ظهورها حتى إننا لنجد أن معظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت في هذا القرن، فبعد كتاب (التنبيه على اللحن الجلي و اللحن الخفي) للسعدي الذي ظهر في نهاية القرن الرابع أو السنين الأولى من القرن الخامس يظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد، هما الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي(437هـ) و التحديد لأبي عمرو بن عثمان بن سعيد الداني(ت 444هـ)»[2].

وكان هذا أحد الأسباب التي جعلتنا نعتمد عليهما في دراسة الصوت عند علماء التجويد، وأهمية الكتابين تظهر في مقدمتهما، إذ يعتبران خلو الساحة من مؤلفات مشابهة دافعا وراء تقديم المؤلفين، ففي الرعاية نجد قول صاحبه: «وما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، و لا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى ما اتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله

ينظر أبحاث في علم التجويد د/ غانم قدوري الحمد، دت ،ودط ،ص 28.
[1] ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري ص 17 .
[2] ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري ص 17.

تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه ، والتحفظ به عند تلاوته»[1]، وفي التحديد يقول الداني(ت444هـ): «أما بعد فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا ومقرئي دهرنا تجويد التلاوة وتحقيق القراءة، وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه وحث نبيه(ﷺ) وأمته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل والترتيل أن أعملت نفسي لأي رسم كتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ، في وصف علم الإتقان والتجويد، و كيفية الترتيل و التحقيق»[2].

يؤكد النصان غياب علم التجويد حتى القرن الخامس للهجرة، وأهم من ذلك اقتران مصطلح التجويد بالقراءة والتلاوة حيث تصل النتيجة إلى أن الفرق بين القراءة والتجويد كالتمييز بين النظري والتطبيقي، فعلم التجويد يبحث في حقيقة صفات الحروف وكيفيتها وماهيتها، أما القراءة فهو نقل كيفية تحقيق الحروف نقلا عن القراء دون البحث في صفات الحروف و كيفيتها .

فعلم القراءة يخالف علم التجويد «لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلا يعرف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا، وفي القراءة يعرف فخمها فلان ورققها فلان. و بهذا يندفع ما عسى أن يقال علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحروف كالإدغام والإظهار والمد والقصر والتفخيم والترقيق، وهي مباحث علم التجويد».[3]

ورغم ذلك فقد يتداخل المصطلحان في الاستعمال كون أصول و قواعد التجويد كانت موجودة لكن غير معلنة ومصرح بها فتنضوي تحت لواء القراءة فيكون المجود قارئا والقارئ مجودا. و ها هو المرعشي يستعمل لفظ التجويد بدلا من القراءة في قوله:«وتجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود ، بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله »[4] .

---

[1] - الرعاية ص 42.
[2] - التحديد في الاتقان و التجويد ص 68.
[3] - ترتيب العلوم ص 64 و 65 نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري ص 21 و 22.
[4] - جهد المقل ورقة 2ظ نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري ص 22.

فحدود التجويد والقراءة التجاور إذا عرفنا أن التجويد مهمته تحليل النظام الصوتي والمقطعي، والقراءة حسن إتباع ما وصل إليه التجويد وتطبيقه، «فعلم التجويد...يدرس النظام الصوتي للغة كان موضوعه تحليل ذلك النظام واستخلاص ظواهره و وضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها وإتقانها حين يستخدم اللغة».[1] ولا يغفل هذا القول ما لعلم التجويد وأحكامه من آثار بالغة على اللغة في كشف وضبط قواعدها انطلاقا من نطق أصواتها ولفظ حروفها مفردة ومركبة.

فلا أحد ينكر التوافق إن لم نقل التطابق بين علم التجويد وعلم الأصوات وموضوعه عند علماء اللغة، ولا يخفى على أحد ما للعلمين من ترابط ظاهر حين يستغل ذلك كله في مجال القراءة.

يلتقي علماء اللغة وعلماء التجويد في الاهتمام بالأصوات، وإن تأخر علماء التجويد عن علماء اللغة في ذلك بأكثر من قرن و نصف من الزمان.[2]وقد يعود ذلك لدوافع كل من الفريقين في دراسة أصوات العربية، إذ تطالعنا المصادر اللغوية القديمة أنه من بين أسباب دراسة الأصوات العربية في مجملها تصحيح النطق، ومحاولة رفع درجة الفصاحة عند الأعاجم، وذلك كله لا يخرج أبدا عن نطاق خدمة كتاب الله العزيز الحكيم .

و يكمن الفرق بينهما في كون دراسة علماء التجويد للأصوات، «يرتبط بشكل أساسي بمعالجة ما سموه باللحن الخفي، فقد قسموا اللحن إلى قسمين هما: اللحن الجلي، وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا: بأنه ميدان عمل النحاة والصرفيين. واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات أ وما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وقالوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد».[3]

---

[1] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري ص 22.
[2] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري ص 48.
[3] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري ص 50.

وقد كان اللحن أساس تأليف بعض كتب التجويد مثل عبد الوهاب القرطبي(ت 461هـ) الذي يجعل غاية كتابه الموضح توضيح اللحن الخفي المتسرب للناشئة وكان ذلك الدافع إلى تأليف كتابه الموضح، يقول: «و لما رأيت الناشئين من قرأة هذا الزمان وكثيرا من منتهيهم قد أغفلوا اصطلاح ألفاظهم من شوائب اللحن الخفي ، وأهملوا تصفيتها من كدره و تخلصها من درنه ، حتى مرنت على الفساد ألسنتهم، وارتاضت عليهم طباعهم، وصار لهم عادة، بل تمكن منهم تمكن الغريزة».[1]

وكان تقسيم اللحن وتبيين الخفي منه واهتمام علماء التجويد أساس دراستهم للأصوات، وترجع فكرة هذا التقسيم إلى ابن مجاهد (324هـ)، وتبناها من جاء بعده من علماء التجويد مع بداية القرن الخامس للهجرة، أمثال الداني(ت 444هـ) والذي يستشهد بكلام ابن مجاهد في كتابه التحديد[2]، والقرطبي(ت 461هـ) في الموضح قوله: «...أذكر فيه معنى اللحن موضوع اللغة، وحده، وحقيقته في العرف والمواضعة، والسبب الذي من أجله علق بالألسنة وفشا في كلام العرب، وأبين ما المقصود بالتنبيه عليه ...وأبعث على تجويد القراءة بذكر ما يستقبح منها ويستحسن ويختار منها و يستهجن»[3]، و مكي بن أبي طالب يشير إلى ذلك دون استعمال اللفظ يقول:«فيجب على كل من قرأ بأي حرف من السبعة أن يأخذ نفسه بتحقيق اللفظ وتجويده...فيسلم حينئذ من التقصير في لفظه، ويأمن من التحريف في قراءته السلامة من الخلل، والبعد من الزلل»[4].

ويكون القيسي قد ابتعد عن ذكر اللحن الخفي والخوض في معانيه ومصطلحاته، لربط التجويد والتلاوة بالعلم بالحروف وكيفية نطقها، مما يدفع الطالب إلى رياضة الألسن وتمرينها لإتقان نطقها، وهذا ظاهر جلي في عنوان كتابه الرعاية إذ يقول:«...و سميت

[1] - الموضح في التجويد، تأليف عبد الوهاب بن محمد القرطبي(ت 461هـ) ،تحق ، الشيخ جمال محمد شرف ، ط 1، سنة 1416هـ - 2005م ، دار الصحابة للتراث بطنطا ص 3.
[2] - ينظر التحديد ص 117.
[3] - الموضح في التجويد ص 8.
[4] - الرعاية، ص 42.

(ما ألفت من) ذلك كتاب الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف و مخارجها و صفاتها وألقابها»[1].

اتفق ما رامه القيسي مع ما ذهب إليه القرطبي(ت 461هـ) في بعض الصور الصوتية والنطقية للحروف، حيث يجعل اللحن الخفي لا يخل بالمعنى عكس اللحن الجلي الظاهر الذي يخل بالإعراب فيختل معه المعنى، لأنه تغير يلحق حركات الحروف فتتغير دلالة الألفاظ التي لأجلها وضعت، و قد يتغير معنى التركيب بأكمله لتغير أواخر الألفاظ، فاللحن الخفي عند القرطبي(ت 461هـ) هو: «وإن وافق الجلي في طروء الخلل على اللفظ به إلا أن طروءه غير مخل بالمعنى ولا مقصر باللفظ عن الدلالة على ما كان يدل عليه من قبل، لأن اللحن الخفي هو مثل تكرير الراءات، و تطنين النونات، و تغليظ اللامات، وإسمانها وتشريبها الغنة، إلى غير ذلك من إخفاء المظهر وإظهار المخفي، وتشديد الملين، وتليين المشدد، مما سنستوفي في ذكره فيما يستقبل من هذا الكتاب. وذلك غير مخل بالمعنى ولا مقصر باللفظ عن الدلالة عليه»[2].

وذهب القرطبي(ت 461هـ) إلى أن حسن أداء الحروف أثناء القراءة من العرف، مما يجعلنا نستنتج أن علم التجويد جاء استجابة لفساد ما تعارفت عليه الأعراب في أداء الحروف ، إذ جعل ذلك مشتركا بين اللحن الخفي والجلي، ففي تعريفه لهما يقول أن اللحن الجلي هو: «...خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى و العرف»[3]. أما اللحن الخفي فهو:«يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف الجالب للرونق والحسن»[4]. والرونق والحسن لا يكون إلا بحسن التنقل بين الألفاظ بأداء حروفها أداء يميز كل صوت عن آخر مع مراعاة تجاورها، ولا يخرج هذا عن العرف الذي اصطلح عليه القرطبي(ت 461هـ).

[1] - الرعاية ص 43.
[2] - الموضح ص 14.
[3] - الموضح ص 11.
[4] - الموضح ص 11.

ويلتقي الداني(ت 444هـ) مع القيسي في كون اللحن الخفي يتخلص منه في التعرف على الأصوات من حيث الصفات و المخارج فيسهل أداؤها، فالداني(ت 444هـ) يتحدث عن اللحن الخفي ويعرفه تحت«باب ذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها و تعمل بيانها و تلخيصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها»[1].

وارتبط اللحن الخفي ارتباطا وثيقا بالتجويد و كان لا يدركه إلا علماء القراءة، وقد جمع ابن الجزري ما يتعلق بالتجويد في تعريفه له: «فالتجويد هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به في حال صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف»[2].

فالمتمعن في التعريف يجد أن التجويد ما هو إلا فصاحة النطق بحروف العربية، بإعطاء الحروف حقوقها مقابل تركها في اللحن الخفي.[3] و قد ذكر ذلك ابن الجزري حين وضح طبيعة التجويد قائلا:«فليس التجويد بتمضيغ اللسان ولا تقعير الفم، ولا تعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، و لا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراآت، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة...ولا تخرج عن طباع العرب و كلام الفصحاء، بوجه من وجوه القراءات والأداء»[4].

فهذا معناه اتباع السليقة والفطرة اللغوية السليمة في نطق الحروف والوقف عليها في قراءة القرآن الكريم، ولا يكون ذلك إلا بالسماع ورياضة الألسن على النطق السليم للحروف مفردة ثم مركبة. وهذا في اعتقادي ما جعل علماء التجويد يقدمون تصورا شاملا وناجحا ومميزا في دراسة الأصوات مفردة ومركبة بالفصل بين دراسة مخارج الحروف

---

[1] - التحديد ص 118.
[2] - النشر 1/212.
[3] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري ص 58.
[4] - النشر 1/213.

وصفاتها ثم طبيعة هذه الحروف في التركيب، فصفات الحروف تتغير بمجاورتها لحروف أخرى، وتعطي لصفاتها تناغما وانسجاما يختلف حسب محل وجودها، ولعل الاهتمام بالجزء الأول من الدراسات هو الذي أفرز اهتماما أكبر بالجزء الثاني، وهو الغاية التي كان يصبو إليها بعض اللغويين وعلى رأسهم سيبويه(ت 180هـ) حين قال أن غايته من وصف الحروف هو «لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه»[1].

لهذا يرى غانم قدوري أنه قد «تحققت لعلماء التجويد بذلك فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة، لم تحقق للنحاة الذين تشغلهم دراسة الأصوات لمعالجة بعض القضايا الصرفية»[2].

فقد ضمن النحاة الأوائل كتبهم كل محاور الدراسات اللغوية وكانت الدراسات الصوتية في جلها مطية لشرح وتوضيح مسائل في النحو والصرف خاصة، كما عند سيبويه(ت 180هـ) والمبرد، ولم يكن الحال كذلك عند المتأخرين عنهم كابن جني الذي نجد في مؤلفاته بعض التميز والتفرد والتخصص مثل كتابه المحتسب في القراءات وكذا سر صناعة الإعراب الذي يعد مقدمة رائدة في دراسة الأصوات، ومع ذلك تنسب هذه الكتب إلى الدراسات اللغوية العامة التي تنم عن عبقرية ابن جني في استخلاص المسائل اللغوية عامة سواء أكنت صوتية أم نحوية أم صرفية .

وإن كانت غاية اللغويين وعلماء التجويد واحدة إلا أن هؤلاء اعتمدوا الفصل بين مواضيع البحث التي تبدو لأول وهلة متداخلة وتنتمي إلى تخصص واحد و تحت عنوان واحد، فنجد للكاتب الواحد عناوين عدة كل واحد منها يعالج وجها من أوجه البحث في القراءة والتجويد، فمثلا مكي بن أبي طالب القيسي الذي يملك مجموعة كتب، كل واحد

[1] - الكتاب 4/436.
[2] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري ص 59.

منها خصه بجانب دون تداخل أو إخلال مما جعل رمضان عبد التواب يقر بأستاذية مكي بن أبي طالب في علم القراءة و التجويد.[1]

ففي كتاب التبصرة يقول مكي بن أبي طالب:«فجمعت في هذا الكتاب من أصول ما فرق في الكتب، و قربت البعيد فهمه على الطالب، ...و الإتيان بتمام المعاني مع الاختصار ليكون تبصرة للطالب و تذكرة للعالم حتى قويت نيتي في كتاب قد علقت أكثره،...أذكر فيه كشف وجوه القراءات واختيار العلماء في ذلك، ومن قرأ بكل حرف من الصدر الأول و أقاويل النحويين وأهل اللغة، ...أسميه الكشف عن وجوه القراءات».[2] فهو يبين في كل مؤلف الغاية و الهدف من تصنيفه. و لا يختلف الأمر لكثير من معاصريه كأبي عمرو الداني(ت 444هـ) في كتابه الإدغام الكبير وكذا التحديد و المحكم، فكل واحد من هذه المؤلفات وضعت لأجل غاية محددة.

ينم هذا كله عن فهم عميق لقضيا القرآن عامة والفصل بينها بدقة متناهية، ولا أدل على ذلك من تلك المصطلحات المتقاربة والمفاهيم المتعددة في علوم القراءة والتجويد.

3-الترتيل:

الترتيل من الرتل، ورتل ورتل، والرتل حسن تناسق الشيء، ومنه جاء كلام رتل أي حسن، لأنه متناسق يذكر على تؤدة، ورتل الكلام أحسن تأليفه[3]، ويقال ثغر رتل أي مفلج، رؤي عن الأصمعي، «وفي الأسنان الرتل وهو أن يكون بين الأسنان الفرج، لا يركب بعضها بعضا»[4]. ومنه الترتيل مصداقا لقوله تعالى "ورتل القرآن ترتيلا".[5] وعن ابن مجاهد أن الترتيل هنا الترسل والتأن فيه.[6] أما أبوعمرو الداني(ت 444هـ) فيقول:«أي

[1] - ينظر مقدمة المحقق لكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها،لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ،تحق،د/محي الدين رمضان، ط 5 ، 1417هـ 1997م،مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، 1/15.
[2] - التبصرة في القراءات، لأبي محمد بن أبي طالب القيسي، حقق نصه و علق حواشيه، د/ محي الدين رمضان ، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، ط 1، 1405هـ -1985م، الكويت، ص 26.
[3] -ينظر لسان العرب 13/248.
[4] - التحديد للداني ص 71.
[5] - المزمل:4
[6] - النشر 1-208

أنزلناه على الترتيل وهو التمكث، وهو ضد العجلة».[1] وفسر أبو عمروالداني(ت 444هـ) المكث بالترسل[2] في قوله تعالى:«وقرآنا فرقناه لتقرأه على النـاس علـى مكـث».[3] أمـا ابـن عباس ففسر الترتيل في قؤله تعالى:«ورتل القرآن ترتيلا»[4] بالتبيين أي«بينه تبيينا».[5] أما الضحاك ففسر الترتيل بقوله:«انبـذه حرفـا حرفـا».[6] ويكـون الترتيـل بـذلك يجمـع كـل صفات التأني والترسل والتمهل فـي قـراءة القـرآن. وهـذه صـفة قـراءة النـبي(ﷺ)، فعـن أم سلمة-رضي الله عنها- أنها نعتت قراءة رسول الله(ﷺ) بأنها مفسرة حرفا حرفا.[7]

ويرتبط التحقيق بالترتيل بل «التحقيق داخل في الترتيل».[8] ذكر ابن الجـزري(83 3هـ) ذلك وهو يفسر ويشرح الترتيل، ويوضح صفة القراءة عند رسول الله(ﷺ مما يجعلنا نعتقد أن التحقيق كالترتيل، وهو ما ذهب إليه أبوالفضل عبد الرحمن بن أحمـد الـرازي(ت 454هـ) في قولـه:«القراءة على ثلاثة أوجه، ترتيل وحدر وزمزمـة، والتجويـد والإحسـان مصحوبا ها فالترتيل للفكرة والإفادة والرياضـة والحـدر للاسـتكثار والدراسـة. والزمزمـة القراءة في النفس خاصة. وهي ضرب من الحدر».[9]

ويحدد الداني(ت 444هـ) التحقيق بقوله أنـه الإتيـان بالشـيء علـى حقـه مـن غيـر زيادة فيه ولا نقصان،[10] والحق اسم من حقق عرف يقينا[11] ويفرق الداني(ت 444هـ) بيـن التحقيق والترتيل في كون الثاني «للتدبر والتفكر والاستنباط»[12] والأول «لرياضة الألسن وترقيق الألفاظ الغليظة وإقامة القراءة»،[13] فيكون بهذا التحقيق لـترويض وتـدريب اللسـان على حسن النطق والقراءة، وهذا أقرب إلى معنى التجويد، يروى عـن علـي _رضـي الله-

[1] - التحديد ص 71و 74
[2] - التحديد ص 73
[3] - الإسراء:17
[4] - المزمل:4
[5] - النشر 1 /208.
[6] - النشر 1/208.
[7] - التحديد ص 75
[8] - النشر 1 /208.
[9] - كتاب الإيضاح للرازي نقلا عن الدراسات الصوتية عندعلماء التجويد ص 577
[10] - التحديد ص 72
[11] - التحديد ص 72
[12] - التحديد ص 72
[13] - التحديد ص 72

عنه: «الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف».[1] وتكون التلاوة للتفكير في آي الله تعالى، ولا يكون الترتيل إلا بالتحقيق «فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيقا».[2] ورغم وجود هذا الفارق إلا أن الكثير من علماء التجويد تغاضوا عن الفرق بينهما فتعاملوا مع المصطلحين على أنهما مترادفين.[3]

ويستشهد ابن الجزري بقول أبي حامد الغزالي(ت 505هـ) الذي لا يربط الترتيل بالتدبر لأنه يتم بفهم المعاني، وإنما يربطه بالتمهل والتريث في القراءة والتوقير والاحترام للقرآن الكريم، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «اعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبرفإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا في القلب من الهدرمة والاحترام وأشد تأثيرا في القلب من الهدرمة والاستعجال».[4]

ولا يبتعد القرطبي(ت 461هـ) عن الداني(ت 444هـ) في تحديد أهمية التحقيق بالنسبة للقراءة والتلاوة بقوله: «وأما التحقيق فهو حلية القراءة وزينة التلاوة ومحل البيان ورائد الامتحان».[5] ويحدد التحقيق فلا يختلف مع الداني(ت 444هـ) فهو «إعطاء الحروف حقوقها، وترتيلها منازلها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله وإناقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، ولطف النطق به، فإنه متى غير ذلك زال الحرف عن مخرجه وحيزه».[6]

فالتحقيق إذا يرتبط بالجانب الصوتي النطقي الخالص، يعتمد فيه على طبيعة العربية وسليقة العرب وفطرتها المرتبطة بما نزل في القرآن الكريم من لغات العرب

[1] - النشر 1/ 209
[2] - النشر 1/ 209
[3] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 558.
[4] - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد(ت 505هـ) وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي(ت 806هـ)، طبعة جديدة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1/327. وينظر النشر 1/209.
[5] - الموضح ص 168
[6] - الموضح ص 168

كالمد والتشديد والتفكيك وغيرها من ظواهر نطقية قرائية لا يثبت أغلبها خطا، وإنما نطقا وقراءة، «فأصل التحقيق المد والهمز والقطع والتمكين والتشديد والتخفيف».[1]

كما يربط الداني(ت 444هـ) التحقيق بإقامة القراءة، فهو القراءة الحقة بإعطاء «كل حرف حقه من المد والهمز والإشباع والتفكيك، ويؤمن معه تحريك ساكن واختلاس حركة متحرك».[2] دون تفريط ولا إفراط. ويذكر القرطبي(ت 461هـ) ما جاء عن ابن مجاهد[3].

ولعل أفضل ما قيل في التحقيق ما يحدده ويوضحه ويضبطه قول الداني(ت 444هـ): «اعلموا أن التحقيق الوارد عن أئمة القراءة أن توفى الحروف حقوقها من المد إن كانت ممدودة، ومن التمكين إن كانت ممكنة، ومن الهمز إن كانت مهموزة، ومن التشديد إن كانت مشددة، ومن الإدغام إن كانت مدغمة، ومن الفتح إن كانت مفتوحة، ومن الإمالة إن كانت ممالة، ومن الحركة إن كانت متحركتن ومن السكون إن كانت مستكنة من غير تجاوز ولا نقص ولا إفراط ولا تكلف».[4]

وتتعدد المصطلحات وتتقارب وقد تتطابق في تبيين أصول قراءة القرآن، ويتفق علماء القراءة والتجويد على معظمها في توضيح ما يستحب وما يستهجن في القراءة. وقد وضع القرطبي(ت 461هـ) ذلك في «فصل في ذكر كيفية القراءة وبيان ما يستقبح منها ويستحسن ويختار منها ويستهجن».[5]

وقد ذيل القرطبي(ت 461هـ) هذا الفصل بما يمكن أن يعيق القراءة الصحيحة[6] بالالتزام بأصول الترتيل والتحقيق وغيره، فكتاب الله تعالى:«يقرأ بالترتيل والتحقيق

---

[1] - الموضح ص 168
[2] - التحديد ص 72
[3] - ينظر الموضح ص 81
[4] - التحديد ص 89
[5] - الموضح ص 182
[6] - الموضح ص 187 وما بعدها

وبالحدر والتخفيف وبالهمز وتركه، وبالمد وقصره، وبالبيان والإدغام، وبالإمالة والتفخيم».[1] فهذه كلها لا تكون إلا إذا كان لسان القارئ لا تعيبه بعض أمراض النطق والكلام كالحبسة واللثغة مثلا.

صفات القراءة الصحيحة:

للقراءة أضرب وردت عليها[2]، ضبطها بعض العلماء، نحو الداني(ت 444هـ) القائل: « وكتاب الله تعالى يقرأ بالترتيل والتحقيق، وبالحدر والتخفيف، وبالهمز وتركه، وبالمد وقصره، وبالبيان والإدغام، وبالإمالة والتفخيم».[3] فقد وقف أبو عمرو الداني(ت 444هـ) عند بعض هذه المصطلحات كالترتيل والتحقيق وكل ماله علاقة بالتجويد، ففصل فيها ووضع حدودها معتمدا في ذلك على آثار العلماء الأوائل، ووضع تصورا مضبوطا لقراءة القرآن والتي تظهر أكثر ضبطا وحصرا عند القرطبي(ت 461هـ)، الذي يجعلها عشرة أضرب، خمسة منها لم يؤثر عن العلماء بل ويستهجن القراءة بها، وخمسة أجازها العلماء بل استحبوا ذلك.

و يتضح من خلال الاطلاع على هذه المصطلحات أنها نطقية سمعية، فدقة النطق وصحته وجودته لا يتم إلا إذا صادق عليه السمع فوافق سليقة العرب وأحكام القراءة. ومما نهى عنه القراء، ما جاء في قول القرطبي(ت 461هـ): «خمسة منها الترعيد والترقيص والتطريب والتلحين والتحزين».[4] و سبب النهي عنها أنه: « ليس فيها أثر ولا نقل عن أحد من السلف رضي الله عنهم».[5] وأحكام التجويد والقراءة لا إبداع فيها بل وجب فيها الإتباع.[6] والكراهة في ذلك وارد عند الكثير من العلماء، نحو الأهوازي(ت 446هـ) الذي روي عنه أن « القراءة لا تطرب و لا ترجع».[7]

---

[1] - التحديد ص 72
[2] - يراجع الدراسات الصوتية عند الماء التجويد ص 54.
[3] - التحديد ص 72.
[4] - الموضح ص 182.
[5] - الموضح ص 182.
[6] - ينظر الموضح ص 182.
[7] - الموضح ص 182.

وقدم القرطبي(ت 461هـ) لهذه المصطلحات تعاريف مختصرة لكنها جاءت جامعة ومفيدة، نوردها فيما يأتي:

يقول القرطبي(ت 461هـ) عن **الترعيد** أنه الإتيان:«بالصوت إذا قرأ مضطربا كأنه يرتعد من برد أو ألم».[1] فالترعيد إذا كأنه اهتزاز يصاحب الأصوات أكثر مما تحتاجه و الأهم أنه يصاحب الأصوات التي تتصف بالتكرار أو القلقلة كالراء والقاف.

وعن **الترقيص** يقول القرطبي(ت 461هـ):«أن يروم السكوت ثم ينفر مع الحركة كأنه في غدو وهرولة و ربما دخل ذلك على من يريد التجويد والتحقيق وهو أدق معرفة من الترعيد».[2]

وعن **التطريب** يقول القرطبي(ت 461هـ):«أن ينعم بالقراءة و يترنم بها، و يزيد المد في موضعه وغير موضعه وربما إن في ذلك بما لا يجوز في العربية وربما دخل ذلك على من يقرأ بالتمطيط».[3]

وعن **التلحين** يقول القرطبي(ت 461هـ):«الأصوات المعروفة عند من يغني بالقصائد وإنشاد الشعر، وهي من ثمانية أركان وقد آت القرآن بالتاسع وليس هو في موضع أصواتها، و الذي يلحن إذا أتى باللحن لا يخرج منه إلى هواه».[4]

وأما **التحزين** فيكون بتغيير نبرة الصوت بتليين وخفض نغمته وقد يبدل القارئ من عادات القراءة السليمة، يقول عنه القرطبي(ت 461هـ):«وأما التحزين فإنه ترك القارئ طباعه وعاداته في الدرس إذا تلا فيلين الصوت ويخفض النغمة كأنه ذو خشوع وخضوع، ويجري ذلك مجرى الرياء لا يؤخذ به ولا يقرأ على الشيوخ إلا بغيره».[5]

[1] - الموضح ص 183.
[2] - الموضح ص 183.
[3] - الموضح ص 183.
[4] - الموضح ص 183.
[5] - الموضح ص 183.

الفصل الثاني

الجهاز النطقي عند علماء القرن الخامس الهجري

- مُصدر الصوت (الجهاز الناطق)
- مُستقبل الصوت (الجهاز السمعي)
- معوقات التواصل انطلاقا من عيوب النطق والسمع
- العادات النطقية

اهتم علماء القرن الخامس الهجريبشرح أعضاء النطق، وإبراز دورها في إنتاج الأصوات، ويعد ابن سينا (ت 427هـ) من أبرز من قام بذلك لأنه وظف كل الجوانب العلمية والفلسفية والطبية، وكان من إبداعه ربط التشريح ووصف أعضاء النطق بمخارج الحروف، لكن المؤكد أن نهجه هذا قد أثر فيمن جاء بعده سواء كانوا علماء لغة أم تجويد.

إن الدقة في تشريح العضو، وتحليل دوره وربطه بغيره في أداء وظيفته، سمة عند ابن سينا(ت 427هـ) وفكره. فنراه الطبيب العالم بتشريح الأجزاء، والملم بوظائفها، والدقيق في استعمال المصطلح، وفي الشرح والوصف الموجز غير

المستطرد. وقبل التطرق لأعضاء النطق والتصويت عند علماء القرن الخامس الهجري، نتحدث عن ماهية الأعضاء عامة وأنواعها عند ابن سينا.

أنــواع الأعضــاء

يقسم ابن سينا (ت 427هـ) الأعضاء إلى مفردة وهي الأجزاء، ومركبة ويسميها أعضاء آلية. ومصطلح آلية استعمله كذلك علماء التجويد في القرن الخامس للهجرة، إذ يقترن بالنطق، فنجد عندهم آلة النطق وآلة المنطق[1]، وهذا تصور متقدم لعملية إخراج الأصوات وإنتاجها، حيث تكون ولادة الصوت وكيفية إنتاجه موحدة.

والأعضاء المفردة عند ابن سينا (ت 427هـ) هي التي يكون الجزء منها كالكل المنتمي إليه تركيبا ووظيفة، فلا يمكن للجزء أن ينفصل عن الكل، كما لا يمكن أن يتمايز عنه، إذ يقول ابن سينا (ت 427هـ): «... والمفردة هي التي يكون أي جزء محسوس أخذت منها كان مشاركا للكل في الاسم والحد مثل اللحم وأجزائه والعظم وأجزائه، والعصب وأجزائه وما أشبه ذلك تسمى متشابهة الأجزاء».[2] أما المركبة فهي التي يمكن أن يكون الجزء منها غير الكل، إذ يمكنه أن يكون مستقلا في التكوين والشكل والوظيفة، لكنه في الآن عينه جزء لا يتجزأ من العضو الأصلي، يقول ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك: « المركبة : هي التي إذا أخذت منها جزءا، أي جزء كان لم يكن مشاركا للكل،لا في الاسم ولا في الحد مثل اليد والوجه، فإن جزء الوجه ليس بوجه وجزء اليد ليس بيد، وتسمى أعضاء آلية لأنها هي آلات النفس في تمام الحركات والأفعال».[3]

ويفصل ابن سينا (ت 427هـ) الحديث عن الجهاز النطقي بنسبة الصوت إليه حيث يقول: «الصوت فاعله العضل التي عند الحنجرة ـ بتقدير الفتح ـ ويدفع الهواء

[1] - ينظر ابن البناء (ت 471هـ) في كتابه بيان عيوب النطق نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجديد ص 95.
[2] - القانون في الطب، ابن سينا أبو علي الحسين بن علي، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420هـ-1999م، 1/36.
[3] - القانون، 1/36 .

المخـرج وقرعـه وآلتـه الحنجـرة والجسم الشـبيه بلسـان المزمـار، وهـي الآلـة الأولـى الحقيقية، وسائر الآلات بـواعث ومعينـات، وبـاعث مـادته الحجـاب، وعضـل الصـدر، ومؤدي مادته الرئة، ومادته الهواء الذي يموج عنـد الحنجـرة».[1] ويكـون بـذلك قـد تنبـه إلى ما توصل إليه- فيما بعد- المحدثون من أن جهاز النطق يحتوي علـى مجموعـة مـن الأعضاء لها وظائف بيولوجيـة أخـرى غيـر التصـويت «هـذه الأعضـاء الـتي سـماها الأصواتيون تجاوزا بأعضاء النطق، لأنها لم تخلق لأداء هذه الوظيفة... لم يكـن النطـق إلا جانبا ثانويـا فـي مسـارها الـوظيفي... وفـي هـذا فالإنسـان لا يملـك عضـوا مختصـا بالعملية الكلامية وإصدار الصوت».[2]

ويسير عبد القادر عبد الجليل علـى خطـى ابـن سـينا (ت 427هــ) فـي تعريفـه لجهاز النطق بتعداد كل الأعضاء المشـاركة فـي الإنتـاج الصـوتي، يقـول: «فالرئتـان، والحنجرة، والوتران الصوتيان، ولسـان المزمـار، والحلـق، واللسـان واللهـاة والحنـك، واللثة والأسنان والشفتان، وتجاويف الفم والأنف، كل منهـا عضـو لـه مهمـة بيولوجيـة معينة، ووظيفة في التشكيل الصوتي».[3]

أ- مُصدر الصوت (الجهاز الناطق)

الرئتــان

هي أهم عضـو فـي صـنع الصـوت وإنشـاء الكلام لاعتمـاد هـذا علـى الهـواء، والرئتـان «أشـبه بمنفـاخ يتـألف مـن مجموعـة أكيـاس، ففـي حالـة الشـهيق تتسـع هـذه الأكياس، فتكبر الفراغات التي بها كمـا اتسـع القفـص الصـدري، هـذه الأكيـاس يرتبـط بعضا ببعض بأنابيب تنتهي بأنبوبين تعرفان بالشعبتين»[4].

ويعرف ابن سـينا (ت 427هــ) الـرئة متحـدثا عـن دورهـا بقولـه: «...وخلـق متخلخلا، ليتسع الهواء وينضح فيـه، وينـدفع فضـلـه عنـه كمـا خلـق الكبـد بالقيـاس إلـى

[1] - القانون، 2/322.
[2] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 19998م-1418هـ، ص 22 و 23
[3] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل ص 22 و 23
[4] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1998، ص 24.

الغذاء، وهو ذو قسمين أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، والقسم الأيسر ذو شعبتين والقسم الأيمن ذو ثلاث شعب ومنفعة الرئة بالجملة الاستنشاق».[1] فقد تنبه إلى أن الاستنشاق أو الهواء المستنشق هو المادة الأصل في عمل الرئة سواء في عمل باقي أعضاء الجسم أم في صنع الكلام، فيقول: «منفعة الاستنشاق إعداد هواء للقلب أكثر من المحتاج إليه في نبضة واحدة. ومنفعة هذه الأعضاء أن يكون للحيوان عندما يغوص في الماء، وعندما يصوت صوتا طويلا متصلا يشغله عن أخذ الهواء...»[2].

أما الزفير فيسميه ابن سينا (ت 427هـ) بالنفس وهو المادة المنشئة للصوت، وبهذا تكون الرئة أول عضو في الجهاز النطقي، فيربط بين الزفير ونشأة الصوت ويقول: «والنفس عند العامة هو المخرج...فإن احتيج إلى أن يكون صوتا لم يكن بد من استعمال عضل الحنجرة، فإن احتيج إلى أن يقطع حروفا، ويؤلف منه كلام، لم يكن بد من استعمال عضل اللسان، وربما احتيج فيها إلى استعمال عضل الشفة».[3] ونلمس هذا عند المحدثين في كلامهم عن عمل الرئة بحيث «.. يكون عمل الرئتين بأن يضغط الحجاب الحاجز عليهما بمساعدة القفص الصدري، فيدفع الهواء خارجا منهما مارا بأعضاء النطق وبفعل الاحتكاك والانسداد تتم الأصوات».[4]

وتوصل المحدثون إلى أنه يمكن إصدار أصوات معينة باستخدام الشهيق إذ «سيمكن للإنسان، في حالات نادرة، استخدام هواء الشهيق لإصدار أصوات معينة، كتقليد أصوات الحيوانات والطيور. وفي بعض اللغات، يستخدم الشهيق لإنتاج أصوات معينة أثناء سلسلة تيار الكلام».[5]

ولم يكن ما ذكره ابن سينا (ت 427هـ) محدثا بل نكاد نجده تماما في فكر الفارابي خاصة في حديثه عن الشهيق والزفير وحسن استفادة الجسم منه بقوله: « وهذا

---

[1] - القانون 2/303.
[2] - القانون 2 /314
[3] - القانون 2/307.
[4] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 24.
[5] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 27

الهواء الذي يجذبه الإنسان إلى رئتيه وداخل صدره ليروح به عن القلب ثم يدفعه منها إذا سخن إلى الخارج».[1]

ومع ذلك نجد فرقا في تناول كل منهما لدور الرئتين، ونشأة الصوت من الهواء الخارج من الرئة أو الزفير واضحا، فأما الأول فيحلل ويشرح ذلك بنظرة وأسلوب الطبيب، أما الثاني فيتحدث بنظرة الفيلسوف الموسيقي، يقول: «وإذا حصر الإنسان هدا الهواء في رئتيه وما حواليهما من أسفل الحلق ومر بأجزائه إلى خارج شيئا فشيئا على اتصال وزحم به مقعر الحلق، وصدم أجزائه حدث حينئذ نغم، بمنزلة ما يحدث لسلوك الهواء في المزامير».[2] فمادة الصوت من هواء الزفير الخارج من الرئتين، فشبه الفارابي جهاز التصويت بالمزمار، فإذا نفخ فيه دون أن نوقف الهواء المار على إحدى فتحاته لم يحدث أي صوت، يقول:« فإذا دفع الإنسان هواء التنفس إلى خارج جملة واحدة وتوقف لم يحدث صوت محسوس».[3] ذلك أنه لم يعترض هذا الهواء حبس لينشأ عن ذلك صوت.

إن نظرة ابن سينا (ت 427هـ) التشريحية والطبيعية لأعضاء النطق جعله يبتعد عن التشبيه، فيصف ويحليل ثم يربط ويستنتج، فرأى أن الصوت قد يتأثر بالرئة، أو بعبارة أخرى فإن حالة الرئة يعكسها الصوت، يقول : «أما المزاج الحار فيدل عليه سعة الصدر وعظيم النفس، وربما تضاعف، والنفخة، والصوت وثقله...»[4]، ويقول أيضا: « واعلم أن أخص الدلائل على أحوال الصدر والرئة النفس في حره وبرده، وعظمه وسهولته وعسره، ونتنه وطيب رائحته، وغير ذلك من أحواله، وكذلك الصوت أيضا مثل ذلك».[5]

---

[1] - كتاب الموسيقى الكبير ص 1060.
[2] - كتاب الموسيقى الكبير ص 1066.
[3] - كتاب الموسيقى الكبير ص 1066.
[4] - القانون 2/304.
[5] - القانون 2/304.

ولم نجد ـ في حدود علمناـ استعمال علماء تجويد القرن الخامس الهجري مصطلح الرئة[1]، وإنما استعانوا بمصطلح الصدر، وقد تطابق اللفظان في المفهوم عند علماء التجويد مما يدل على تنبههم لدور الرئة في إنتاج الأصوات. واستعمل مكي بن أبي طالب مصطلح الصدر الأعلى دون أن يقصد به الصدر، يقول:«...تخرج منها عند النطق بها من آخر الصدر الأعلى وما يليه من الحلق... ».[2] بل قصد أقصى الحلق. ويذكر في مكان آخر الصدر ويريد به المعنى المتعارف عليه، يقول: «الهمزة أول الحروف خروجا، وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق، مما يلي الصدر».[3]

القصبة الهوائية

يصفها المحدثون وعلى رأسهم أحمد مختار عمر أنها أنبوبة.[4] وهي ذات أهمية كبرى لكن أغفلها القدماء حسب الدكتور إبراهيم أنيس القائل: « يظن قديما أن لا أثر لها في الصوت اللغوي».[5]

ويسمي ابن سينا (ت 427هـ) القصبة الهوائية ويعرفها بقوله: « أما قصبة الرئة فهي عضو مؤلف من غضاريف كثيرة الدوائر، يصل بعضها على بعض».[6] ثم يصفها بقوله:« فما لاقى منها منفذ الطعام الذي خلفه، وهو المريء، وجعل ناقصا وقريبا من نصف دائرة وجعل قطعة إلى المريء، ويماس المريء منه جسم غشائي لا غضروفي بل الجوهر الغضروفي إلى القدام، والتفت هذه الغضاريف برباطات يجللها غشاء أملس إلى اليبس والصلابة ما هو، وكذلك أيضا من ظاهره».[7]

[1] - حاول غانم قدوري رصد مصطلح الرئة عند علماء التجويد المتأخرين. ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 97.
[2] - الرعاية ص 40.
[3] - الرعاية ص 119.
[4] - ينظر دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1976، ص 80.
[5] - إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ط 1975 مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ص 17 .
[6] - القانون 2/301.
[7] - القانون 2/301.

ثم يحدد موقع القصبة بين بقية الأعضاء المتصلة بها فيقول :« وعلى رأسه[1] الفوقاني الذي يلي الفم والحنجرة وطرفه الأسفل ينقسم إلى قسمين ثم ينقسم أقساما تجري في الرئة مجاورة لشعب العروق الضاربة والساكنة وينتهي توزعها إلى فوهات هي أضيق جدا من فوهات ما يشاكلها ويجري معها».[2]

ولعل طبيعة القصبة الهوائية من صلابة ومرونة لها دور في أداء وظيفة التصويت وإتمام عملية الشهيق والزفير بسهولة ويسر حيث يقول : « فأما تخليقها من غضروف فلا يوجد فيها الانتفاخ ولا يلجئه اللين إلى الانطباق، ولتكون صلابتها واقية لها إذا كان وضعها إلى قدام ولتكون صلابتها سببا لحدوث الصوت أومعينا عليه. وتأليفها من غضاريف كثيرة مربوطة بأغشية لا يمكنها الامتداد والاجتماع عند الاستنشاق والنفس».[3]

ولم نجد مكي بن أبي طالب ولا أبي عمرو الداني(ت 444هـ) أوالقرطبي(ت 461هـ) يتحدثون عنها وهذا إما لأنهم لم يجدوا لها دورا واضحا في توليد الأصوات وإخراجها، أولأنهم اعتبروها جزءا من الرئة. رغم هذا فإننا قد وجدنا ابن البناء يسمي القصبة الهواء بقصبة الحلق[4] وهي التي تصل الرئة بالحنجرة.

ولا نكاد نجد إضافات في تعريف القصبة الهوائية عند المحدثين، مثل عبد الرحمن أيوب الذي يقول: « والقصبة الهوائية مكونة من حلقات غضروفية كاملة الاستدارة من الخلف بعضها فوق بعض، وهذه الحلقات مكسوة بنسيج مخاطي».[5]

الحنجــرة

[1] - الهاء تعود على قصبة الرئة
[2] - القانون 2/301.
[3] - القانون 2/301.
[4] - بيان عيوب النطق لابن البناء نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 97.
[5] - محاضرات في اللغة عبد الرحمن أيوب، مطبعة المعارف، بغداد 1966م، ص 87.

تضم الحنجرة الوترين الصوتيين، وهما غير مرئيين إلا بالتشريح، وقد أحس بهما علماء اللغة كما علماء التجويد. وجاء ذكر الحنجرة عند ابن البناء في كتابه بيان عيوب النطق، يقول:«ومن العيوب الترعيد، وصفته تعليق الصوت بترديد الحنجرة...»[1]. وإغفال القدامى للحنجرة عند تحديدهم لأعضاء النطق ـ رغم أهميته لاحتوائه على الوترين الصوتيين ـ لاعتبارها جزءا من الحلق،[2] ويستنتج هذا من كلام أبي عمرو الداني(ت 444هـ) حين يتحدث عن الهمزة، فيقول فيها:«في أول الصدر وآخر الحلق».[3]

أما ابن سينا (ت 427هـ) فيذكر عن الحنجرة «أنها عضو غضروفي خلق آلة للصوت»[4]، وهي «آلة لتمام الصوت، ولتحبس النفس».[5] أما موقعها فيرى ابن سينا (ت 427هـ) أنها «مشدودة مع القصبة بالمريء شدا».[6] ويكاد يكون هذا التعريف مقاربا لما وصف المحدثون به الحنجرة وأجزائها. فهي عند أغلبهم علبة غضروفية[7] على هيئة قمع، تنتقل بالطرف الأعلى للقصبة الهوائية [8]. وظيفتها الأساسية إغلاق الرئتين وحمايتها. فهي عبارة عن صمام أمان[9]، كما توصل فراغ الحلق بالقصبة الهوائية.[10]

وقد أجاد ابن سينا (ت 427هـ) في الحديث عن الحنجرة خاصة من المنظور التشريحي، إذ استطاع أن يقدم صورة واضحة اعتمدت من لدن الآكاديميات الطبية الأوروبية طيلة أربعة قرون.

---

[1] ـ بيان عيوب النطق لابن البناء نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 98.
[2] ـ ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 98.
[3] ـ التحديد ص 104.
[4] ـ القانون 1/65.
[5] ـ القانون 2/302.
[6] ـ القانون 2/302.
[7] ـ ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص 17 ، وفي دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ص 80، وينظر المصطلح الصوتي ،عبد العزيز الصيغ الذي يقول:"وتتخذ الحنجرة شكل صندوق إذ أن الغضاريف متصلة بعضها ببعض على هيئة صندوق أو حنجرة." ص 25.
[8] ـ ينظر الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل ص 28.
[9] ـ ينظر الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل ص 28.
[10] ـ ينظر الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل ص 28.

وتتألف الحنجرة عند ابن سينا (ت 427هـ) من غضاريف ثلاثة،[1] وهي المساهمة في إصدار الصوت[2]:

1ـــ الغضروف الدرقي[3]: أوالترسي[4] أيضا، يقول عنه ابن سينا (ت 427هـ):«الغضروف الذي يناله الجس والحس قدام الحلق تحت الذقن، ويسمى الدرقي والترسي، إذ كان مقعر الباطن محدب الظهر يشبه الدرقة[5] وبعض الترسة[6]».[7]

أما في أسباب حدوث الحروف فيقول عن الغضروف الدرقي إنه: «موضوع إلى قدام، يناله المس في المهازيل جدا عند أعلى العنق تحت الذقن»[8]، وهذا التعريف هو ما توصل إليه المحدثون حين أطلقوا على الغضروف الدرقي اسم تفاحة آدم. «وهو الجزء العلوي فيها، ناقص الاستدارة من الخلف، وعريض بارز من الأمام، ويدعى تفاحة آدم وهو في الرجال أكثر بروزا منه في النساء».[9] ولم يسم ابن سينا (ت 427هـ) الدرقي بتفاحة آدم إنما قال أن الغضروف يظهر في النحاف أكثر من غيرهم، وهذا لميله أكثر للوصف العلمي الدقيق حيث يقول: «وشكله شكل القصعة حدبته إلى خارج وإلى قدام، وتقعيره إلى داخل وإلى خلف، ويسمى الغضروف الدرقي والترسي».[10]

2- الغضروف الحلقي: ويسميه ابن سينا (ت 427هـ)(عديم الاسم)[11] أو(لا اسم له)[12]، ويقول ابن سينا (ت 427هـ) عن تموضعه بالنسبة للدرقي «والغضروف الثاني خلفه، مقابل سطحه لسطحه، متصل به بالرباطات يمنة ويسرة، ومنفصل عنه إلى فوق، ويسمى عديم الاسم».[13]

---

[1] - ينظر القانون 1/65.
[2] - هناك غضاريف غير مشاركة في الصوت، لها وظائف أخرى ولا يذكرها ابن سينا في تشريحه للحنجرة، ربما لأن لا دور لها في صنع الصوت وهي أ - الغضروفان المخروطيان ب - الغضروفان القرنيان،ينظر الأصوات اللغوية د/عبد القادر عبد الجليل ص 29.
[3] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 64.
[4] - ينظر القانون 1/65.
[5] - جاء في لسان العرب « الدرق ضرب من الترسة، الواحدة درقة تتخذ من الجلود غيره الدرقة الجحفة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب، اللسان 11/384
[6] - جاء في لسان العرب:« الترسة خشبة توضع خلف الباب يضبب بها السرير، وهي المترس بالفارسية». اللسان 7/330
[7] -القانون 1/65
[8] - أسباب حدوث الحروف ص 64.
[9] - الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل ص 28.
[10] - أسباب حدوث الحروف ص 64.
[11] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 65
[12] - ينظر القانون 1/65
[13] - أسباب حدوث الحروف ص 65

أما في القانون فتوضيح ابن سينا (ت 427هـ) للغضروف الحلقي كان أبسط ولكن يطلق عليه اسم الذي لا اسم له، يقول:«غضروف موضوع خلفه يلي العنق مربوط به يعرف بأنه الذي لا اسم له».[1] ولجوء ابن سينا (ت 427هـ) لهذه التسمية - إن صح ذلك - لعدم وجود اسم يعتمد عليه في اصطلاح يليق بهذا الغضروف ويلائمه، وربما كان ذلك ظرفيا إلى أن يجد ما يناسبه. ويسميه المحدثون بالغضروف الحلقي لأنه شبيه بالحلقة أو الخاتم «ويبدو أنه (يقصد ابن سينا (ت 427هـ)) لم يجد اسما له يطلقه عليه آنذاك أو أنه لم يجد علاقة شبه بينه وبين الخاتم أو الحلقة».[2]

ويسميه بعض المحدثين بالغضروف الأدنى[3] ويعرفونه بأنه «...يشكل الجزء الأدنى من الحنجرة ويكون بمثابة القاعدة لها، على هيأة حلقة، تمثل أعلى حلقات القصبة الهوائية، فصه مستدير إلى الوراء».[4]

و يجعل عبد العزيز الصايغ الغضروف الحلقي هو الغضروف الثالث الذي يسميه ابن سينا (ت 427هـ) المكبي أوالطرجهالي وهذا في اعتقادي تداخل في تمييز مصطلحات ابن سينا (ت 427هـ) فيما توصل إليه المحدثون، فيشكل هذا على الدارس والمطلع ويربكه، يقول: «الغضروف الحلقي، وقد سماه ابن سينا (ت 427هـ) المكبي والطرجهالي أوالطرجهاري».[5]

3- المكبي أو الطرجهالي والطرجهاري: يقول ابن سينا (ت 427هـ) في هذا الغضروف الثالث أنه «مكبوب عليهما يتصل بالذي لا اسم له ويلاقي الدرقي من غير اتصال»[6]، ويوضح ابن سينا (ت 427هـ) هذا الغضروف أكثر من حيث الشكل والموقع في كتابه أسباب حدوث الحروف قائلا:«والغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليهما، وهو

---

[1] - القانون 1/65
[2] - علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع ص 52
[3] - ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل ص 28
[4] - الأصوات اللغوية،عبد القادر عبد الجليل ص 28
[5] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 26.
[6] - القانون 1/65

منفصل عن الدرقي مربوط بالذي لا اسم لـه مـن خلـف بمفصـل مضـاعف يحـدث مـن زائدتيـن تصـعدان مـن الـذي لا اسم لـه وتسـتقران فـي نقرتيـن لـه، ويسـمى المكـبي والطرجهالي».[1]

ويوضح هذا النص طبيعة العلاقـة الرابطـة للمكـبي بالغضـروفين السـابقين خاصـة الحلقـي، ونجـد هذا واضـحا فـي قولـه: «وبينـه وبيـن الـذي لا اسـم لـه مفصـل مضاعف بنقرتين فيه، تنهدم فيهما زائدتان من الذي لا اسم له مربوطتان بهمـا بروابـط ويسـمى المكـبي والطرجهـاري».[2] ونلاحـظ أن ابـن سـينا (ت 427هــ) قـد اسـتعمل المصطلحين وهما المكبي والطرجهالي، وأوضح المكبي بوصفه للغضروف حيـن قـال « كقصـعة مكبوبـة عليهمـا»[3]، أي مقلوبـة علـى الغضـروف الحلقـي، ثـم اسـتعان بالطرجهالي أوالطرجهاري، وهي كلمة منسوبة للفظة الفارسية (طرجهـارة) أي كـأس للشرب أو فم الإبريق.

واستنادا إلى ما سبق نجد بعض الدارسين العرب يصطلحون على الغضـروف الثـالث بـالغضروفان الهرميـان[4] أوالغضـروفان الحنجريـان[5]، ولعـل للتسـميتين علاقـة بشكل الغضروفين وتموضعهما في الحنجرة. ويعرفان على أنهمـا «النسـيجان الخلفيـان الهرميان يشكل كل واحـد مـن الغضـروفين هرمـا مثلـث القاعدة لـه قمـة وزوايـا ثلاث وقاعدة وثلاثة أسطح».[6]

عمل الحنجرة وحركاتها ودورها في إصدار الصوت

لا يتوقف ابن سينا (ت 427هـ) عند شرح الحنجرة وتوضيح الغضاريف المكونة لهـا بـل ينتقـل إلـى كيفيـة عمـل هـذه الغضـاريف فـي تكـوين الصـوت وتحديـد

[1] - أسباب حدوث الحروف، ص 65
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 65
[3] - أسباب حدوث الحروف، ص 65
[4] - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 26
[5] - ينظرالأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 28
[6] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليلص 28 و 29

طبيعته، بتحرك غضاريف الحنجرة، فتنبه إلى أن الحركات هذه لا تكون إلا بعضلات تحركها، فيذكرها ناسبا إياها إلى العضو الذي تنتمي إليه أو الدور الذي تقوم به[1] ، ويرى أن توسع الحنجرة وضيقها يكون « بانضمام الدرقي إلى الذي لا اسم له، وبتباعد أحدهما عن الآخر».[2]

ونجد المعنى نفسه حين يقول: « فإذا تقارب الذي لا اسم له من الدرقي وضامه حدث تضييق في الحنجرة، وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة».[3] وبهذه العملية يحدث ويصدر الصوت الحاد أو الثقيل . وفيه يقول:« ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد أو الثقيل».[4]

وهذا ما توصل إليه المحدثون حين خلصوا إلى وجود عضل يضم الغضروف الدرقي بالحلقي فيتم تضييق الحنجرة أي تقصير طولها بتقارب الغضروف الحلقي من الدرقي، وتقاربهما يحدث الصوت الحاد، وتباعدهما يحدث الصوت الثقيل».[5] ثم انفتاح الحنجرة وانغلاقها يكون « بانكباب الطرجهاري على الدرقي ولزومه إياه وبتجافيه عنه يكون انغلاق الحنجرة وانفتاحها».[6]

و ينطبق هذا في المعنى انطباقا تاما على قوله :« وإذا انطبق الطرجهالي على الدرقي حصر النفس وسد الفوهة، وإذا انقلع عنه انفتحت الحنجرة»[7] ، وهذا الوصف يوضح به ضيق الحنجرة أفقيا، أي تقارب وتباعد الوترين الصوتيين عن بعضهما البعض.[8] ويوضح ذلك باستعماله للمصطلحين حصر النفس وسد الفوهة، ولا يكون ذلك إلا أفقيا، ثم الانقلاع ليمر النفس وانفتاح النفس.

---

1 - كقوله مثلا:" حتى إذا تقبض ضم، وكذلك خلقت عضلات الفم." أسباب حدوث الحروف ص 69
2 - القانون، 1/66
3 - أسباب حدوث الحروف، ص 65
4 - أسباب حدوث الحروف، ، ص 65
5 - علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 56
6 - القانون 1/66
7 - أسباب حدوث الحروف ص 66
8 - ينظر علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 57

ويتميز الطرجهالي أو الغضروفان الحنجريان - كما يطلق عليهما المحدثون- «بامتلاك القدرة على الحركة بواسطة نظام من العضلات يشكل بنيتها ويمنحها حرية التمكن من الانزلاق والاستدارة والتأرجح».[1] ويتصل هذان الغضروفان بالأوتار الصوتية دون أن يكون هما الوتران الصوتيان.[2]

عضلات الحنجرة عند ابن سينا (ت 427هـ)

يصل ابن سينا (ت 427هـ)، على إثر توضيح عمل الحنجرة، إلى تصنيف العضلات العاملة والمساهمة في تحريك غضاريف الحنجرة فيصنفها إلى ما يأتي بقوله:

أ - عضلات تلصق الطرجهالي بالدرقي وتجذبه إليه

ب - وعضلات تبعده عنه وتجذبه إلى خلف

ج - وعضلات تلصق الذي لا اسم له بالدرقي

د - وعضلات تنحي أحدهما عن الآخر .[3]

وحاول محمد صالح الضالع تصنيف ما ذكره ابن سينا (ت 427هـ) وترتيبه كما يأتي:

1- «عضل يضم الدرقي إلى الذي لا اسم له»[4]

2- « عضل يضم الطرجهاري ويطبقه»[5]

3- «عضل يبعد الطرجهاري عن الدرقي وعن الذي لا اسم له»[6]

وقد يتطابق ما ذكره ابن سينا (ت 427هـ) مع ما توصل إليه المحدثون في تصنيف عضلات الحنجرة ويمكن ذكرها متناسقة ومتناسبة مع ما صنفه المحدثون:[7]

أولا: مجموعة العضلات القابضة: وهي عضلة واحدة تضم الحلقي إلى الدرقي.

---

[1] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 29

[2] - ينظر المدخل إلى علم الأصوات، صلاح الدين صالح حسنين، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر، ط 1989 ، ص 28

[3] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 66

[4] – علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع ص 56

[5] – علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع ص 56

[6] - علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع ص 56

[7] - علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 58

ثانيا: مجموعة العضلات الفاتحة للحنجرة، وهي عضلة واحدة، وهي العضلة الخلفية بين الحلقي والطرجهاري.

ثالثا: مجموعة العضلات المضيقة للحنجرة، وهي أربع عضلات كما جاءت عند ابن سينا (ت 427هـ):

أـ العضلة الجانبية بين الحلقي والحنجريتان أو العضلة الجانبية بين الذي لا اسم له والطرجهاري

ب ـ العضلة الجانبية بين الدرقي والطرجهاري

ج ـ العضلة العليا بين الدرقي والطرجهاري

د ـ العضلة التي تصل بين زوج الطرجهاري

ويوضح ابن سينا (ت 427هـ) العضلات وعددها وتموضعها وعملها، ويمكن توضيح ذلك كما بينه فيما يأتي:

أ ـ العضلات الفاتحة للحنجرة:وهي ست عضلات:

ويوضح ابن سينا (ت 427هـ) كيفية عملها قائلا: «فالعضلات التي تفتح الحنجرة بتنحية الطرجهالي عن الدرقي لابد من أن تكون طالعة من أسفل ومن جنبة الذي لا اسم له، وتتصل بمؤخرة الطرجهالي، فإذا تشنجت جذبته إلى خلف، وفرقت بينه وبين الدرقي،وقد خلقت لذلك أربع عضلات على هذه الصفة، وأردفت بعضلتين تتصلان لا عند الخلف من الطرجهالي بل يمنة منه ويسرة، وإذا تشنجتا فعلتا مع المعونة في الفتح توسيط مستعرضا فهذه ست عضلات».[1]

ب ـ العضلات المطبقة : وهي أربع عضلات استنادا لقول ابن سينا (ت 427هـ) : « والعضلات التي تطبق يجب أن تكون لا محالة واصلة بين الترسي والطرجهالي، حتى إذا تشنجت مدت الطرجهالي إلى الترسي. ومعلوم أنها إذا كانت من داخل كان إطباقها أشد وأحكم، وقد خلقت كذلك. فمنها زوج عضلة توجد في جميع الناس، أحد فرديها يصعد من حافة الدرقي إلى حافة الطرجهالي يمنة، والآخر يسرة، وهما صغيرتان

[1] ـ أسباب حدوث الحروف، ص 66 و 67

تفعلان بالقصر، وبموافقة المكان فعلا عظيما حتى إنه يقاوم عضل الصدر والحجاب عند حصر النفس، وقد يوجد في بعض الناس زوج آخر شبيه به معين له».[1]

فتكون العضلات إذاً كالآتي:[2]

1- العضلات الحلقية الطرجهارية الجانبية

2- العضلات الدرقية الطرجهارية

3- العضلات الطرجهارية المائلة

4- العضلات الطرجهارية المستعرضة

ج ـ العضـلات المضيقـة : وهي زوجين أو أربع عضلات حسب ابن سينا (ت 427هـ)، يقول: « وأما المضيقة فمن المعلوم أن الضام الجامع أحسن أحواله أن يكون محيطا بالمتضامين جميعا، حتى إذا تقيض ضم . وكذلك خلقت عضلات الضم، فمن ذلك زوج يأتي من العظم الشبيه باللام [3] في كتابة اليونانيين، وهو عظم مثلث الشكل الذي لسطوحه، فيتصل بالدرقي عرضا، ويمضي كل واحد من فرديه حتى يجاوز المريء يمنة ويسرة ويلاقي الآخر ويتصل به. وأربع عضلات ربما فرقت وربما جمعت في زوجين مضاعفين، أو زوجين أحدهما باطن والآخر ظاهر، وكيف كان فإنها تتصل بالدرقي ثم تلتفت وراءه على الذي لا اسم له».[4]

وبهذا تكون العضلات المضيقة كالآتي:[5]

1- العضلات الدرقية اللامية

2- العضلات الحلقية الدرقية

3- العضلات الدرقية الطرجهارية

د ـ العضلات الموسعة للحنجرة : وعددها أربعة :

---

[1] ـ أسباب حدوث الحروف، ص 68

[2] ـ ينظر علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 107

[3] ـ يعرف ابن سينا العظم اللامي ويوضح دوره في القانون 1/66 بقوله: « وعند الحنجرة وقدامها عظم مثلث يسمى العظم اللامي تشبيها بكتابة اللام في حروف اليونانيين إذ شكله هكذا ٨ »

[4] ـ أسباب حدوث الحروف، ص 68 و 69

[5] ـ ينظر علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 107

يقول ابن سينا (ت 427هـ) :« وأما الموسعة للحنجرة فمن المعلوم أن من تكثرها بالعدد غنى، لأن عضل الصدر والحجاب تحفز النفس إلى خارج بقوة، فيكون ذلك لو اقتصر عليه كافيا في فتح الحنجرة».[1]

فتكون العضلات الموسعة كالآتي[2]:

1- عضل قصي لامي

2- عضل قصي درقي

3- عضل درقي لامي

4- عضل كتفي لامي

ثم يتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن عضلات لها علاقة بالعظم اللامي، ودورها هو أنها تساهم في فتح الحنجرة، يقول: «فمن عضل الفتح زوج عضلة[3] يأتي من العظم الشبيه باللام، فيتصل بمقدم الدرقي كله، فإذا تشنج جذبه إلى فوق وإلى قدام، فبرأه عن ملاصقة الذي لااسم له».[4] و نجد الشرح نفسه في قوله: «والعضل المنفتحة للحنجرة منها زوج ينشأ من العظم اللامي، فيأتي مقدم الدرقي، ويلتحم منبسطا عليه».[5]

أما الزوج الثاني من العضلات فيرى ابن سينا (ت 427هـ) أنها شركة بين الحنجرة والحلقوم، قائلا: «يصعد من القص ويجاوز الدرقي، ويستمر إلى مؤخر الذي لا اسم له ومقدم الحلقوم».[6] فإذا تشنج جذب الحلقوم إلى أسفل والذي لا اسم له إلى خلف، ففرق بينه وبين الدرقي».[7] ويقول أيضا:« فإذا تشنج أبرز والطرجهاري إلى قدام وفوق، فاتسعت الحنجرة وزوج يعد في عضل الحلقوم الجاذبة إلى أسفل، ونحن نرى أن نعده في المشتركات بينها، ومنشؤهما من باطن القص إلى الدرقي».[8]

---

[1] - أسباب حدوث الحروف، ص 69
[2] - ينظر علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 107
[3] - وهو عضل لامي درقي
[4] - أسباب حدوث الحروف، ص 69 و 70
[5] - عضل قصي درقي، وعضل طرجهاري فلكوي، وعضل حلقي درقي يراجع علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 108
[6] - القانون، 1/66
[7] -أسباب حدوث الحروف، ص 70
[8] -القانون، 1/66

عضلات الحلقوم عند ابن سينا (ت 427هـ)

ويبلغ عددها أربع عضلات، وقد رأينا أن ندرجه بعد عضلات الحنجرة لاشتراكه مع هذه في بعض العضلات المحركة، ولـم يثبتـه ابـن سـينا (ت 427هـ) فـي كتابه أسباب حدوث الحروف، إذ انتقل مباشرة بعـد الحنجـرة إلـى الحـديث عـن اللسـان والعضلات المحركة له، لكنه يتحدث عنه وعن عضله في كتابه القانون لما له من غاية تشريحية طبية أكثر من غيرها، فيقول:« وأما الحلقوم جملة، فلـه زوجـان يجـذبانه إلـى أسفل . أحدهما زوج ذكرناه في باب الحنجرة. والآخر زوج نابت أيضا من القس يرتقي فيتصل باللامي ثم بالحلقوم، فيجذبه إلى أسفل».[1]

الحلـــق

يقول عنه ابن سينا (ت 427هـ):« يعنـي بـالحلق، الفضـاء الـذي فيـه مجريـا النفس والغذاء».[2] وهو تعريف عام وشامل لا يحدد الحلق بدقة، ويعرفه المحدثون علـى أنه «التجويف الذي يقع بين الحنجرة وأقصى الفم»[3]، «وهو الفراغ الواقع بين الحنجـرة والفم»[4]، ويحدده غانم قدوري بأنه الفراغ الواقع بين الحنجـرة وأقصـى اللسـان،[5] وهـذا أكثر دقة في تحديـد حيـز الحلـق. ولا تختلـف هـذه التعريفـات عمـا قدمه ابـن سـينا (ت 427هـ)، وإنما تكملها، لأن ابن سينا (ت 427هـ) في الواقع لم يحدد الحلق بقدر ما بيـن وظيفته في القول السالف الذكر لكنه أضـاف عليـه ذكـر مـا يسـميه "الـزوائد"، بقولـه: «ومنه الزوائد التي هي اللهاة واللوزتان والغلصمة».[6]

ولم يجتهد علماء التجويد في تحديد الحلق بقدر ما اهتموا بأقسـامه، ولعـل هـذا يعود إلى سمة التخصص التي بدأت تظهر على مؤلفات علماء تلك الفترة عمومـا، لهـذا اهتم علماء التجويد بأقسام الحلـق -دون محاولـة تعريفـه- لأنهـا ترتبـط مباشـرة بأمـاكن ولادة الأصوات الحلقية.

[1] - القانون 1/66 و 67
[2] -- القانون 1/285
[3] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل ص 35
[4] - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص 18
[5] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 97.
[6] - القانون، 1/285

فالقرطبي(ت 461هـ) مثلا لا يختلف مع من سبقه من علماء في جعل الحلق من ثلاثة أقسام:أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه، يقول: «فمن الحلق...أقصاها...ومن وسط الحلق...ومما فوق ذلك دانيا إلى الفم».[1] ولا يختلف الداني(ت 444هـ) عن القرطبي(ت 461هـ) لقوله: «فللحلق منها ثلاثة مخارج...فأقصاها...لأنهما من وسط الحلق...وأدنها إلى الفم»[2]، ويقول أيضا: «اعلم أن حروف الحلق سبعة، ولها ثلاثة مخارج».[3]

ولا يبتعد القيسي عما سار عليه الداني(ت 444هـ) فلا يتحدث عن الحلق إلا من خلال حديثه عن الحروف ومخارجها، فيجعل للحلق ثلاثة مخارج ويصفها كالآتي:

1- أول مخارج الحلق أو"أول الحلق"[4]: ويقصد مخرج الهمزة، يقول: «أول مخارج الحلق من آخر الحلق، مما يلي الصدر»،[5] ويذكر أيضا:«وسط المخرج الأول من مخارج الحلق».[6]

2- المخرج الثاني: ويقصد به وسط الحلق، يقول: «أول المخرج الثاني من مخارج الحلق الثلاثة مما يلي الفم».[7]

3- المخرج الثالث: ويقصد به أدنى الحلق، يقول: «أول المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم».[8]

وقد ابتعد القيسي عن اتباع تسمية الأوائل بوسط وأقصى وأدنى الحلق، لتركيزه على الحرف نفسه ومخرجه، فيرتب الحروف في مدارجها الحلقية و كأنها نقاط ارتكاز حقيقية لولادة الحروف دون اهتمامه بتقسيم الحلق. فالغاية ترتيب الحروف فيه لا غير،

---

[1] - الموضح ص 34.
[2] - التحديد ص 104.
[3] - كتاب الإدغام الكبير في القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، حققه وقدم له زهير غازي زاهد، ط 1، 1414هـ-1993م، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص 149.
[4] - ينظر الرعاية ص 134.
[5] - الرعاية ص 119.
[6] - الرعاية ص 129.
[7] - الرعاية ص 136.
[8] - الرعاية ص 142.

لهذا لا نجده يذكر الألف فيه لقوله:«...فلما لم تقتصر في خروجها على الحلق دون الفم لم يذكرها [يقصد الخليل(ت 175هـ)] مع حروف الحلق».[1]

إن القيسي على غرار علماء التجويد نظروا إلى الحلق نظرة المنتج للأصوات وهي نظرة سبقهم إليها علماء اللغة وأولهم الخليل(ت 175هـ)، فنسبوا الحروف إلى مخرجها، ويجعل القيسي الحروف الحلقية لقبا وتسمية، يقول: «فهذه الحروف تخرج من الحلق نسبهن إلى الموضع الذي يخرج منه و هو الحلق».[2]

مكونات الحلق

أ- اللهـــاة:

وهي عند ابن سينا (ت 427هـ) «جوهر لحمي معلق على أعلى الحنجرة كالحجاب»،[3] وعند المحدثين هي «زائدة لحمية قصيرة تتدلى من الأعلى إلى أسفل الطرف الخلفي للحنك اللين»[4] وهي «عضلة صغيرة وموضعها موضع نطق القاف العربية»،[5] أو هي لحمة مسترخية في أقصى الفم عند أدنى الحلق،[6] أما مكي بن أبي طالب فيعرفها ببساطة شديدة بقوله:«واللهاة ما بين الفم والحلق».[7]

ودور اللهاة فتح وغلق الهواء إلى التجويف الأنفي. وهذا ما لا يحدده ابن سينا (ت 427هـ)، بل يوضح دوره من الناحية البيولوجية المحضة، دون الإشارة إلى وظيفة اللهاة في إصدار بعض الأصوات، يقول: « ومنفعته تدريج الهواء ببرده الرئة فجأة، وليمنع الدخان والغبار، وليكون مقرعة للصوت، يقوي بها، ويعظم لأنه باب موصد على مخرج الصوت بقدره ولذلك يضر قطعها بالصوت».[8]

[1] - الرعاية ص 113.
[2] - الرعاية ص 113.
[3] - القانون 1/285.
[4] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل ص 39
[5] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، ص 29 و الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل ص 39
[6] - ينظر الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، د/عبد البديع النيرباني ص 48.
[7] - الرعاية ص 114.
[8] - القانون 2/285.

ب -اللوزتان:

يـرى ابـن سـينا (ت 427هــ) أنهمـا أصـلين للأذنيـن لا دور لهمـا فـي صـنع الصوت، يقـول ابـن سـينا (ت 427هــ) فـي وصـفهما: «وأمـا اللوزتـان فهمـا اللحمتـان الكائنتان في أصل اللسان إلى فوق كأنهمـا أذنـان صـغيرتان، ولهمـا لحمتـان عصـبيتان كغدتين ليكونا أقوى، وهما من وجه كأصلين للأذنين والطريق إلى المريء بينهما».[1]

ولا يرى لها ابن سينا (ت 427هـ) دورا واضـحا فـي نشـأة الصـوت لكـن فـي جهـة أخـرى يوضـح أن إلغـاء اللـوزتين يغيـر طبيعـة الصـوت، مبينـا أثـر ذلـك حيـن إصداره، يقـول:«... قطـع اللهـاة واللـوزتين فـإن صـاحبها إذا صـوت أحـس كالدغدغـة القوية الملجئة إلى التنحنح، وربمـا انسـدت حلـوقهم عنـد كـل صـياح».[2] وأغفـل علمـاء التجويد ذكر اللوزتين لعدم وضوح دورها في إنتاج الصوت.

ج – الغلصمة:

ورد في اللسان أن الغلصمة أصل اللســان[3]، وأيضـا « الغلصـمة راس الحلقـوم بسواربه وحردقته وهو الموضع الناتئ في الحلق وقيـل هـي العجـرة الـتي علـى ملتقـى اللهاة أو المريء»[4]، ويقول ابن سينا (ت 427هــ) : «أمـا الغلصـمة فهـي لحـم صـفاقي لاصق بالحنك تحت اللهاة متـدل منطبـق علـى رأس القصـبة، وفـوق الغلصـمة الفـائق، وهو عظم ذو أربعة أضلاع، اثنان من أسفل».[5]

ويرى بعض المحدثين أن الغلصمة هو لسان المزمار[6] أو أصل اللســان[7]، وهـو غضـروف «يشـبه صـفيحة رقيقـة تسـتخدم بمثابـة صـمام يسـد طريـق التنفـس أثنـاء العمليــة»[8]، ولعـل بهـذا يصـبح دور لســان المزمــار يشـبه دور اللهــاة، إلا أن بعـض الدارسين المحدثين يميزون بينهما،ومن بينهم عبـد العزيـز الصـيغ الـذي يقـول:« ليـس

[1] - القانون 2/285.
[2] -- القانون 2/323
[3] - ينظر اللسان 15/337
[4] - اللسان 15/377
[5] - اللسان 2/285
[6] - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، ص 32
[7] - ينظراللسان 12/441 .
[8] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 32

هناك علاقة بين لسان المزمار واللهاة، فاللهاة متصلة بالحنك الرخو وهي جزء منه، ووظيفتها غلق الفراغ الأنفي أو فتحه والسماح للهواء بالمرور، بينما لسان المزمار متصل باللسان من الداخل، ووظيفته التحكم في التنفس وغلقها».[1]

وفي حين يتبنى هؤلاء فكرة أن لسان المزمار لا دور له في التصويت[2]، نرى أن ابن سينا (ت 427هـ) يؤكد على دوره في التصويت حين يقول: « وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى لسان المزمار يتضايق عنده طرف القصبة، ثم يتسع عند الحنجرة».[3] وهذا التعريف يكون أقرب إلى شرح الفراغ المسمى عند المحدثين بالمزمار«... تتشكل في الفراغ المسمى بالمزمار...».[4]

ويكون ابن سينا (ت 427هـ) قد ميز بين اللهاة ولسان المزمار حين يرى هذا الجزء من الحنجرة، فيوضح موقع كل منهما وكذا وظيفته في إصدار الصوت، يقول: « وأما الحنجرة فإنها آلة لتمام الصوت، ولتحبس النفس وفي داخلها جرم شبيه بلسان المزمار من المزمار، وهو لتعديل الصوت».[5] فكأنه يشبه الحنجرة بالمزمار وبداخله لسان المزمار، أما اللهاة فهي « تقوم مقام أصبع المزمار، وما يقابل من الحنك، وهو مثل الزائدة التي بها رأس المزمار فيتم فيها الصوت».[6] أما المقصود بلسان المزمار عند المحدثين فإن ابن سينا (ت 427هـ) يطلق عليه «وهذا الجرم الشبيه بلسان المزمار»[7] ، ووظيفته تتجلى في أنه « من شأنه أن ينضم، وينفتح ليكون بذلك قرع الصوت».[8]

وهذا ما يذهب إليه بعض الدارسين في تعريفهم للسان المزمار بأنه «غطاء على هيأة عضلة رقيقة تشبه ورقة الشجر، غضروفية ليفية تتشكل في الفراغ المسمى

---

[1] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 32
[2] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 32
[3] - القانون 2/302
[4] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 31
[5] - القانون 2/302
[6] - الحيوان لابن سينا ص 278
[7] -القانون 2/302
[8] - القانون 2/302

بالمزمار الواقع بين الوترين الصوتيين».[1] ويؤكد هذا محمد صالح في قوله: «... مع أن ابن سينا (ت 427هـ) أطلق على فتحة الحنجرة التي بها الحبال الصوتية والمعروفة في التشريح بكلمة glottis عبارة (الجسم الشبيه بلسان المزمار)».[2]

الفــــم

يعرفه ابن سينا (ت 427هـ) بأنه وعاء يوصل الغذاء إلى الجسم، ويضم ويجمع أعضاء الكلام في البشر، والتصويت عند سائر الحيوانات، يقول:« الفم عضو ضروري في إيصال الغذاء إلى الجوف الأسفل، ومشارك في إيصال الهواء إلى الجوف الأعلى ...، وهو الوعاء الكلي لأعضاء الكلام في الإنسان والتصويت في سائر الحيوانات المصوتة من النفخ».[3]

ويضم الفم مجموعة من المخارج لهذا يجعله مكي بن أبي طالب من المخارج الأساسية للحروف، يقول:«اعلم أن المخارج على الاختصار ثلاثة: الفم والحلق والشفتان»،[4]

ويجعل مكي بن أبي طالب للفم مخارج كاللسان والحنك والأضراس والثنايا، نحو قوله: «وتخرج من المخرج الأول من مخارج الفم مما يلي الحلق من أقصى اللسان وما فوق من الحنك».[5]

ويقول أيضا: «... تخرج من المخرج الثاني من مخارج الفم بعد القاف مما يلي الفم».[6]

و يقول كذلك: «... تخرج من المخرج الثالث من مخارج الفم بعد مخرج الكاف من وسط اللسان بين وبين وسط الحنك».[7]

---

[1] - الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 31
[2] -علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح ص 54
[3] - القانون 2/253.
[4] - الكشف 1/139.
[5] - الرعاية ص 145.
[6] - الرعاية ص 147.
[7] - الرعاية ص 149.

و قوله: « تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم، من أول حافة اللسان و ما يليه من الأضراس».[1]

هذا التصور نجده عند القرطبي(ت 461هـ) أيضا الذي يرى أن أقصى الحلق يتصل بالفم، يقول:«و مما فوق ذلك دانيا إلى الفم.. و من أقصى اللسان....»،[2] والأمر عينه نجده عند أبي عمرو الداني(ت 444هـ) يقول: « وأدناها إلى الفم...واللسان منه عشرة مخارج».[3]

ويتضح مما سبق أن غاية علماء التجويد كانت توزيع الحروف على مخارجها بصورة دقيقة دون الالتفات إلى الجهاز العام للنطق، مع ذلك يبقى مكي بن أبي طالب أكثرهم تبسيطا ودقة في تبيين توزع الحروف على مخارجها.[4]

لقد وضح علماء القراءة والتجويد صورة احتواء الفم على مجموع مخارج حروف تتداخل وتشترك بعضها مع البعض الآخر. وقد نقل ابن أبي مريم أن للفم مجموع أحياز عددها ثمانية « وهي مواضع من الفم، كل عدة من الحروف لها موضع مخصوص يسمى حيزا»،[5] وإذا أخذنا المعنى العام للفم فان الأسنان واللسان جزء من الفم، لكن نرى أن كلمة الفم حين تطلق يراد بها اللسان وما يحايد من الحنك الأعلى.[6]

الحنــــــك

وهو سقف الفم أو باطن الفم من أعلى، لهذا نجد له عدة تسميات: الغار الأعلى، اللثة - ولهذه التسمية آراء يختلف فيها-، ونطع الفم،[7] ويطلق عليه مكي بن أبي طالب نطع الغار الأعلى، يقول: « نطع الغار الأعلى، وهو سقفه».[8] وإلى نطع الغار تنسب

[1] - الرعاية ص 158.
[2] - الموضح ص 34.
[3] - التحديد ص 104.
[4] - ينظر الكشف ص 139 و 140.
[5] - الموضح لابن أبي مريم نقلا عن الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج في القراءات ص 48.
[6] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 102.
[7] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 100.
[8] - الرعاية ص 114.

الحروف النطعية،[1] كما استعمل الحنك «...من وسط اللسان إلى الحنك»،[2] وأهميته لا تظهر إلا مع اللسان مما جعل العلماء «لا يعتنوا ببيان أجزائه لانصرافهم إلى بيان أجزاء قريته وهو اللسان».[3]

أما الداني(ت 444هـ) فيذكر الحنك دون أية صفة فيما يأتي«من تقصى اللسان وما فوق من الحنك»،[4] وفي قوله أيضا: «...من اللسان قليلا و ما يلي من الحنك»،[5] وقوله أيضا: «من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك».[6] أما القرطبي(ت 461هـ) فيستعمل تارة مصطلح الحنك مجردا كقوله:«ومن أقصى اللسان و ما فوق من الحنك»،[7] وتارة يستعمل مصطلح الحنك الأعلى وهو الحنك عند الداني(ت 444هـ) يقول: «ومن اللسان قليلا وأدنى إلى مقدم الفم وما يليه من الحنك الأعلى»،[8]وكذلك قوله: «ومن وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى».[9]

أما الحنك الأسفل فهو مصطلح ذكره ابن البناء،[10] أما مكي بن أبي طالب فيسميه قاع الفم،[11] وهو المكان الذي يستقل فيه اللسان ولعله يسترخي فيه حين هدوئه.[12]

اللسان

وهو أهم عضو في جهاز النطق وإليه ينسب النطق والكلام واللغة، وقد استعاض به أبو عمرو الداني(ت 444هـ) عن الفم، فيذكر باب ذكر حروف الحلق،[13] وباب ذكر حروف اللسان.[14] أما ابن سينا (ت 427هـ) فتحدث عنه وفصل فيه وجمع فيه بين

---

[1] ـ ينظر الرعاية ص 114.
[2] ـ الكشف ص 139.
[3] ـ الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ص 49.
[4] ـ الرعاية ص 114.
[5] ـ التحديد ص 104.
[6] ـ التحديد ص 105.
[7] ـ الموضح ص 34.
[8] ـ الموضح ص 34.
[9] ـ الموضح ص 34.
[10] ـ ينظر بيان العيوب نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 102.
[11] ـ ينظر الرعاية ص 99.
[12] ـ ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 102.
[13] ـ ينظر الإدغام ص 49.
[14] ـ ينظر الإدغام ص 54.

دوره في الكلام وطبيعته الفزيولوجية، فيعرفه قائلا: « واللسان عضو منه (الهاء تعود على الفم)، هو من آلات تقليب الممضوغ، وتقطيع الصوت وإخراج الحروف، وإليه تمييز الذوق».[1]

ويربط ابن سينا (ت 427هـ) بين جودة الكلام وحسن خلقه، فيقول متحدثا عن بعض مزايا اللسان: « وأفضل الألسنة الاقتدار على جودة الكلام، المعتدل في طوله وعرضه، المستدق عند أسلته».[2] ويغفل ابن سينا (ت 427هـ) عن تعريف هذا العضو المهم في إنتاج الكلام في كتابه أسباب حدوث الحروف إذ يتحدث مباشرة عن العضلات المحركة له.

وللسان أهمية ودور في إنتاج الأصوات اللغوية المختلفة وإصباغها ببعض الصفات، ويكفي للتدليل على أهميته جعله علما على بعض العلوم، ومرادفا للغة. [3]

أما عضل اللسان فيتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن العضلات المحركة كما ذكرنا آنفا، ويغفل العضلات المكونة للسان نفسه، ولعل ذلك يعود لكون اللسان في شكله العام عبارة عن عضلة واحدة، فلم يميز ابن سينا (ت 427هـ) بين نوعي عضل اللسان، وهما عضلات اللسان الخارجية وعضلات اللسان الداخلية، بل إنه لم ينتبه إلى عضلات اللسان الداخلية بالمرة[4]، وجعلها عضلة واحدة، فيقول عن العضلات المحركة للسان: «وأما اللسان فيحركه عند التحقيق ثماني عضلات».[5] أما في كتابه القانون فيعدها تسع عضلات إذ يقول: « أما العضل المحركة للسان فهي عضل تسع»[6]، ويمكن تصنيفها كالآتي :

[1] - القانون 2/253.
[2] - القانون 2/253.
[3] - ورد اللسان بمفهوم اللغة في القرآن الكريم مثلا في أكثر من موضع الشعراء:195 ، إبراهيم:04.وقد أطلق ابن خلدون (ت 808 هـ) على علوم اللغة بعلوم اللسان العربي في مقدمته: يراجع تاريخ عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1/1055
[4] - ينظرعلوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 65
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 70
[6] - القانون 1/67

1- العضلتان المعرضة للسان : « منها عضلتان تأتيان من الزوائد السلمية التي عند الآذان يمنة ويسرة، وتتصلان بجانبي اللسان».[1] والوصف نفسه تقريبا نجده في القانون لكن بوضوح أكثر وإيجاز يقول: «اثنان معرضتان يأتيان من الزوائد السهمي ويتصلان بجانبيه».[2] أما عملهما في كيفية تعريض اللسان فلا نجده إلا في أسباب حدوث الحروف إذ يقول:« فإذا تشنجتا عرضتاه».[3]

2- العضلتان المطولة للسان: ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه باللام وتنفذان في وسط اللسان[4]، وهذا قوله كذلك في القانون:« واثنان مطولتان منشؤهما من أعالي العظم اللامي ويتصلان بأصل اللسان».[5] أما عملهما فيكون «.. إذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام فتبعهما جرم اللسان وامتد وطال».[6]

3- العضلتان الموربة للسان : ومنها عضلتان تأتيان من الضلعين السافلين من أضلاع هذا العظم، وتنفذان بين المعرضتين والمطولتين.[7] وفي القانون يقول ابن سينا (ت 427هـ):« واثنان يحركان على الوارب، منشؤهما من الظلع المنخفض من أضلاع اللامي، وينفذان في اللسان ما بين المطولة والمعرضة».[8] أما كيفية عملهما فلم يفصل في ذلك واكتفى بقوله:«ويحدث عنهما توريب اللسان».[9]

4- العضلتان الباسطة للسان: يقول ابن سينا (ت 427هـ): « ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين»[1]، ويوضح ذلك أكثر حين يقول: « واثنان باطحتان للسان قابلتان له موضعهما تحت موضع هذه المذكورة قد انبسط ليفهما تحته عرضا، ويتصلان بجميع عظم الفك».[2] أما كيفية عملهما فيقول:« وإذا تشنجتا بطحتا اللسان».[3]

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 70
[2] - القانون 1/67
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 70
[4] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 70
[5] - القانون 1/67
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 70 و 71
[7] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 71
[8] - القانون 1/67
[9] - أسباب حدوث الحروف ص 70
[1] - أسباب حدوث الحروف ص 71
[2] - القانون 1/67
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 71

أمـا إمالـة اللسـان إلـى فـوق وإلـى الـداخل فيـرى ابـن سـينا (ت 427هـ) أنهـا من«فعل المعرضة والموربة».[4]

ويكتفـي ابـن سـينا (ت 427هـ) بمـا سـبق مـن العضـلات فـي أسـباب حـدوث الحروف، ويضيف عضلة مفردة يثبتها في كتابه القانون فيقول: «وقـد نـذكر فـي جملـة عضل اللسان عضلة مفردة تصل ما بين اللسـان والعظـم اللامـي وتجـذب أحـدهما إلـى الآخر».[5] ويسند ابن سينا (ت 427هـ) إلى هذه العضلة تحريك اللسان طـولا وتقاصـرا. وفي هذا يذكر: «ولا يبعد أن تكون العضلة المحركـة للسـان طـولا إلـى بـارز، تحركـه كذلك لأن لها أن تتحرك في نفسها بالامتداد كمـا لهـا أن تتحـرك فـي تنفسـها بالتقاصـر والتشنج».[6]

وبهذا يكـون ابـن سـينا (ت 427هـ) قـد أغفـل الحـديث عـن اللسـان وأجـزائه المساهمة في إصدار الأصوات اللغوية، كوسط اللسان ومـؤخرته وطرفـه وغيـر ذلـك، في حين اهتم علماء القراءة والتجويد بهذا الجانب من الدراسة.

فللسان أربعة أقسام، طرف وحافتـان ووسـط وأقصـى.[1] أمـا طـرف اللسـان فيقـابله مكي بن أبي طالب بذلق اللسان و يعرفه بأنه الأطراف اللسـان و مـا يليـه مـن الشـفتين».[2] كما يساوي بين طرف اللسان وأسلته، لقوله« و طرف اللسان أسلته ».[3]

ويذكر بعض الدارسين أن ذلق اللسان يطلق على منتهى طـرف اللسـان،[4] ويقتـرب القرطبي(ت 461هـ) مـن هـذا المعنـى فيطلـق عليـه مسـتدق طرفـه، لقولـه: « ومـن حافـة اللسان من أدناها إلى مستدق طرفه».[5] أمـا الـداني(ت 444هـ) فاسـتعمل مصـطلح طـرف

[4] - أسباب حدوث الحروف ص 71

[5] - القانون 1/67

[6] - القانون 1/67

[1] - ينظر حق التلاوة حسني شيخ عثمان، مكتبة المنار الأردن، الزرقاء ط 9، ص 187.

[2] - الرعاية ص 110 وينظر ص 115.

[3] - الرعاية ص 114.

[4] -ينظر حق التلاوة ص 187.

[5]- الموضح ص 34.

اللسان مربوطا دوما بالثنايا مما يدل على أنه منتهى اللسان، يقول:« ...بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا...»[1]،

و«...ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا...»[2] و«...بين طرف اللسان والثنايا العليا..»[3]

و«...من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا، ويتصل بالخياشيم... ».[4]

أما الحافتان فهما جانبا اللسان « فللسان حافتان يمنى و يسرى».[5] و إن لم يصرح بالثنية عند القرطبي(ت 461هـ) إلا أنه يقصد حافتان اثنتان يقول: « ومن أول حافة اللسان ما يليها من الأضراس مخرج الضاد و إن شئت أخرجها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الأيسر».[6]

والأمر عينه عند الداني(ت 444هـ) الذي يقول: «فالضاد من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، فبعض الناس يجري له في الشدق الأيمن، وبعضهم يجري له في الشدق الأيسر، ومخرجها من هذا كمخرجها من هذا».[7]وجعل للسان هو أيضا أربعة أقسام، يقول: «اعلم أن حروف اللسان ثمانية عشرة حرفا، ولها عشرة مخارج، وينقسم جميعها على أربعة ألى أربعة أقسام: أقصى اللسان ووسطه وطرفه وحافته».[8]وفي كتابه التحديد يعيد المقولة السابقة تقريبا يقول فيها:« وللسان عشرة مخارج...فأقصى اللسان...ومن وسط اللسان...ولطرف اللسان...ولحافة اللسان».[9]

ويوافقه القرطبي(ت 461هـ) فيقول:«ومن أقصى اللسان...، ومن وسط اللسان...،ومن أول حافة اللسان...،ومن طرف اللسان...».[10] ولا يختلف معهم مكي بن

---

[1]- التحديد ص 105.
[2] - التحديد ص 105
[3] - التحديد ص 105
[4] - التحديد ص 105
[5] - حق التلاوة ص 187
[6] - الموضح ص 34
[7] - التحديد ص 105 و 106
[8] - الإدغام ص 54.
[9] - التحديد ص 104 و 105.
[10] - الموضح ص 34و 35.

أبي طالب، يقول:«...من وسط اللسان...»[1]، و«...من أول حافة اللسان...»[2]، و«...من حافة اللسان أدناها إلى منتهى طرفه»[3]، و«...مخرجها من طرف اللسان...».[4]

لكن في الكشف يغفل مكي بن أبي طالب أقصى اللسان، فيجعل القاف والكاف مع الشين والجيم والياء، فيذكر مباشرة من وسط اللسان.[5] ويلاحظ أن بعض علماء القراءة والاحتجاج كصاحب الكشف والرعاية لم يجعلوا للسان أربعة أقسام، بل«...ثلاثة أقسام: أقصى اللسان، وسط اللسان، طرف اللسان».[6]

وتتقارب بعض المصطلحات في أقسام اللسان لحد التداخل والتطابق، كما ينسب إلى مكي بن أبي طالب لما يراه بعض الدارسين من أنه « يسوى بين طرف اللسان وأسلة اللسان وذلق اللسان وهو ما يفهم من قول الداني(ت 444هـ) السابق، لكن بعض علماء التجويد يخصصون أسلة اللسان بمستدق طرفه».[7] فنرى أن مكي بن أبي طالب قد ساوى بين الذلق والطرف وأسلة اللسان من حيث المعنى اللغوي، رغم أنه استعمل كل صفة من تلك الصفات على مجموعة معينة من الحروف فالحروف «الذلقية ويقال الذلقية والذولقية، وهن ثلاث الراء واللام والنون».[8] و«الحروف الأسلية وهي ثلاثة الصاد والسين والزاي».[9]

وكان القرطبي(ت 461هـ) أدق في تحديد ذلق اللسان وأسلته جامعا بين الاصطلاح واللغة في توضيح الفرق بينهما فيقول عن الحروف الأسلية «...ثم الصاد والسين والزاي ثلاثة أحرف أسلية»، لأن مبدأها من أسلية اللسان وهي مستدق طرفه في حيز واحد... ».[10] وعن الحروف الذلقية يقول:«والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان

[1] - الرعاية ص 149.
[2] - الرعاية ص 158.
[3] - الرعاية ص 162.
[4] - الرعاية ص 162.
[5] - ينظر الكشف ص 139.
[6] - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج ص 49 و 50.
[7] - الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ص 102.
[8] - الرعاية ص 115.
[9] - الرعاية ص 114.
[10] - الموضح ص 37.

وهو تحديد طرفه كذلق اللسان، ويقال ذلقية بضم الذال بالإضافة إلى جمع أذلق مثل أحمر وحمر».[1]

وهذا ما توصل إليه عبد البديع النيرباني في قوله: «ومستدق طرف اللسان(ذلقه) و(أسلته)، غير أن الأول علم على مخرج اللام والنون والراء، في حين أن الأخر علم على مخرج الصاد والزاي والسين».[2]

ويستعمل كل من مكي بن أبي طالب والقرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ) ظهر اللسان، «وهو صفحته التي تلي الحنك الأعلى»[3]، فمكي ابن أبي طالب وظفه في تحديد مخرج الراء إذ يقول:«وكذلك الراء تخرج من مخرج النون، غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا».[4]

والأمر عينه عند القرطبي(ت 461هـ) إذ يقول:«ومن مخرج النون، غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء».[5] و يستعمل الداني(ت 444هـ) أيضا ظهر اللسان في توضيح مخرج الراء، يقول:«...غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام».[6]

الأسنان

لا يورد ابن سينا (ت 427هـ) الأسنان مع الأعضاء المساهمة في إصدار الأصوات اللغوية، رغم ما لها من أهمية بالغة أدركها المتقدمون وكذا الدارسون المتأخرون إذ « تكمن أهمية الأسنان، كجزء لا يقل ضرورة عن بقية أعضاء النطق، لما تمتلكه من ناصية القدرة على التأثير في صفة الصوت ونوعه».[7]

1 ـ الموضح ص 37.
2 ـ الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج ص 50.
3 ـ الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ص 50.
4 ـ الكشف ص 139.
5 ـ الموضح ص 35.
6 ـ التحديد ص 105 والإدغام ص 54.
7 ـ الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل ص 41.

إن الأسنان لها دور أساسي وبارز في إنتاج الأصوات وتحقيقها تحقيقا صحيحا دقيقا، والحديث عن الأسنان يرافق الحديث عن مخارج بعض الأصوات اللغوية وفقدان بعضها يؤدي إلى خلل في إخراج بعض الأصوات إخراجا صحيحا. ومما ذكر من الأسنان عند علماء التجويد نجد:

الثنايا: يقول القرطبي(ت 461هـ): «...و بين ما فويق الثنايا».[1]

1- الثنايا العليا: كقول القرطبي(ت 461هـ)«أصول الثنايا العليا».[2] وقوله أيضا:«أطراف الثنايا العليا».[3] و استعمل الداني(ت 444هـ) أيضا الثنايا العليا لتوضيح بعض مخارج الأصوات، فذكر «أصول الثنايا العليا»[4]، و«أطراف الثنايا العليا».[5] و«ما فوق الثنايا العليا».[6] و«الثنايا العليا» دون تحديد أطرافها أو أصولها.[7]

ووردت المصطلحات نفسها تقريبا عند مكي بن أبي طالب، فاستعمل هو أيضا «ما فويق الثنايا»[8]، و«أصول الثنايا العليا»[9]، دون تحديد صفة العليا، وعدم ذكر الصفة ليس نكرانها لأنه يذكرها في قوله:«وأطراف الثنايا العلى».[10] وورد أيضا استعماله للفظ "الثنايا العليا" وحدها في سياق ذكره لصفة الإطباق والاستعلاء في حرف الظاء فقال:«والظاء أمكن مماسة للثنايا».[11]

2- الثنايا السفلى: وردت عند مكي بن أبي طالب في قوله:«وفويق الثنايا السفلى»[12]، وعند القرطبي(ت 461هـ) نجده في قوله:«ومما بين الثنايا السفلى»[13]، وعند الداني(ت 444هـ) أيضا قوله:«وأصول الثنايا السفلى»[14]، ولم يستعمل لفظ السفلى في كتابه التحديد إذ جعل

---

[1] - الموضح ص 35.
[2] - الموضح ص 35.
[3] - الموضح ص 36.
[4] - التحديد ص 105 والإدغام ص 54.
[5] - التحديد ص 105 والإدغام ص 54.
[6] - التحديد ص 105.
[7] - ينظر التحديد ص 105.
[8] - الرعاية ص 167.
[9] - الرعاية ص 172.
[10]- الرعاية ص 194 و ص 201 والكشف ص 139.
[11] - الكشف ص 139.
[12] - الكشف ص 139 والرعاية ص 183.
[13] - الموضح ص 35.
[14]- الإدغام ص 54.

مخرج الصاد والزاي والسين«من مخرج واحد، وهي الفرجة التي بين طرف اللسان والثنايا العليا»[1]، يقول:«والصاد والسين والزاي من مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا».[2]

الأضراس

يقول القرطبي(ت 461هـ):«...وما يليها من الأضراس...»[3]، وعند مكي بن أبي طالب قوله: «...و ما يلي من الأضراس...»[4]، و يقول الداني(ت 444هـ) كذلك:«...إلى ما يلي الأضراس...»[5] ، وقوله: «...و ما يليها من الأضراس...».[6]

الضاحك و الناب و الرباعية و الثنية:

جاء ذكرها عند القرطبي(ت 461هـ) في قوله: «...مما فوق الضاحك و الناب والرباعية والثنية...»[7]، وعند الداني(ت 444هـ) قوله: «...مما فوق الضاحك والناب والرباعية و الثنية...».[8] ولم يرد ذكرها عند مكي بن أبي طالب القيسي.

أما ابن سينا (ت 427هـ) فيتحدث عن الأسنان باعتبارها عضوا مركبا فحسب، ويذكر عددها في قوله:«أما الأسنان فهي اثنان وثلاثون سنا، وربما عدمت النواجذ منها في بعض الناس، وهي الأربعة الطرفانية فكانت ثمانية وعشرين سنا».[9]

وتتوزع كالآتي[10]:

- ثنيتان ورباعيتان من فوق.
- ومثلها من أصل للقطع.
- نابان من فوق، ونابان من تحت للكسر.

---

[1] - التحديد ص 105.

[2] - الإدغام ص 54.

[3] - الموضح ص 34.

[4] - الموضح ص 34 والرعاية ص 158.

[5] - الإدغام ص 54.

[6] - التحديد ص 105.

[7] - الموضح ص 35.

[8] -

[9] - القانون 1/47 .

[10] - القانون 1/47 .

-أضراس للطواحن من كل جانب فوقاني وسفلاني أربعة أو خمسة.

الشفاه

إن الشفتين عضوان مهمان في عملية إتمام الصوت، ويعدها البعض من أعضاء النطق المتحركة.[1] ويعرف ابن سينا (ت 427هـ) الشفاه تعريفا علميا محضا هو الأقرب لمجال الطب بقوله: « الشفتان خلقتا غطاء للفم والأسنان، ومحبسا للعاب ومعينا في الناس على الكلام، وجمالا، وقد خلقتا في لحم وعصب، هي شظايا العضل المطيف به».[2] وقد أسست الشفاه لبعض المصطلحات اللغوية النحوية خاصة في مهد الدراسات اللغوية فيم يروى عن الخليل(ت 175هـ):« إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت...».[3]

ويجعل مكي بن أبي طالب الشفتان جزءا من الفم، يقول في مخرج الفاء «تخرج من المخرج الحادي عشر من مخارج الفم».[4] وإليها تنسب صفة مجموعة من الحروف وهي:«الحروف الشفهية، ويقال الشفوية...ومخرجهن من بين الشفتين، فنسبهن إلى الشفة»[5]،لأن مبدأها من الشفة،[6] و يميز فيها حسب مخارج الحروف باطن الشفة السفلى.[7] ما بين الشفتين، يقول القرطبي(ت 461هـ): «ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو»[8]، ويقول الداني(ت 444هـ): «وهو ما بين الشفتين».[9] ومكي بن أبي طالب أيضا يقول: «مما بين الشفتين».[10]

---

[1] - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د/عبد العزيز الصيغ ص 48.
[2] - القانون 2/283.
[3] - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 1/93
[4] - الرعاية ص 201.
[5] - الرعاية ص 116.
[6] - ينظر الموضح ص 37.
[7] - ينظر الرعاية ص 201 و الموضح ص 36 والتحديد ص 106 والإدغام ص 78.
[8] - الموضح ص 36.
[9] - التحديد ص 106 والإدغام ص 78.
[10] - الرعاية ص 203.

ولهذه الوضعية حالتين في إخراج الحروف تتمثل في: تطابقهما، وانفصالهما، يقول الداني(ت 444هـ):«...غير إن الشفتين تنطبقان في الباء والميم، ولا تنطبقان في الواو، بل تنفصلان».[1] ويستعمل القرطبي(ت 461هـ) لفظ التطابق دون الانفصال، يقول:«...غير إن الشفتين تنطبقان في الميم و الباء، ولا تنطبقان في الواو».[2] أما مكي بن أبي طالب فيستعمل التلاصق بدل التطابق، يقول:«مما بين الشفتين مع تلاصقهما».[3] و لا يستعمل لفظ الانفصال ولا يشير إليه في توضيح مخرج الواو فينسبه إلى ما بين الشفتين وحسب.[4]

ويتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن الشفتين في القانون لأنها عضو من الأعضاء المركبة للوجه، فيحدد العضلات المحركة لها، والجهات المحركة للشفاه، يقول:«أما الشفة فمن عضلها ما ذكرنا أنه مشترك لها وللخد، ومن عضلها ما يخصها».[1] كما يبين دورها الذي لأجله وجدت بقوله:« الشفتان خلقتا غطاء للفم والأسنان، ومحبسا للعاب ومعينا في الناس على الكلام وجمالا...».[2] فالعضلات الخاصة بالشفاه هي حسب ابن سينا (ت 427هـ) أربع عضلات،[3] «زوج منها يأتيها من فوق سمت الوجنتين ...، واثنان من أسفل».[4]

الخياشم:

يطلق عليه المتأخرون "التجويف الأنفي"[5]، لأنه يشبه الحجرات والتي لها تأثير واضح في تلوين الصوت اللغوي.[6] وإليها تنسب الغنة «وهي تفضي إلى الأنف».[5]

---

[1] - التحديد ص 106.
[2] - الموضح ص 36.
[3] - الرعاية ص 203.
[4] - ينظر الرعاية ص 209.
[1] - القانون 1/62.
[2] - القانون 2/28.
[3] - ينظر القانون 1/63.
[4] - القانون 1/63.
[5] - ينظر الأصوات اللغوية د. عبد القادر عبد الجليل ص 40
[6] – ينظر الأصوات اللغوية
1[5]- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ص 52.

والخيشوم «هوالمركب فوق غار الحلق الأعلى».[1] وقد وفق أبو عمرو الداني(ت 444هـ) إلى حد بعيد في تعريف الخيشوم بصورة واضحة، فقال:«والخيشوم الخرق المنجذب إلى داخل الفم».[2] و يتصل إلى مجرى الأنف، لأن الغنة لا تصدر إن سد مجرى الأنف، لذا تنسب الغنة للخيشوم.

وينسب استعمال هذا اللفظ إلى سيبويه(ت 180هـ)، فكان أول من استخدم لفظة الخياشيم، فبين أن الهواء يأخذ طريقه منها حين النطق بالنون والميم.[3] واستعمل القرطبي(ت 461هـ) لفظ الخيشوم لكن لم يعرفه بقدر ما بين طريقة مرور الهواء فيه حين نطق النون الخفية، والذي يكون بيسر وسلاسة، فيقول: «هي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد واللين في مواضعها».[4]

أما ابن سينا (ت 427هـ) فلم يستعمل لفظ الخياشيم، إنما عمد إلى توظيف لفظ الأنف، ويعود ذلك إلى اطلاع ابن سينا (ت 427هـ) لوظيفة الأنف العضوية، ولأهميته في استصدار الأصوات وتقطيع الحروف وكيفية حدوث ذلك، يقول: «وأما الأنف فمنافعه ظاهرة وهي ثلاثة ... وأما الثانية فإنه يعين في تقطيع الحروف وتسهيل إخراجها في التقطيع، لئلا يزدحم الهواء كله عند المواضع التي يحاول فيها تقطيع الحروف بمقدار. فهاتان منفعتان في واحدة».[5] ويوضح لنا ابن سينا (ت 427هـ) عمل الأنف في تقطيع الحروف، وهو بذلك يبرز لنا هيئة الأنف وثباته، فهو عضو غير متحرك، فيقول:«ونظير ما يفعله الأنف في تقرير هواء الحروف هو ما يفعله الثقب مطلقا إلى خلف المزمار فلا يتعرض له بالسد».[6]

الجوف

---

[1] - الرعاية ص 214.
[2] - التحديد ص 111.
[3] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 103.

[4] - الموضح ص 38.
[5] - القانون 1/64.
[6] - القانون 1/64.

لقد اعتمده علماء التجويد كمخرج لحروف المد المعروفة[1]، وعرفه الداني(ت 444هـ) بقوله: «...وحروف الاعتلال أربعة، حرف المد واللين الثلاثة والهمز، ويقال لها حروف الجوف لخروجها من الجوف، أجوف».[2] وفسر القرطبي(ت 461هـ) تسمية الجوف بقوله: «...وسميت جوفا لأن مخرجها لا معتمد له».[3] والجوف على ما يبدو ممتد من فوق الحنجرة إلى الشفتين، المسامي للحلق واللسان إذا فتح الناطق فاه.[4]

ونسب مكي بن أبي طالب بعض الحروف إلى الجوف، يقول: «الحروف الجوفية، ويقال الحروف الجوف، جمع أجوف...مما أكد الخليل(ت 175هـ) بذلك لأنه نسبهن إلى آخر انقطاع مخرجهن وهو الجوف».[5] ومتأثرا بمكي بن أبي طالب، يجعل ابن الجزري الجوف أول مخارج الأصوات، يقول:«...المخرج الأول الجوف وهو الألف والواو الساكنة المضموم ما قبله والياء الساكن ما قبلها».[6]

فهذه الحروف الجوفية إذا ليس لهن مكان محدد يعتمدن عليه في الخروج ولهذا سميت بالهوائية، يقول مكي بن أبي طالب:«...الحروف الهوائية، وهن الجوف»[7]، كما جعل الجوف متصلا بالحلق في قوله:«وزاد غيره معهن الهمزة، لأن مخرجها من أقصى الحلق وهو يتصل بالجوف...».[8]

الوتران الصوتيان

---

[1] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 106.
[2] - التحديد ص 111.
[3] - الموضح ص 55.
[4] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء والتجويد ص 106.
[5] - الرعاية ص 116.
[6] - النشر في القراءات العشر 1/199.
[7] - الرعاية ص 116.
[8] - الرعاية ص 116.

إن هذا الجزء من جهاز التصويت كان غير واضح عند القدامى، ولم نجد له أي أثر في نصوصهم، ومنهم علماء القرن الخامس للهجرة. ويحمل غانم قدوري غموض الحنجرة عموما عند علماء التجويد لأنها غير مرئية حيث يقول: «...وكانت الحنجرة هي العضو الوحيد الذي لم يتمكن علماء التجويد من وصفه كاملا، لأنها لا تقع تحت النظر، مع أنهم عرفوها وأدركوا تأثيرها في إنتاج الأصوات».[1]

ويتحدث عبد العزيز الصيغ عن جهل علماء العربية بالوترين الصوتين ووظيفتهما، وأرجع الغموض في فهم الجهر والهمس إلى الجهل بوجودهما، إذ يقول: «والوتران الصوتيان من الأعضاء التي خفيت على علماء العربية وظيفتهما، فما نسبوا صفتي الجهر والهمس إليهما، بل إن الصفتين لم يتضح معناهما في تعاريفهم وضوحا يزيل اللبس، بل ظل متلبسا غامضا يحار في فهمه اللاحقون، فيكررون عبارات السابقين تعريفا ولا يزيدون».[2] أما ابن سينا (ت 427هـ) فإنه لم يسم الوترين ولم يعاينهما إلا أنه أحس بوجودهما، وبدورهما، وهذا واضح في شرحنا لعمل الحنجرة ودورها في نشأة الصوت.[3]

ب ـ مستقبل الصوت (الجهاز السمعي)

[1] ـ الدراسات الصوتية عند علماء والتجويد ص 109 و 110.
[2] ـ المصطلح الصوتي ص 33 و 34.
[3] ـ ينظر ص 86 و 87. و 90و 91 من الرسالة.

هو جزء لا يتجزأ من عملية النطق ومكمل للعملية الإنتاجية للكلام، فالسمع شرط لإصدار الخطاب للمتحدث نفسه، «فالفم لا ينتج إلا الأصوات التي تسمعها الأذن».[1] فلا أهمية للكلام إن لم يكن له مستقبل.

وتعد الأذن العضو الأساسي في استقبال الأصوات وسماعها، وهو عضو حساس للأصوات، ذات درجات محددة من العلو والانخفاض، ويحددها العلماء بين 30 د/ت إلى 20000 د/ت.

وقد اهتم بعض علماء القرن الخامس الهجريبالأذن لدورها في عملية التواصل مع المحيط، كابن سينا (ت 427هـ) الذي يرى أن الأذن وظيفتها السمع، يقول:«اعلم أن الأذن عضو خلق للسمع».[2] ويسترسل في حديثه عن الأذن ويشرحها تشريحا طبيا وظيفيا، كونه طبيبا يشهد له بالدقة والبراعة الظاهرين في كتابه القانون الذي عد مرجعا رئيسا في تدريس الطب في أوروبا طيلة أربعة قرون كاملة.

فالأذن عنده تتكون من صوان الأذن ويسميه ابن سينا (ت 427هـ) صدف معوج مهمته جمع الأصوات وحبسها، وهذا ما توصل إليه عصام نور الدين في قوله: «ويقوم صوان الأذن بدور التقاط الصوت، وتوجيه المجرى الصوتي إلى الممر السمعي، وهذه وظيفة مهمة وخطيرة - خلافا لما يظن بعض العلماء من أنه لا تأثير على السمع عند الإنسان أو أنه يقوم بدور ثانوي جدا في عملية السمع – وتشبه وظيفة الرادار ووظيفة محطات استقبال الصوت»[3]، فلا يختلف هذا عن قول ابن سينا (ت 427هـ): «...وجعل له (الأذن) صدف معوج ليحبس جميع الصوت، ويوجب طنينه».[4]

[1] - علم الأصوات اللغوية- الفونتيكا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان ، ط 1، 1992، ص 163 و 165، والقول لألفريد توماتيس، هذا العالم برهن على أن ضبط الصوت عند المتكلم لا يكون إلا إذا كان مستمعا من خلال تجربة قادها مع مطرب.

[2] - القانون، 2/217

[3] - علم الأصوات اللغوية، عصام نور الدين ص 170

[4] القانون، 2/217

أما في تشريحه للأذن فيجعلها ابن سينا (ت 427هـ) ثلاثة أقسام وهو ما يراه الدارسون المحدثون، أذن خارجة ووسطى وداخلية.[1] وهذا ما يقابل صوان الأذن الذي يعتبر جزءا من الأذن الخارجية التي يضاف إليها الصوان الصماخ أوالممر السمعي أو قناة الأذن «وهو الجزء الممتد من الصوان الخارجي إلى طبلة الأذن».[2] هذا الجزء يراه ابن سينا (ت 427هـ) بداية قسم آخر من أقسام الأذن يقول: « وثقب يأخذ في العظم الحجري ملولب معوج، ليكون تعويجه مطولا لمسافة الهواء إلى داخل مع قصر تحته».[3]

ويعلل ابن سينا سبب التعرج الكائن في هذه القناة لتطويل المسافة بقوله: «الذي لو جعل الثقب نافذا نفوذا مستقيما لقصرت المسافة، وإنما دبر لتطويل المسافة إليه لئلا يغافص باطنه الحر والبرد المفرطان، بل يردان عليه متدرجين إليه».[4] وقد أثبت علم التشريح الحديث أن هذا الممر يمنع تسرب الشوائب والمؤثرات إلى الأذن الداخلية، ثم محاولة تقوية وتضخم الذبذبات الصوتية.[5]

ثم يأتي الجزء الثالث من الأذن، ويسمى الأذن الداخلية، «تحتوي على أعضاء السمع الحقيقية».[6] ويمثل المنطقة الحساسة المسئولة عن السمع لأنها تحتوي على العصب السمعي « ... الذي يصل بين الأذن الداخلية والجهاز العصبي المركزي في المخ. وتتجمع فيه الشحنات الكهربائية فينقلها إلى المخ، حيث تتم عملية تفسير الذبذبات وتجهيز الرد المناسب عليها».[7]

وقد توصل ابن سينا (ت 427هـ) إلى ذلك في قوله: «وثقب الأذن يؤدي إلى جوبة فيها هواء راكد، وسطحها الإنسي مفروش بليف العصب السابع الوارد من

[1] -علم الأصوات اللغوية الفونتيكا ص 171 وما بعدها.
[2] - علم الأصوات اللغوية الفونتيكا ص 171.
[3] - القانون 2/217 .
[4] - القانون 2/217.
[5] - ينظر علم الأصوات اللغوية الفونتيكا ص 171.
[6] - علم الأصوات اللغوية الفونتيكا ص 177 .
[7] - علم الأصوات اللغوية الفونتيكا ص 181 .

الزوج الخامس من أزواج العصب الدماغي، وصلب فضل تصليب لئلا يكون ضعيفا منفعلا عن قرع الهواء وكيفيته، فإذا تأدى الموج الصوتي إلى ما هناك أدركه السمع».[1]

موقع السمع عند ابن سينا (ت 427هـ)

قد نعتقد جميعا أن الصوت يحدث خارج الأذن ثم ينتقل فيصل إليها، هذا التصور الحادث في اعتقاد الكثيرين جعل تصورا آخر يرتسم في أذهان البعض وقد صاغه ابن سينا (ت 427هـ) على شكل تساؤلات في قوله: «ومما يشكل من أن الصوت هل هو شيء موجود من خارج تابع لوجود الحركة أو مقارن أو إنما يحدث من حيث هو صوت إذا تأثر السمع به، فإنه للمعتقد أن يعتقد أن الصوت لا وجود له من خارج».[2]

يثير ابن سينا (ت 427هـ) تساؤلا مهما يتجلى في الكشف عن حقيقة الإحساس بالصوت، فهل العصب الموجود في الصماخ مسئول عن ذلك، وإن صح ذلك هل يصبح اللمس أيضا بالأصبع أو بغيره لأي موضع سمع، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «...أنه يحدث في الحس من ملامسة الهواء المتموج، بل كل الأشياء التي تلامس ذلك الموضع باللمس أيضا تحدث فيه صوتا، فهل ذلك الصوت حادثا بتموج الهواء الذي في الصماخ أو لنفس المماسة».[3] ويفرق بين الحس من حيث هو إحساس خاص بحاسة السمع، وهي الأذن عن باقي طبيعة الحواس الأخرى، فالصوت يولد في الخارج وينتقل عبر التموجات الحادثة، فيصل إلى آلة السمع أو الصماخ، يقول:« فقد بان أن للصوت وجودا ما من خارج لا من حيث هو مسموع بالفعل، بل من حيث هو مسموع بالقوة، وأمر كهيئة من الهيئات للتموج غير نفس التموج».[4]

[1] ـ القانون 2/217 ، وقد ورد في كتاب النفس قوله عن الأذن الداخلية وقد سماه ابن سينا الصماخ يقول:« ...فإذا انتهى التموج من الهواء أو الماء إلى الصماخ، وهناك تجويف فيه هواء راكد يتموج بتموج ما ينتهي إليه وراءه الجدار مفروش عليه العصب الحاس للصوت ـ أحس بالصوت». وينظر النفس ص 71.
[2] ـ النفس ص 72.
[3] ـ النفس ص 72.
[4] ـ النفس ص 73.

يتمييز السمع بإدراك جهة صدور الصوت وطبيعته وقربه أوبعده، ولولا السمع لما استطعنا معرفة الاختلافات في الأصوات العديدة وصفة كل واحدة منها. وأهمية ذلك لخصه ابن سينا (ت 427هـ) في قوله: «...فكذلك السمع أيضا يدرك المضادة التي بين الصوت الثقيل والحاد، ويدرك المضادة التي بين الصوت الخافت والجعيد والصلب والأملس والمتخلل والمتكاثف، وغير ذلك».[1]

والأهم أن إدراك الاختلاف والتضاد ليس لنفسه، وإنما الصوت نفسه بعد ولادته يلبس صفة من تلك الصفات المميزة. فالسمع يدرك طبيعة الصوت لأنه صوت لُون بصفة معينة، لا لأنه يختلف عن غيره، فمقارنة الأصوات لا تتم إلا بعد نشأتها، وهذا ما أكده ابن سينا (ت 427هـ) في قوله:«... وهذه أعراض تعرض لمحسوسه الأول بعد أن يكون صوتا. وأما هناك فكل واحدة من المتضادات تحس لذاتها، لا بسبب الآخر».[2]

معوقات التواصل انطلاقا من عيوب النطق والسمع

تتطلب عملية إنتاج الكلام ثلاث محطات رئيسة، وهي كالآتي:

1- الجهاز النطقي: ودوره يكون أساسيا عند منتج ومصدر أصوات لغوية مركبة تركيبا لغويا محكما، حاملا لمعاني محددة، متجلية في أفكار وتجارب.

2- انتشار الصوت: الصادر على شكل ذبذبات متنقلا إلى أذن السامع، وهو الجانب الذي يحتاج إلى دقة أكبر ودراسات أعمق، خاصة وأنه يتعلق بجوانب فيزيائية وعضوية فسيولوجية، وكذا طبيعية كالأوساط الناقلة للصوت، وهذا الجزء يعتبره البعض مهملا «والجزء الخاص بانتقال الصوت من فم المتكلم إلى أذن السامع، ولا يدخل هذا الجزء ضمن اهتمام علماء الأصوات واختصاصهم وإن كان فهمه ضروريا».[3] هذا الشطر من الدراسة له أهمية كبرى لأنه يحدد مدى وصول أصوات المتحدث إلى أذن السامع بصفة صحيحة وكاملة.

[1] - النفس ص 73.
[2] - النفس ص 73.
[3] - الأصوات اللغوية، أبراهيم أنيس ص 168.

3ـ الأذن: وهي عضو حساس لاقط للأصوات بصفة آلية لا إرادية، إذ لا يمكن توقيف عمل هذا العضو متى نشاء، فالسمع عمل ميكانيكي خاضع لعوامل فيزيائية لا إرادية.
هذه المحطات ضرورية لإتمام عملية التواصل اللغوي، فأي خلل في إحداها ينجر عنه خلل في التواصل.

عيوب النطق الناتجة عن خلل في جهاز النطق:

تعرض ابن سينا (ت 427هـ) لعيوب الكلام وصحة النطق -انطلاقا من عيوب خلقية مصاحبة للجهاز النطقي- لأن ذلك من صميم تخصصه الطبي، فأولاها عناية أكبر مقارنة بمعاصريه.

1ـ **الحنجرة:** يرى ابن سينا (ت 427هـ) أن بعض الخلل في الحنجرة كالتمدد أو الاسترخاء قد يؤدي إلى خلل في الكلام، يقول: «وقد تكون الآفة في الكلام لسبب في عضل الحنجرة، إذا كان فيها تمدد، أو استرخاء فربما كان الإنسان يتعذر عليه التصويت في أول الأمر، إلا أنه يعنف في تحريك عضل صدره وحنجرته تعنيفا لا تحتمله تلك العضلة، فتعصى فإذا يبس في أول كلمة ولفظة استرسل بعد ذلك».[1] وقد أورد المبرد هذه الحالة باسم الحبسة ناسبا إياها إلى اللسان، يروى: «زعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال: أقبلت على الفكر في أيام محاربة الزط، فاعترتني حبسة في لساني».[2]

أما علاج ذلك فهو ذو أساس نفسي لا عضوي، فالهدوء والثقة يسهلان النطق والكلام «ومثل هذا الإنسان يجب أن لا يستعد للكلام بنفس عظيم وتحريك مصدر عظيم، بل يشرع فيه بالهوينى، فإنه إذا اعتاد ذلك سهل عليه الكلام، واعتاد السهولة فيه».[3]

[1] - القانون 2/259
[2] - الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر 2/221، وما بعدها.
[3] - القانون 2/259.

يبدو العلاج الوارد في النص آليا محضا، لكن المتمعن فيه يدرك أن تحريك العضل بالهوينى لا يكون إلا إذا سبق بترويض نفسي للمتحدث، يجنبه الوقوع في العجلة المتجلية في تحريك عضل الحنجرة بسرعة وقوة. أما المبرد فيرى أن ترويض اللسان وتعويده على الكلام يسهل التخلص من هذه الحبسة، يقول:« لأن اللسان يحتاج إلى التمرين على القول، حتى يخف له كما تحتاج اليد إلى التمرين على العمل، والرجل إلى التمرين على المشي»[1]، ويستشهد المبرد بأقوال بعض أعلام الأدب في ضرورة ترويض اللسان وإعماله، فيروى عن ابن المقفع قوله:« إذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه ولانت عذبته».[2] ويورد أيضا قول العتابي مستشهدا به في حالة إهمال اللسان دون كثرة استعماله، يقول: « إذا حبس اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف».[3]

2ـ **اللسان:** اقترن لفظ اللسان بالكلام، وجارحة اللسان بالنطق، فأولى الدارسون أهمية كبرى لهذا العضو لدوره في إنتاج الخطاب. ويعدد ابن سينا (ت 427هـ) صفات اللسان الفصيح: «وأفضل الألسنة على جودة الكلام، المعتدل في طوله وعرضه، المستدق عند أسلته».[4] أما غياب هذه الصفات كالزيادة أوالنقصان في الطول والعرض قد يعيب صاحبه« وإذا كان اللسان عظيما عريضا جدا، أو صغيرا كالمتشنج، لم يكن صاحبه قديرا على الكلام».[5] وقد يدل ذلك على أمراض نطقية نفسية ودماغية مصاحبة، تحتاج إلى كشف مبكر لها، والسرعة في علاجها مع مراعاة كل الجوانب المتأثرة، والتي قد تعيق عملية التواصل.

أما القدرة على الكلام التي يتحدث عنها ابن سينا (ت 427هـ) فهي درجات وليست مرتبطة باللسان فحسب، بل يتعداه إلى أعضاء محركة ومنبهة له كالدماغ مثلا،

[1] - الكامل 2/222.
[2] - الكامل 2/222.
[3] - الكامل 2/222.
[4] -القانون 1/253.
[5] - القانون 1/253.

فيتحدث عن تشنج اللسان الذي يذكره مع أسباب الضرر في الكلام حين يحدد طبيعة هذا التشنج فيه، يقول: «قد يكون تشنج اللسان من رطوبة لزجة تمدد عضله عرضا... فالتشنج قد يظهر أيضا ضررا في الكلام».[1] ويذكر أيضا استرخاءه وأعراض ذلك وعلاماته، فيقول:« استرخاء اللسان من جملة أصناف الاسترخاء المذكورة فيما سلف، والسبب المعلوم، وقد يكون من رطوبة دموية مائية، وقد يكون لسبب في الدماغ، وقد يكون لسبب في العصبة المحركة له أو الشعبة الجائية منها إليه...».[2]

و الاسترخاء هذا في اللسان يؤدي إلى :

- عدم الكلام.

- تعسر الكلام.

- تغير الكلام، ويتعلق الأمر في أغلبه ببعض العادات النطقية غير السليمة كالفأفأة والتعتعة، يقول ابن سينا (ت 427هـ): « وقد يبلغ الاسترخاء باللسان إلى أن ينعدم الكلام، أو يتعسر أويتغير ومنه الفأفأة والتمتام، ومن الصبيان من تطول به مدة العجز في الكلام، ومن المتعتع في كلامه من إذا عرض له مرض حار، انطلق لسانه لذوبان الرطوبة المتعتعة للسان المحتبسة في أصول عصبه، ولمثل هذا يكون الصبي ألتع، فإذا شب واعتدلت رطوبته عاد فصيحا».[3]

يحمل هذا النص مصطلحات خاصة تدخل في عيوب النطق الصوتية[4]، وقد اهتم بها اللغويون الأوائل وأفردوا لها أبوابا وفصولا، أما ابن سينا (ت 427هـ) فقد اهتم بها من الجانب الفزيولوجي الطبي فتحدث عن أسباب تلك العيوب وكيفية معالجتها[5]، خاصة عند الأطفال إذ يرى أن تشجيعهم على النطق والكلام من أهم العلامات، يقول: «...ومما يحرك لسانهم ويطلقه إجبارهم على الكلام».[6]

[1] - القانون 2/257.
[2] - القانون 2/255.
[3] - القانون 2/256.
[4] - ينظر اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د/ عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 15 وما بعدها.
[5] - القانون 2/256.
[6] - القانون 2/256.

ويتوصل ابن سينا (ت 427هـ) إلى أن الاختلالات النطقية لا يكون أصلها من اللسان فحسب باعتباره العضو المتضرر، لكن قد يكون السبب مناصفة مع أعضاء أخرى كالدماغ والمعدة، يقول: «واللسان قد يألم بانفراده، وقد يألم بمشاركة الدماغ، أو المعدة، ولما كانت عصبة اللسان متصلة بعدة أعصاب لم يخل إما أن تكون تلك الأعصاب مواتية لها في الحركة لا تعاوقها وتواتيها، فتكون حال أصحاء الكلام، وإما تعاوقها ولا تواتيها بسهولة، فيكون التمتمة ونحو ذلك».[1]

ويرى القاضي عبد الجبار أنه يتعذر على المرء القدرة على ترتيب المعاني وصناعة الكلام، إذ يتعسر التعبير، فيحدث خلل في الكلام، فهو يقول: «وإنما يتعذر على الواحد منا الكلام مع صحة آلته لفقد العلم بترتيبه، لا لفقد المعنى الذي ادعوه في نفسه، فسبيله سبيل تعذر الصناعة مع حصول الآلات وغيرها».[2]

وانطلاقا من التمييز بين الحروف والأصوات، يذكر القاضي عبد الجبار ضرورة تلقين الصغار اللغة حتى تكتمل قدرة التعلم في استعمال اللغة ومهاراتها، يقول: «...وتمكن الصبي من الصوت دون الكلام لا يصح، لأن الكلام يحتاج إلى العلم بتصريف الآلة، التي هي اللسان، وغيرها على بعض الوجوه، كما يحتاج إلى آلة مخصوصة، فإذا لم يعلم الطفل ذلك، أو لم تكتمل آلته، لم يمكنه إيجاده، وصار ذلك بمنزلة من لا يعلم الأفعال المحكمة في تعذره عليه. ولذلك علم ذلك ومرن عليه فعل الكلام. وقد يفعل اليسير من الكلام من غير تعليم باتفاق».[3]

وتختلف نظرة علماء التجويد عن نظرة ابن سينا (ت 427هـ) لعيوب النطق، لكنها مكملة لها.

لقد اهتم علماء التجويد بتصحيح النطق وتمكين اللفظ عند القارئ، فركزوا على توضيح طريقة نطق الحروف وتجويدها وقراءتها، فكان لزاما عليهم الحديث عن عيوب النطق

---

[1] - القانون ص 254 و 255.
[2] - خلق القرآن ص 20.
[3] - خلق القرآن ص 22و 23.

وما يتصل بها. ولم يكن علماء القرن الخامس على اختلاف تخصصاتهم أول من خاض في الموضوع، وإنما نجد علماء اللغة الأوائل قد اهتموا بالأمر لأنه يتصل مباشرة بفصاحة اللسان، ومن هؤلاء نجد ابن جني الذي يدخل في اللثغ حروف محددة بعينها فيرى مثلا أن ما ورد عن سحيم في قوله:

فلو كنت وردا لونه لعسقتني ولكن ربي سانني بسواديا

من إبدال الشين سينا ضعف وعيب في النطق يقول ابن جني: «فإنما قلب الشين سينا لسواد وضعف عبارته عن الشين، وليس ذلك بلغة، وإنما هو كاللثغ».[1]

وفي هذا السياق ما ورد ذكره عند المبرد[2] من أمور تخل بفصاحة اللسان.

ومن علماء التجويد في القرن الخامس الهجري نجد القرطبي(ت 461هـ) الذي أفرد فصلا في كتابه الموضح يعرف ببعض ما يعيق النطق السليم بحروف العربية وأصواتها، فجعل ذلك كله في ثلاثة أقسام:

أ- ما يتصل بعيوب في آلة النطق، يقول: «....و صمته تعترض منطقه، وعيا مختلج طبعه، ففطر سليما منم اللكنة والحكلة والحبسة والرتة والكثفة، خاصا من الهتهتة والتهتهة والفأفأة أوالتعتعة، بعيدا من اللجلجة، والخنخنة والمقمقة والتمتمة، بنجوة من اللفف واللثغ والفهاهة والحصر».[3] وفي السياق نفسه ما ورد عن أبوعلي الحسن بن عبد الله ابن البناء(ت 471هـ)[4]، كالخنة.[5]

ب- ما يتصل بفصاحة اللسان، يقول القرطبي(ت 461هـ): «وكانت عربيته بريئة من الكشكشة والكسسسة والتلتلة والكتكتة واللخلخانية والطمطانية والعنفية».[6]

ج- ما يتصل بخلق الحديث والكلام، يقول القرطبي(ت 461هـ): «ولم يكن ثرثارا ولا مهذارا ولا متشدقا ولا متفيهقا».[7]

---

[1] - سر صناعة الإعراب 1/203.
[2] - ينظر الكامل 2/221.
[3] - الموضح ص 188.
[4] - صاحب كتاب العيوب التي يتجنبها القراء، وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء، ولم يتسن لنا تصفح الكتاب لكن لابد وأنه قيم بدليل العنوان المتخصص والذي يبدو نادرا وقليلا في هذا المجال، و يعرض د/غانم القدوري لبعض آرائه و ملاحظاته نورد بعضها نقلا عنه.
[5] - يراجع كتاب العيوب ابن البناء، نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 572.
[6] - الموضح ص 188.
[7] - الموضح ص 188.

ويضيف ابن البناء إلى هذا بعض العادات الجسدية أثناء الكلام، كتحريك الرأس كالالتفات عن يمين وعن شمال ، أو تحريكه بزعزعة من أسفل إلى علو أو علو إلى أسفل، كالإيماء بنعم... ومن عبوس الوجه وتقطيبه ونحو ذلك من هيئات الجوارح».[1]

وقد تحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن هذه الأمراض أيضا لكن ببعض الدقة الطبية والعلاجية، فحين جاء على ذكر التمتمة ذكر أنها قد تكون لسببين:
فأما الأول فهو عيب في اللسان لخلل في الأعصاب المحركة له. وأما الثاني فقد تقع «من الحبسة بسبب أن العصبة تستقي القوة من عصب آخر، فينحبس إلى أن يتجه».[2]
والحبسة يعدها اللغويون ومن بينهم المبرد من أنواع عيوب النطق فيقول عنها: «والحبسة تعذر الكلام عند إرادته».[3] أي عدم القدرة على التحكم في إصدار الحروف والألفاظ والاسترسال في الكلام حين إرادة المتحدث لذلك، فيحدث شبه احتباس فيتعذر على المتكلم إصدار الأصوات بسلاسة.

وقد سبق ذكرالحبسة في الخلل الخاص بالحنجرة، وهي ذات أسباب نفسية أكثر منها عضوية تحتاج إلى تدريب وترويض، وهي عدم الكلام أو تعسره عند ابن سينا (ت 427هـ) بسبب الخلل الواقع في اللسان، يقول: «وقد يبلغ الاسترخاء باللسان إلى أن يعدم الكلام، أويتعسر...أويتغير...».[4]

ولم يربط ابن سينا (ت 427هـ) بين طبيعة الخلل الوارد في اللسان واسم المرض، مما يجعل الحبسة والرتة والعقلة تشترك في انعدام السلاسة في اللسان أثناء النطق، فقد ينعدم الكلام أويتعذر بسبب الرتة.ويعرف المبرد الرتة بأنها تعذر في انطلاق الكلام، فإذا حدث ذلك اتصل الكلام عند المتكلم بيسر وسلاسة.[5] ويجمع القرطبي(ت 461هـ) بين

---

[1] - كتاب العيوب لابن البناء نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 572.
[2] - القانون 2/255.
[3] - الكامل 2/221.
[4] - القانون 2/256.
[5] -ينظر الكامل 2/221.

الرتـة والحبسـة، وأنهمـا عقلـة فـي اللسـان، يقـول:« فهمـا عقلـة فـي اللسـان و عجلـة فـي الكلام»[1]، فيساوي القرطبي(ت 461هـ) بين الحبسـة و العقلـة، أمـا المـبرد فيعـرف العقلـة بأنها «التواء اللسان عند إرادة الكلام».[2]

أمـا الثعـالبي فيـأتي علـى ذكـر عيـوب اللسـان والكلام فـي فصـل واحـد، فيبـدأ الحديث عنها بتعريفه للتمتمة دون ذكره لأسبابها، بقوله: «التمتمة أن يتردد في التاء».[3] وهو التعريف نفسه الوارد عند المبرد في الكامل « التمتمـة الـتردد فـي التـاء».[4] وهـي عند القرطبي(ت 461هـ) «التردد في التاء»[5]، والتمتام عند ابن سـينا (ت 427هــ) هـو تحول اللسان وتغيره ولا يعرفهـا كـاللغويين ربمـا لشـهرتها فلايقـدم أسـبابها كمـا سـبق توضيح ذلك.
والتمتمة عند الثعالبي هي «أن يتردد في الفـاء».[6] وهـذا قـول المـبرد أيضـا: «الـتردد فـي الفاء»[7]، لكن القرطبي(ت 461هـ) يدعوها الفأفأة، يقول أنها: «التردد في الفاء...».[8]

فأما اللثغة فهي التحول من حرف إلى حرف، يقـول المـبرد:« اللثغـة أن يعـدل بحرف إلى حرف».[9] وذهب في هذا الاتجاه بعض الدارسـين مـن أن اللثغـة «...تكـون في أربعة حروف (ق، س، ر، ل)، فالتي تعرض للقاف يجعلها صاحبها طاء، فيقـول: طلت في قلتن ومنهم من يبدلها كافـا، وأمـا السـين فتبـدل ثـاء والـتي تعـرض فـي الـراء أربعة أحرف: منهم من يجعلها غينا، ومنهم عينا...».[10] في حين يحصـر الثعالبي اللثغـة في « أن يُصيِّر الراء لاما والسين ثاء في كلامه».[11]

---

[1] - الموضح ص 188.
[2] - الكامل 2/221.
[3] - فقه اللغة، للثعالبي وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، ص 72.
[4] - الكامل، 2/221.
[5] - الموضح ص 189.
[6] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 72.
[7] - الكامل 2/221.
[8] - الموضح ص 189.
[9] - الكامل، 2/221.
[10] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 72.
[11]- فقه اللغة وأسرار العربية ص 72.

ويعرف القرطبي(ت 461هـ) اللثغة بقوله: «فهي أن يصير الراء لاما في كلامه و يبدله بها».[1] وهو عيب في إخراج حرف الراء من مخرج اللام لقرب مخرجهما، يقول القرطبي(ت 461هـ) «و من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى الكلام مخرج الراء».[2]

وتتشابه الراء واللام في الترقيق والتفخيم، «وإنما اختصت الراء واللام بالترقيق والتفخيم دون غيرهما من الحروف لتشابه بينهما و بين الألف».[3]

فالانتقال من الراء إلى اللام ومن اللام إلى الراء في الألفاظ أيسر إذا صاحبهما ترقيق أو تفخيم. وهذا واضح عند الأطفال في بدايات نطقهم وكلامهم إذ ينتقلون من حرف اللام إلى حرف الراء والعكس أيضا بيسر وسهولة «ولهذا نجد الأطفال عندما يفرون من الراء لما فيها من تكرير يتحولون بها إلى اللام فيقولون في راح مثلا لاح قد يمتنع أن يقع العكس لهذا القراء، أعني أن يتحول باللام إلى الراء»[4]، وتكون في أغلب أحوالها مفخمة لأنها أيسر في النطق عندهم لأن اللسان فيه يكون منبسطا بانحصار الصوت بينه و بين الحنك[5]، ولا يتطلب ذلك مجهودا ظاهرا خلاف الترقيق الذي يحتاج فيه الناطق المتعلم إلى بعض الجهد وهذا واضح عند الأعاجم الناطقين بحروف وأصوات عربية.

ويذكر ابن جني إبدال الراء من اللام «وأما قولهم في الدرع: نثرة وتثلة فينبغي أن تكون الراء بدلا من اللام، لقولهم: نثل عليه درعه، ولم يقولوا نثرها، فاللام أعم تصرفا فهي الأصل».[6] فالأصل إذا اللام و الراء أبدلت مكانه، عكس ما ذكره القرطبي(ت 461هـ) في تصيير الراء لاما، فلعل الأول جاء عند العرب، أما الثانية فاستكره العرب حدوثه، فيكون الأول إبدالا و الثاني لثغة. فإبدال حرف مكان حرف هنا معناه وجود لفظين اثنين لشيء واحد «ولا نتصور أن تكون العرب قد وضعت

---

[1] - الموضح ص 188.
[2] - الموضح ص 35.
[3] - الموضح ص 70.
[4] - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 142.
[5] - ينظر الموضح ص 66.
[6] - سر صناعة الإعراب 1/192.

لفظين لمعنى و احد وخالفت بينهما في حرف واحد، وأعطت هذه لقبيلة وتلك لأخرى، فحين يقول عربي هو الصقر ويقول الآخر هو السقر لابد أن يكون الأصل أحدهما، والآخر بدل التزم عند قوم لسبب ما».[1]

وأما في وضعية اللسان عند النطق بالصوتين فنجد مثلا، في الثاء يكون طرف اللسان في طرف الثنايا وفي التاء يكون في أصول الثنايا، و يورد القرطبي(ت 461هـ) أن إبدال الثاء تاء لغة من لغات العرب، يقول: «و في الخبيث: الخبيت وأنشدوا فيه: ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت. روي أن الخليل(ت 175هـ) قال للأصمعي: لم يقال الخبيت؟، فقال:هذه لغتهم».[2]

وترجع الباحثة صرايرة إلى أن تحول الثاء إلى تاء في بعض الألفاظ حديثا إلى تطور اللغة الناتج عن قانون السهولة والتسيير، «فالثاء صوت صعب يتطلب نطقه إخراج اللسان من بين الأسنان، لذلك تحول إلى صوت أسهل منه هو التاء،... وقد تطور صوت الثاء إلى تاء في اللغة العامية كما في تعلب، كما يستعمل صيغة ثعلب في اللغة العامية كذلك».[3]

أما إبدال التاء من السين فيجعله القرطبي(ت 461هـ) من لغات العرب إذ يقول مستشهدا: «وقد أبدل بعضهم التاء من السين، فقال: يا قاتل الله بني السعلات

عمرو بن يربوع شرار النات

غير، أعفاء و لا أكيات

يريد: الناس وأكياس..».[4]

و لم يعلل القرطبي(ت 461هـ) أسباب ذلك، في حين يرجع ابن جني إبدال التاء من السين في الناس وفي أكياس إلى الهمس وتقارب في المخرج، يقول: «يريد الناس

[1] - الدراسات اللهجية والصوتية ابن جني د/حسام سعيد النعيمي ص 94. دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية 1980.

[2]- الموضح ص 189.
[3]- صراع الأنماط اللغوية ص 177.
[4] - الموضح 189.

وأكياس،فأبدل السين تاء لموافقتها إنها في الهمس والزيادة وتجاور المخارج».[1] كما يورد ابن جني لفظ ختيت والمقصود خسيس[2] المصدر. و يرى حسام الدين النعيمي أن ذلك قد يدخل في مجال عيوب النطق، يقول: «...ونحن نسمع اليوم من يبدل السين ثاء باطراد لعيب في نطقه، فيقول ثلام عليكم في سلام عليكم وهي كثيرة في نطق الأطفال وبعضهم يجعلها تاء فيقول في سالم تالم مثلا...».[3]

ويرى ابن جني أن اللثغ عيب نطقي في قلب الشين سينا فيرى في قول سحيم:

فلو كنت وردا لونه لعسقتني و لكن ربي سانني بسواديا

« فإنما قلب الشين سينا لسواده وضعف عبارته عن الشين، وليس ذلك بلغة، وإنما هو اللثغ».[4] واللثغة عند المبرد هو«التحول من حرف إلى حرف»[5] دون تحديد للحروف.

أما ابن سينا (ت 427هـ) فيفسر علة المتعتع والألثغ وبعض الصبيان الذين تأخروا في النطق بسبب رطوبة معينة في أصول أعصاب اللسان، وقد تعاود الفصاحة ألسنتهم عند زوال هذه المسببات، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «ومن الصبيان من تطول به مدة العجز عن الكلام، ومن المتعتع في كلامه من إذا عرض له مرض حار، انطلق لسانه لذوبان الرطوبة المتعتعة للسان المحتبسة في أصول عصبه، ولمثل هذا ما يكون الصبي ألثغ، فإذا شب واعتدلت عاد فصيحا».[6]

أما التعتعة فهي« حكاية صوت العيي والألكن...» [7] عند القرطبي(ت 46 1هـ)، وقد تتداخل مع اللجلجة، فقد ورد عن الثعالبي، قوله فيها: «أن يكون فيه عي وإدخال بعض الكلام في بعض».[8] وهذا ما ذكره القرطبي(ت 461هـ) قائلا: «أن يكون في نطقه عي وإدخال لبعض الكلام على بعض».[9]

[1] - سر صناعة الإعراب 1/ 155 و 156.

[2] - سر صناعة الإعراب 1/ 156.

[3] - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 152.

[4] - سر صناعة الإعراب 1/ 203.

[5] - الكامل 2/221.

[6] - القانون 2/256.

[7] - الموضح ص 189.

[8] - القانون 2/256.

[9] - الموضح ص 189.

والعي حسب الثعالبي درجات أقصاها البكم وأدناها عـي، يقـول: «رجـل عيـي وعي، ثم حصر، ثم فه، ثم مفحم، ثم لجلاج، ثـم أبكـم».[1] والعـي عنـده أيضـا قد يقابـل الهتهتة و«الهتهتة والهثهثة بالتاء والثاء أيضا حكاية صوت العي والألكن».[2]

وجاء في اللسان أن الأزهري ذكر الهتهتة والتهتهة في «إلواء اللسان عنـد الكلام، وقال الحسن البصري في بعض كلامه والله ما كانوا بالهتاتين ولكنهم كانوا يجمعون الكلام ليعقل عنهم يقال، رجل مهت وهتات إذا كان مهذارا كثير الكلام».[3]

ويذكر القرطبي(ت 461هـ) علة الهتهتـة أوالهثهثـة بقولـه: «بالثـاء والتـاء: حكايـة التـواء اللسـان عنـد الكلام»[4]، فلا يجعلهـا مـن العـي، لكنـه يسـاوي بيـن الليـغ والفهاهـة والحصر والعي.[5] والليغ حسبه هو: « مصدر الأليغ، وهو الذي لا يفصح بالكلام».[6] وهـذا ما يذهب إليه الثعالبي في قوله: والليغ « أن لا يبين الكلام».[7]

وقريب من الليغ والهتهتة نجد اللفف عند القرطبي(ت 461هـ) وهو« أن يكون في اللسان عجلة وانعقاد»[8]، لكن الثعالبي يعزو إلـى اللسـان الثقـل بـدلا مـن العجلـة فـي قولـه: «أن يكون في اللسان ثقل وانعقاد».[9]

أما الخنخنة فهي عيب لا علاقة باللسان فيه لأنها إصدار جزء مـن الأصـوات مـن الخيشوم أو تكلم «من لدن الأنف».[10] وهـي«التكلـم بالخـاء مـن الأنـف، قيـل هـي ألا يـبين

[1] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 73.
[2] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 72.
[3] - اللسان 3/409.
[4] - الموضح ص 189.
[5] - الموضح ص 189 و 190.
[6] - الموضح ص 189.
[7] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 72.
[8] - الموضح ص 189.
[9] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 72.
[10] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 72.

المتكلم للسامع كلاما فيخنخن في خياشيمه». [1]وهي عند المبرد مبالغة في الغنة التي يراها من العيوب الصوتية «والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم، والخنة أشد منها».[2]
ويعزو الثعالبي سبب الخنة إلى «أن لا يبين الرجل كلامه فيخنخن في خياشيمه».[3]

ويضيف الثعالبي إلى قائمة العيوب النطقية المقمقة وهي «أن يتكلم من أقصى حلقه».[4] وهذه أيضا لا علاقة لها باللسان بقدر ما لها علاقة بالحلق، ولم يوضح لنا كيفية ذلك، فقط ينسب ذلك إلى الفراء، و عند المبرد نجد الغمغمة التي تكون في الكلام وغيره، «لأنه صوت لا يفهم تقطيع حروفه».[5]

فأما اللكنة والحكلة فهي عقدة في اللسان وعجمة في الكلام[6]، أو هو وجود عارض أعجمي في اللغة، يقول القرطبي(ت 461هـ): «واللكنة أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية».[7] فتكون اللكنة إذا هي نقص الفصاحة في نطق الحروف، ومن ثم نقص الفصاحة في اللغة عند الأعاجم لعدم قدرة اللسان على مطاوعة الحروف المنطوقة الجديدة على لسانه.

العادات النطقية

قد نتساءل عن الفرق بين بعض عيوب النطق وبعض العادات النطقية ولغات بعض القبائل والمناطق العربية. فقد تكون الأولى فردية شخصية والثانية عامة، لكن يتصل كلاهما بفصاحة اللسان، وقد أطلق الثعالبي على الثانية «العوارض التي تعرض لألسنة العرب».[8]

---

[1] - الموضح ص 189.
[2] - الكامل، 2/221 .
[3] - فقه اللغة وأسرار العربية ، ص 72.
[4] - فقه اللغة ص 72.
[5] - الكامل، 2/223
[6] -ينظر الموضح ص 188.
[7] - الكامل 2/221.
[8] - فقه اللغة ص 72.

ولعل هذه العوارض تنقص من درجة الفصاحة عند العربي، يقول المبرد: «وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة قال معاوية يوما: من أفصح الناس ؟ فقام رجل من السماط، فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير. فقال له معاوية: من أولئك ؟، فقال: قومي يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: من أنت؟، قال: أنا رجل من جرم، فقال الأصمعي: وجرم من فصحاء الناس».[1]

ومن أشهر هذه العوارض نجد:

الكشكشة: يقول الثعالبي أنها «تعرض في لغة تميم كقولهم في خطاب المؤنث ما الذي جاء بش يريدون بك، وقرأ بعضهم (قد جعل ربش تحتش سريا) لقوله تعالى:{ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}[2]».[3]

ويعرفها القرطبي(ت 461هـ) أنها إضافة الشين إلى كاف المخاطب وينسبها إلى تميم أو بكر، يقول: وهي «ما يعرض في لغة تيم عند خطاب المؤنث من إبدال الشين من كاف المخاطب، يقولون: ما جاء بش، يريدون ما جاء بك....وقيل بل في لغة بكر».[4]

وهذا موافق لما جاء عند ابن جني، فالكشكشة حسبه ظاهرة لغوية تتجلى في إبدال كاف المؤنث في الوقف وغيره شينا. وسبب ذلك أنه «ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شينا حرصا على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلها شينا، فقالوا: عليش، و منش، و مررت بش، و منهم من يجري

[1] - فقه اللغة ص 72. الكامل 2/221.
[2] - سورة مريم: الآية 24
[3] - فقه اللغة ص 73.
[4] - الموضح ص 190.

الوصل مجرى الوقف، فيبدل فيه أيضا».[1] ونسبها إلى ربيعة في قوله: «وأما كشكشة ربيعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: انكش ورايتكش واعطيتكش، ففعل هذا في الوقف، فإذا وصلت أسقطت الشين».[2]

أما سيبويه(ت 180هـ) فينسب الكشكشة إلى تميم وبعض من أسد في قوله: «فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين».[3] ووضح أن ذلك حادث في الوقف للتفريق بين المذكر والمؤنث، إذ التفريق بالحروف أقوى من الحركة لقوله: «لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا آن يفصلوا بين المذكر و المؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل، لأنهم أذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف الكاف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة».[4]

ولا يوازن سيبويه(ت 180هـ) بل يطابق بين إضافة الكاف لتمييز المؤنث وإضافة النون لقوله: «....كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا ذهبوا وذهبن، وانتم وانتن».[5] ويعلل سيبويه(ت 180هـ) هذه الكشكشة لاشتراك الشين والكاف في الهمس وكان ذلك في نظره كافيا لقوله: «وجعلوا مكانه أقرب ما يشبهها من الحروف إليها، لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، و لم يجعلوا مكانها مهموسا من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق وذلك قولك: انش ذاهبة، ومالش ذاهبة، تريد إنك ومالك».[6]

ويعطي المبرد تعليلا صوتيا للكشكشة بقوله: «فإن بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا، لقرب الشين من الكاف في المخرج، وإنها مهموسة مثلها، فأرادوا البيان في الوقف لأن في الشين تفشيا، فيقولون للمرأة: جعل الله-

[1] - سر صناعة الإعراب 1/201.
[2] - الخصائص 2/11.
[3] - الكتاب 4/199.
[4] - الكتاب 4/199.
[5] - الكتاب 4/199.
[6] - الكتاب 4/199.

البركة في دارش ويحك مالش، والتي يدرجونها يدعونها كافا، و التي يقفون عليها يبدلونها شينا». [1]

فالكشكشة ظاهرة لهجية لغوية لا تختص بالوقف، و لا بكاف المؤنث و حاولت صالحة راشد استقراء الظاهرة في الشعر العربي الجاهلي فخلصها إلى «وباستقراض الشواهد الشعرية التي أوردها هؤلاء وجدناها من النوع الذي تبدل في الكاف شينا، كما وجدناها لا تقتصر حال الوقف». [2] و تؤيد الباحثة القول القائل بأن الكشكشة بصورتها مازالت حية إلى يومنا هذا[3]، ولعل لها صورا في بعض لهجات المناطق البعيدة عن الخليج كالجزائر مثلا، إذ يوجد في المناطق الغربية منها، مجموعات لسانية تحول السين إلى صوت يشبه الشين (تش) بدلا من السين كقولهم مثلا: (تشكر) بدلا من (سكر).

الكسكسة: وهي إبدال الكاف في المؤنث سينا[4]، و«تعرض في لغة بكر وهي إلحاقهم لكاف المؤنث سينا عند الوقف كقولهم أكرمتكس وبكس يريدون أكرمتك وبك». [5]
وينسبها القرطبي(ت 461هـ) إلى بكر [6] ، أما هوازن فلا يبدلون وإنما يضيفون على الكاف المؤنث في الوقف سينا «لتبين كسرة الكاف فيقول: مررت بكس، ونزلت عليكس». [7]

أما ابن جني فنسبها إلى هوازن[8] ، ويتحدث عنها سيبويه(ت 180هـ) أيضا ولم يسميها، وإنما جعلها من لغات العرب، يقول: « اعلم أن ناسا من العرب يلحقون الكاف

---

[1] - الكامل 2/223.
[2] - اللهجات في الكتاب لسيبويه(ت 180هـ) أصواتا وبنية، تأليف صالحة راشد غنيم آل غنيم ط 1 1405 هـ -1985/دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع،جدة، المملكة العربية السعودية،ص 255.
[3] - ينظر اللهجات في الكتاب لسيبويه(ت 180هـ) ص 256.
[4] - ينظر سر صناعة الاعراب 1/202.
[5] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 73.
[6] - ينظر الموضح ص 190.
[7] - الموضح ص 190.
[8] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/230 والخصائص 2/110.

السين ليبينوا كسرة التأنيث، وإنما الحقوا السين لأنها قد تكون حروف الزيادة في استفعل، و ذلك اعطيتكس، واكرمكس فإذا وصلوا لم يجيئوا بها، لأن الكسرة تبين».[1]

ومازالت رواسب هذه اللغة إلى اليوم في النجديتين إذ يحرفون كاف المؤنث إلى (تس) وبعض أنواع الكاف في وائل بعض الكلمات.[2]

العنعنة: وتعرض العنعنة «في لغة تميم وهي إبدالهم العين من الهمزة كقولهم ظننت عنك ذاهب أي أنك ذاهب».[3] ويفسر بعض الدارسين ذلك باليسر في الانتقال من الهمزة إلى صوت آخر« فقد أثر قانون السهولة والتيسير في تغير صوت الهمزة وتحويله إلى صوت آخر هو صوت العين، سيما أن مخرجه قريب».[4] ينسب القرطبي(ت 461هـ) العنعنة إلى تميم، و يذكر أن هناك من ينسبها إلى قضاعة[5]، وهي إبدال الهمزة عينا فيقولون ظننت عنك ذاهب، أي أنك ذاهب.[6] ويؤكد ابن جني أن العين تبدل من الهمزة، يروي عن الأصمعي أنه قال: «فأما عنعنة تميم فإن تميما تقول في موضع أن، عن، وتقول: ظننت عن عبد الله قائم».[7]

وينسب لفظ العنعنة إلى قول عن، عن،...يقول ابن جني: «و قولهم عنعنة مشتق من قولهم عن، عن، عن في كثير من المواضع».[8]

اللخلخانية: و«تعرض في لغات أعراب الشمر وعمان كقولهم مشا الله كان يريدون ما شاء الله كان».[9] وقد يتعلق الأمر بتخفيف الهمزة وعدم الفصل فيها وقد يعود ذلك طلبا للتيسير خاصة حين تجاور همزتين، وهذا لكون الهمزة « صوت صعب».[10] ينسبها

---

[1] - الكتاب 4/199.
[2] - ينظر اللهجات في كتاب سيبويه(ت 180هـ) ص 252 و 253.
[3] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 73.
[4] - صراع الأنماط اللغوية، رانيا سالم الصرايرة، عالم المعرفة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 166.
[5] - ينظر الموضح ص 191.
[6] - ينظر الموضح ص 191.
[7] - سر صناعة الإعراب 1/230.
[8] - سر صناعة الإعراب 1/233.
[9] - صراع الأنماط اللغوية ص 166.
[10] - صراع الأنماط اللغوية ص 166.

القرطبي(ت 461هـ) إلى إعراب الشعر وعمان[1] ، وهي حذف ألف ما إذ يقولون في ما شاء الله/ مشاء الله.[2]

الطمطمانية: هي لغة تعرض «في لغة حمير كقولهم طاب امهواء يريدون طاب الهواء».[3] وهي لغة مشهورة وصحيحة، يقول القرطبي(ت 461هـ): «لغة ......، يقولون في طاب الهواء، طام الهواء، فيبدلون من الباء ميما».[4] كما ينسب إلى الطمطمانية إبدال النون ميما، يقول القرطبي(ت 461هـ): «وبعض العرب يقولون فيما رواه الأحمر: طان الله على الخير، وطامه، أي جبله، فيبدلون من النون ميما».[5]

ولم ينسب ابن جني إبدال الباء ميما إلى جهة، وإنما قال لغة استنادا لما روي عن الأصمعي أنه قال: «كان أبو سوار الفتوي يقول: باسمك؟ يريد ما اسمك؟».[6] ويذكر ابن جني أن بعض العرب يقول: « يعكوكة وأصلها معكوكة، فالياء بدل من الميم لأنها من الشدة و هي من .....».[7]

أما المبرد فينسب إلى الطمطمانية لكنات أعجمية غير عربية، ولا يعدها من لغات العرب، وينسبها إلى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل صهيب الرومي، فيقول: أنه كان «يرتضع لكنة رومية».[8] ومن الطمطمانية أيضا عند المبرد اللكنة الحبشية كإبدال الشين سينا فيما يروي عن عبد بني الحسحاس.[9] وكذا إبدال الهاء حاء عند عبيد الله بن زياد الذي كانت له لكنة فارسية، ويرى المبرد أن قلب الحاء هاء شائعة عند العجم، يقول: «وهذه الهاء تشترك في قلبها من الحاء أصناف من العجم».[10]

---

[1] - ينظر الموضح ص 191.
[2] - ينظر الموضح ص 191.
[3] - فقه اللغة ص 73.
[4] - الموضح ص 191.
[5] - الموضح ص 191.
[6] - سر صناعة الإعراب 1/119.
[7] - سر صناعة الإعراب 1/119.
[8] - الكامل 2/225.
[9] - ينظر الكامل 2/225.
[10] - الكامل 2/225.

الكتكتة: وهي إبدال تاء المخاطبة كافا[1]، ويمثل لذلك القرطبي(ت 461هـ) بقوله: « يقول بعضهم عصيك في موضع عصيت»[2]، وعلة الإبدال هو اشتراكها في الهمس، يقول ابن جني:«أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في الهمس»[3] ، و يذكر ابن جني أن سخيم - وقد سبق ذكره- كان يعاني عيوبا في النطق، يقول: أحسنك والله، والمقصود أحسنت.[4]

التلتلة: وهي كسر تاء أوائل الأفعال، وينسبها القرطبي(ت 461هـ) إلى بهراء، يقول: «هي في لغة بهراء، يقولون: يعلمون، وتصنعون بكسر أوائل الأفعال»[5]، وينسب ابن جني التلتلة إلى بهراء أيضا، فيعدها لغة من لغات العرب.[6]

هذه بعض العيوب النطقية، والتي لا يمكن تمييزها لولا وجود أساس سمعي لها، فلولا الدقة في السماع وحسن الاستيعاب لما وجدت درجات للفصاحة وأخرى لعيوب النطق والكلام، ولما كان للسماع أهمية كبرى في استيعاب المقولات وتحليلها، فقد جعله الدارسون درجات في القوة والتقاط المعلومة، فيقال: «بأذنه وقر، فإذا زاد فهو صمم، فإذا زاد فهو طرش، فإذا زاد حتى يسمع الرعد فهو صلخ».[7]

ويرى ابن سينا (ت 427هـ) في كتابه القانون أن السمع إما أن ينقص فيكون صمم أو طرش أوقر ولادي ويفصل في هذه المصطلحات بقوله: «ومعنى الصمم غير معنى الطرش، فإن الصمم أن يكون الصماخ قد خلق باطنه أصم، ليس فيه التجويف الباطن الذي ذكرناه، ...الذي يسمع الصوت بتموجه. وأما الطرش، والوقر فهو أن لا تبلغ الآفة عدم الحبس منها، ولا يبعد أن يكون الوقر كالبطلان العام للصمم، ولا يكون هناك تجويف... والطرش كالنقصان من غير بطلان...».[8]

---

[1] - ينظر الموضح ص 190.
[2] - الموضح ص 190.
[3] - سر صناعة الإعراب 1/280.
[4] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/281.
[5] - الموضح ص 190.
[6] - ينظر الخصائص 2/11 ، وسر صناعة الإعراب 1/230.
[7] - فقه اللغة وأسرار العربية ص 74.
[8] - القانون 2/218.

وبعد تحديده للأسباب الخلقية للصمم والوقر والطرش، يصنف تلك المسميات إلى ما هو طبيعي، وإلى ما هو عارض الذي قد يصبح مزمنا، يقول: «وفقدان السمع، منه مولود طبيعي لا علاج له، وكذلك سائر أصناف الوقر والطرش، منه مولود طبيعي أيضا لا علاج له، ومنه حادث، لكنه إن طال عهده فهو مزمن، وذلك أيضا قريب من اليأس أو عسر العلاج».[1]

كما تنبه ابن سينا (ت 427هـ) إلى أن نقصان السمع أو انعدامه قد يتشارك مع اختلال حسي أوحتى عقلي يقول:«أما الكائن بشركة الدماغ، فيدل عليه الحال في الحواس الأخرى، ومشاركها السمع فيه، ومشاركة قوى الحركة أيضا إياه. وأدل الدلائل عليه مشاركة اللسان، وخصوصا إذا كان عقيب السرسام، وعقيب اختلاط العقل، وبعد آفات دماغية مزاجية مما قيل في باب الدماغ».[2]

وأكدت ذلك بعض الدراسات الحديثة في كون الجانب السمعي من الدراسة يحتاج إلى جوانب نفسية لأن السامع نفسه يتحول إلى متكلم، فوجب: «أن يكون السامع حائزا بالقوة على ما يحققه المتكلم بالفعل ...مما يسمح لنا بالانتقال إلى دراسة الجانب النفسي والعقلي من الفونتيكا السمعية»[3]، لأن إدراك الأصوات في الذهن هو الأساس وليس مجرد سماعها وهذا المجال من اختصاص علم النفس:« ودراسة هذا الجانب النفسي، وتأثره بمناهج علم النفس وطرفه وميادينه دفع ببعض الباحثين إلى إطلاق تسمية جديدة على مصطلح الفونيتيكا السمعية، وهي مصطلح الفونيتيكا النفسية phonétique psychologique ».[4]

ويقدم ابن البناء إضافة إلى العيوب النطقية طرقا لعلاجها، وهو أمر يتعلق بعلم الأرطوفونيا الحديثة، إذ يبحث في طريقة إخراج الحروف، وترويض آلة النطق على النطق السليم، والعمل على الجانب النفسي موازاة مع ترويض اللسان «وقد عقد ابن البناء

[1] - القانون 2/218.
[2] القانون 2/219.
[3] - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، د عصام نور الدين، ص 154.
[4] - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، د عصام نور الدين، ص 155.

بابا في كتابه (بيان العيوب) عن (وصف العوارض باللسان والحيلة في إذهاب بعضها من الإنسان) نقله عن ابن المنادي».[1]

ومما ذكره ابن البناء في هذا الباب قوله: «فإن كان القارئ أرتا، هو الذي يدغم حرفا في حرف، فإنه يجب أن يصر حين القطع ليتمكن بمدافعة النفس علوا، ثم يأخذ في قراءته و ليعل من صوته قليلا في تعاهد حسن وإقدام درسه، وإن كان تمتاما وهو الذي يكر التاء فانه يستعمل مثل ما ذكرناه من الأرت وزيادة بحسب قوة العارض من كل ما يدفعه، فيشدد صوته، ويمد نفسه، ويصلب فكيه...».[2]

كما يسرد القرطبي(ت 461هـ) مجموعة من الصفات غير المرغوبة في الكلام، وهي عيوب تتصل بأخلاق المتكلم وهيئته، ويلخصها في ثلاثة وهي: الثرثرة، والتشدق، والتفيهق، والتفيلق، يقول: «فأما الثرثار فهو المهذار الكثير الكلام في غير إصابة،وأما المتشدق فهو الذي يملأ شدقيه بالكلام».[3]

وقد ورد في اللسان أن الشدق جانب الفم[4]، أما ابن سيدة فيذكر الشدقان اثنان، ويقول إن الشدقان طفطفة الفم من باطن الخدين[5]، والمراد بالمتشدق في قوله صلى الله عليه و سلم: (أبغضكم إلي الثرثارون المتشدقون). معنيان أما الأولى فيقول ابن سيده «المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز».[6] والمعنى الثاني هو: «المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم».[7] ويقال أن الأشدق صفة للمدح.[8]وأما المتفيلق فهو المتفيهق الذي يتوسع في كلامه حتى يغص به فمه، مأخوذ من الفلق وهو الامتلاء، جاء في لسان العرب: «إن المتفيلق من الفلق».[9] ويذكر الأصمعي أن أصل الفلق

[1] - الدراسات الصوتية عد علماء التجويد ص 573.

[2] - ابن البناء بيان العيوب نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 573.

[3] - الموضح ص 191.

[4] - ينظر اللسان 12/39.

[5] - ينظر اللسان 12/39.

[6] - اللسان 12/39.

[7] - اللسان 12/39.

[8] - ينظر اللسان 12/39.

[9] - اللسان 12/189.

الامتلاء.[1] ويـرى القرطـبي(ت 461هــ) أن هـذه الصـفات فـي مجملهـا متقاربـة فـي معانيها.[2]

الفصـــل الثــــــالث

صفات الحروف عند علماء القرن الخامس الهجري

- الصفات
- الصفات الأساسية
- الصفات الثانوية

[1] - ينظر اللسان 12/189.
[2] - ينظر الموضح ص 191.

- صفات المخارج عند القيسي

الصفات

اتسعت الرؤى والجوانب المتناولة في دراسة صفات الأصوات العربية عند علماء القرن الخامس الهجري، إذ تعددت وجهات نظرهم لتشعب تخصصاتهم وميولهم، فتنوعت أهداف أبحاثهم. فالباقلاني(ت 403هـ) مثلا يربط صفات الحروف بحروف فواتح السور، محاولا إظهار معاني الإعجاز فيها، يقول: «...إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا. وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة. وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا. ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أ، هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم».[1]

كما خرج ابن سينا (ت 427هـ) عما قدمه الأوائل من الدارسين في هذا المجال، وفي هذا الجزء من الدراسة جمع بين ذكره المخارج والصفات مركزا عليهما، إذ يبين صفات الأصوات اللغوية حين يحدد مخارجها، أما ابن سنان فركز على الصفات دون تعرضه للمخارج. فتحدث عن الأصوات باعتبار فصاحتها لا مخارجها، وباعتبار تناسقها وتنافرها حين تجاورها في الألفاظ اللغوية، فابتعد عن الإبداع في مخارج الأصوات التي تحدث عنها اللغويون الأوائل بإسهاب. فقد كان ابن سنان ينظر لهذه الحروف متناسقة ومرئية، لأنها تجتمع في بنيات محددة متسلسلة هو ما يوضح صفاتها فتبرز فصاحتها وهذا واضح من عنوان مؤلفه سر الفصاحة.

[1] - إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني(ت 403هـ)،تحق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط 5 ، ص 44.

كما أدرك علماء القرن الخامس ومن سبقهم الغاية من اختلاف الصفات والمخارج في الحروف. فلولا ذلك لتشابهت أصوات البشر وتساوت مع الحيوانات، يقول مكي بن أبي طالب: «...فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها وطباعها التي خلقها الله -جل ذكره- عليها، ما فهم الكلام، ولا علم معنى الخطاب، ولكانت الأصوات ممتدة لا تفهم من مخرج واحد، وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم».[1]

فالتطابق في الصفات والمخارج معا غير موجود في الحروف لأن ذلك يجعل الأصوات كلها على سماع واحد لأن لفظها أصلا واحد. فإما أن يكون الاتفاق في الصفات والاختلاف في المخارج، أو الاختلاف في الصفات والائتلاف في المخارج، حتى يكون وقعها في السمع مختلفا.[2]

وتعد صفات الحروف عند المجودين ذات أهمية قصوى لما لها من دور في تناسق اللفظ، وأداء المعنى، وجودة النطق، وحسن التلاوة. ويعد مكي بن أبي طالب وأبو عمرو الداني(ت 444هـ) من الرواد الأوائل في إرساء توجه علماء التجويد في البحث حول صفات الحروف بمنظور يضفي الكثير من الجديد في الدراسات الصوتية.

أما عند علماء التجويد فيحاول مكي بن أبي طالب رصد كل صفات وألقاب الحروف، بغض النظر عن أصلها التأسيسي، ودون أن يميز مجالاتها، «وليست جميع تلك الألقاب تمثل كيفيات نطقية تصاحب تكون الأصوات في مخارجها. فمن تلك الألقاب ما يشير إلى مخرج الحرف، مثل الألقاب التي لقب الخليل(ت 175هـ) بها الحروف،...ومن تلك الألقاب أيضا ما يعبر عن معنى صرفي يتعلق بالحرف، مثل: الحروف الزوائد، والحروف الأصلية، وحروف الإبدال، وحروف العلة، فهذه الألقاب لا تمثل صفة صوتية، إنما تشير إلى خاصة».[3] فرصدها في أربع وأربعين لقبا حيث يقول:

[1] - الرعاية ص 116و 117.
[2] - ينظر الرعاية ص 91 وص 117.
[3] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 228.

«لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها، حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقبا، صفات لها، وصفت بذلك على معان ولعلل».[1] ولعل الغاية من ذلك كله هو جمع كل مصطلحات الأسماء الخاصة بالحروف، حتى يتسنى للقارئ الطالب المجود ربط الصفة بالنطق، فلا يتصور نطقا دون إدراك لصفتها، ومعرفة بعلتها.

فعمل القيسي هو دراسة في المصطلح، حيث تتبع المعنى ومناسبة التسمية، إذ يذكر ذلك في قوله: «وهذه الصفات والألقاب إنما هي طبائع في الحروف خلقها الله عز وجل على ذلك، فسميت تلك الطبائع التي فيها بما نذكر من الألقاب اصطلاحا، ولقبت به اتفاقا، مع ما يسعد ذلك من معنى الاشتقاق الذي نذكره إن شاء الله تعالى».[2]

جعل هذا كله الكثير من العلماء ينقدون اتجاه القيسي في حصر صفات الحروف، نحو أبو عبد الله محمد الحسن الفاسي(656هـ) الذي قال: «...وقد بالغ في ذلك أبو محمد مكي رحمه الله في كتاب الرعاية».[3] ومن تم الكثير منهم تبع منهج أبي عمرو الداني(ت 444هـ) الذي عد الصفات ستة عشرة صفة، يقول: «اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيانها ستة عشر صنفا: المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمطبقة، والمنفتحة، والمستعلية، والمستفلة، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والمتفشي، والمستطيل، والمتكرر، والمنحرف، والهاوي، وحرفا الغنة».[4] وقد تحدث الداني(ت 444هـ) عن صفات أخرى كالمتوسطة والقلقلة.

ويعتقد غانم قدوري أن معظم علماء التجويد اتبعوا الداني(ت 444هـ) في تصنيف صفات الحروف إذ «التزم معظم علماء التجويد في بحث صفات الحروف بما قرره الداني(ت 444هـ)، ولم يخرجوا على ما ذكره إلا في قضايا جزئية»[5]، فالاختلاف بينهم في تقريرها وعددها يبقى موجودا.

---

[1] - الرعاية ص 91.
[2] - الرعاية ص 91 و 92.
[3] - اللآلئ الفريدة (مخطوطة 211و) نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 229.
[4] - التحديد ص 107.
[5] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 229.

ولا يقدم مكي بن أبي طالب صفة على أخرى، ولا يفاضل بينها، بل يعدها سمات في الحروف خلقت لتتمايز في السمع مع اختلاف مواضع صدورها، فإن انتفت الصفات وتوحدت المخارج صارت بلفظ واحد، فلا يفهم القصد منها.[1] فاختلاف مخارج الحروف وصفاتها آية من آيات الله في خلقه، وميزة خص الله بها الإنسان دون سائر خلقه، فالحيوانات متشابهة اللفظ، متشابهة مخارج.

أما القرطبي(ت 461هـ) فيرى الاختلاف في صفات الحروف انطلاقا من طريقة جريان النفس والصوت في آلة النطق، فهذا يصنع الفروق بين الأصوات ويصنفها، وتكون هذه النظرة هي الأقرب إلى نظرة ابن سينا (ت 427هـ) للحروف مع فارق، وهو تبني كل من مكي بن أبي طالب والقرطبي(ت 461هـ) رغم اختلاف نظرتهما للصفات ما قدمه السابقون من العلماء فيتقسيم الصفات وتسميتها وشرحها، على خلاف ابن سينا (ت 427هـ) الذي كانت نظرته تختلف نسبيا عن البقية.

أما الداني(ت 444هـ) فذكر ستة عشرة صفة، وسماها أصنافا، يقول: «اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيانها ستة عشرة صنفا».[2] كما ذكر أن هذه الصفات تظهر وتتجدد بعد خروجها، فكانت ترافق خروج الصوت. لكن الداني(ت 444هـ) اعتبرها صفات تقع في السمع، فتتصف بها بعد الخروج ثم وقوعها في الأذن.

الصفات الأساسية

الشدة والرخاوة:

يصنف ابن سينا (ت 427هـ) الحروف إلى صنفين بالنظر لحبس الصوت والإطلاق، فيقول بأن الحروف على ذلك قسمان بالنظر إلى صفتي الشدة والرخاوة

[1] - ينظر الرعاية ص 91.
[2] - التحديد ص 107.

والتي يصطلح عليها بالمفردة والمركبة، وقد نسب ذلك إلى الزمن ففسرها بقوله: «واعلم أن للحروف في تخيل هذه الأزمنة معونة، بعد أن تعلم أن الحروف تحدث في مخارجها على وجهين، أحدهما على سبيل حبس ثم إطلاق، والثاني على سبيل تسريب للصوت من خلل كالمحابس مع فُرج».[1]

يسميها حروفا مفردة لأن الإطلاق فيها بعد الحبس يكون دفعة واحدة، ويسميها أيضا «الحروف الحادثة عن الحبسات التامة».[2] ومن ثم نجد عنده الحرف الحبسي[3]، يقول ابن سينا (ت 427هـ):«والحروف بعضها مفردة، وحدوثها من حبسات للصوت أو الهواء الفاعل للصوت،يتلوها الإطلاق دفعة».[4]

وهذا الوصف هو أقرب لصفة الشدة في الحروف التي يطلق عليها الحروف الشديدة والتي « يمنع الصوت أن يجري فيه»[5] حسب سيبويه(ت 180هـ)، مما يجعل هذه الصفة انطلاقا من هذا التعريف أقرب إلى تعريف الجهر منها لشيء آخر، إذ الجهر عند سيبويه(ت 180هـ) هو« حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت».[6]

إن الفرق بين التعريفين لا يكاد يوجد إلا في منع الصوت، ومنع النفس مما قد يربك الدارس لأول وهلة، فقد أثبت عبد القادر مرعي خليل تداخل المفاهيم بين الجهر والشدة والرخاوة والهمس حتى عند القدماء أمثال الرماني، إذ يرى «في كلام

[1] - جوامع علم الموسيقى، ابن سينا، تحقيق زكريا يوسف، تصدير ومراجعة أحمد فؤاد الإهواني ومحمود أحمد الحفني ص 86.
[2] - جوامع علم الموسيقى، ص 86.
[3] - ينظر جوامع علم الموسيقى، ص 87.
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 105.
[5] - الكتاب 4/434
[6] - الكتاب 4/434

الرماني[1] ... نوعا من الخلط، بين الصوت والنفس من جهة، وبين المجهور والشديد من جهة ثانية، وبين المهموس والرخو من جهة ثالثة».[2]

وإن كان بعض الدارسين يرون في العبارتين توافقا لا اختلافا[3]، فمنع جريان النفس معناه منع الصوت لأن هذا لا يكون إلا بالأول، بيد أننا قد نرى خلاف ذلك. وبين حبس النفس وحبس الصوت يصنع إبراهيم أنيس الفرق بين الشدة والجهر، ويوضح أن هذا التصور كان واضحا عند سيبويه(ت 180هـ)، يقول: «ألا ترى أن سيبويه(ت 180هـ) هنا عبر بقوله منع الصوت ولم يقل منع النفس وعدم انطلاقه حرا طليقا، ولكن الصوت معه لا يمنع بل نظ نسمعه، أما في حالة الشديد فعند المخرج يمنع الصوت فلا نسمع شيئا طالما كان الانحباس في المخرج قائما».[4] فاستخلص أن سيبويه(ت 180هـ) فهم أن منع النفس مع المجهور، ومنع الصوت مع الشديد، ومنه «فمنع النفس لا يكون إلا في الحنجرة، وأما منع الصوت فمكانه مخرج الحرف».[5]

فيتم منع النفس قبل تكون الصوت في مخرجه، أما منع الصوت فيكون بحبس النفس في نقطة نشأته، ولعل هذا ما نجده في تعريف المبرد للشدة والتي يعطيها صورتين، أما الأولى فهي: «وذاك أنك إذا لفظت بها لم يتسع مخرج النفس معها»[6] أما الثانية فهي «...ومنها حروف تمنع النفس، وهي التي تسمى الشديدة»[7] ولعل الصورة الثانية أوضح لأنها تشرح طريقة لفظها. وقد وضح سيبويه(ت 180هـ) ذلك بقوله: «...وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك».[8]

---

[1] - نص الرماني:« والفرق بين المجهور والشديد، أن المجهور امتنع إجراء الصوت فيه لقوة لاعتماد كقوة النقر، وقوة لزوم الوضع، واعتبار المجهور من المهموس بمثل قولك الطس فيجري النفس مع السين، ولا يمكن مثل ذلك في الحج لقوة الاعتماد في موضعه، وأما العين فبين الشديدة والرخوة، يمكن إجراء الصوت فيها لشبهها بالحاء، واللام شديد يمكن إجراء الصوت فيه لانحرافه عن موضعه على ناحية مستدق اللسان» شرح كتاب سيبويه(ت 180هـ) للرماني نقلا عن المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي الخليل ص 108.

[2] - المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي العلي الخليل(ت 175هـ)، منشورات جامعة مؤتة ، 1413هـ/ 1993م، ص 108

[3] - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، ص 116 والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 148

[4] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 125 و 126.

[5] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 126.

[6] - المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحق/محمد عبد الخالق عضيمة، ط 1385هـ، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1/195.

[7] - المقتضب 1/195.

[8] - الكتاب 4/434 .

وهذا ما نجده عند ابن سينا (ت 427هـ) حين ذكر حدوث الحروف المفردة قائلا « وحدوثها عن حبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة »[1] ، فهو يضع صورتين لحدوث الحروف الشديدة، أما الأولى فهي حبس تام للصوت أو حبس للهواء المكون للصوت، والثانية صدور الصوت دفعة واحدة يشبه الانفجار.

والحروف الشديدة عند القدماء وأولهم سيبويه(ت 180هـ) هي «الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، التاء، الدال، والباء»[2] أما ابن سينا (ت 427هـ) فإنه قد أسقط الهمزة من هذه الحروف على الرغم من أنه في وصف مخرجها يؤكد على حصر الهواء زمنا ثم اندفاعه.[3] ويذكر حبسا تاما في مقارنة مخرج الهمزة بالهاء إذ يراه في الهمزة حبسا تاما يقول« وأما الهاء فإنها تحدث من مثل ذلك الحفز في الكم والكيف إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما».[4] ولعل ذلك يعود إلى إشكال الهمزة في النطق والصفات مقارنة مع بقية الأصوات، فالهمزة كانت دوما نقطة اختلاف الدارسين الأوائل في مخرجها وكذا تحديد صفاتها.

أما الحروف المفردة عند ابن سينا (ت 427هـ) فيصنفها إلى صنفين أو وجهين كما يقول «والحروف المفردة هي الباء، والتاء، والجيم، والدال، والضاد أيضا من وجه، والطاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون أيضا من وجه».[5] فأما الوجه الأول فيتضمن الباء والتاء والجيم والدال والطاء والقاف والكاف. وفيها يكون حبس تام عند نقطة حدوث الصوت. فالهواء سد عنه المخرج، فإذا انفتح يتحرك الهواء المحبوس فيسمع الصوت. أما الوجه الثاني فيتضمن الضاد واللام والميم والنون، وهي أصوات

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 60.
[2] - الكتاب 4/434
[3] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 72.
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 72.
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 61.

شديدة لكن الهواء لا ينحبس انحباسا تاما بل يتسرب بعضه ليسري في مجاري أخـرى، فيكتسب الصوت حينذاك صفات ثانوية تبعدها عن صفة الشدة التامة.

وقد ذكر سيبويه(ت 180هـ) بعض هذه الأصوات ضمن أصوات بين الشدة والرخاوة كاللام والنون والميم التي يصفها بأنه « حرف شديد يجري معه الصوت»[1] ويعرف المبرد هذه الأصوات فقول: «وهذه الحروف التي تعترض بين الرخوة والشديدة هي شديدة في الأصل، وإنما يجري فيها النفس»[2] وقد جعلها ثمانية أصوات من بينها حروف المد، لقوله: «وكحروف المد واللين التي يجري فيها الصوت للينها».[3]

ولم يبتعد الباقلاني(ت 403هـ) عن تعريف سيبويه(ت 180هـ) للشدة حيث يذكر: «وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين: أحدهما حروف غير شديدة، وغلى الحروف الشديدة ، وهي تمنع الصوت أن يجري فيه، وهي الهمزة، والقاق، والكاف، والجيم، والدال، والطاء، والباء. وقد علمنا أن نصف هذه الحروف ايضا هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي ينص عليها تلك السور».[4]

ويتفق علماء تجويد القرن الخامس الهجريعلى تعريف الشدة، فكانت التعريفات في بعضها مقاربة لتعريف سيبويه(ت 180هـ)، وفي بعضها الآخر مطابقة لما ذكره. فقد اتفقوا على أن الشدة، في الحروف تكمن في منع جريان الصوت في نقطة خروجه مما يمنع عنه صفة مده. وهذا مقياس وضعه سيبويه(ت 180هـ) في توضيح الشديد من الحروف، يقول: «وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك».[5] وتبعه في ذلك الرعيل الأول من المجودين، نحو القرطبي(ت 461هـ) الذي يقول: «ألا ترى أنك لو قلت: الحق والشط والحج ثم رمت مد صوتك».[6]

[1] - الكتاب 4/435.
[2] - المقتضب 1/196.
[3] - المقتضب 1/196.
[4] - إعجاز القرآن، ص 45
[5] - الكتاب 4/434.
[6] - الموضح ص 46.

أما ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) فقد اتبع سيبويه(ت 180هـ) في تحديد صفة الشدة إذ يجعل امتناع جريان الصوت بدل الهواء محدثا لصفة الشدة. والحروف الشديدة عنده ثمانية يقول: «فالشديد الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهي ثمانية أحرف الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء ويجمعها في اللفظ أجدك قطبت».[1] وهي كذلك عند علماء تجويد القرن الخامس للهجرة، فعددها ثمانية عند كل من القيسي والداني(ت 444هـ) والقرطبي(ت 461هـ)، يجمعها قولك: «أجدت طبقك»[2]، أو«أجدك قطبت».[3]

وينفرد القيسي بتصنيفه للشدة مع صفات القوة، في قوله: «والشدة من علامات قوة الحرف».[4] كما ينسبه إلى «اشتداد الحرف في موضع خروجه، حتى لا يخرج معه صوت».[5] أما الحرف الشديد فيصفه على أنه « حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به».[6] وبصياغة أخرى نجد عند القرطبي(ت 461هـ) المعنى عينه في قوله: «ومعنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجري فيه».[7] ولم يخرج الداني(ت 444هـ) عما قدمه القيسي والقرطبي(ت 461هـ) في تعريف الشديد، فيقول: «ومعني الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجري معه، نحو: أج والحج، فليس يجري في الجيم صوت».[8]

وحاول غانم قدوري تقريب وجهة نظر المجودين في الحروف الشديدة بما قدمه المحدثون من علماء الأصوات، هؤلاء استعملوا مصلح الانفجار بدل الشدة، يقول: «فالصوت الشديد (الانفجاري) لدى علماء الأصوات المحدثين هو الذي ينحبس

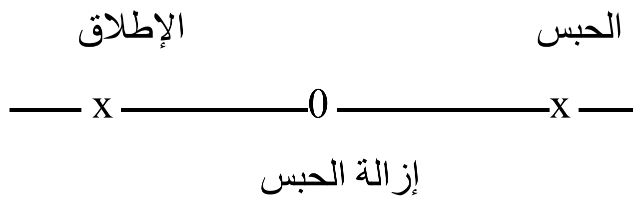
[1] - سر الفصاحة، ص 20
[2] - الموضح ص 46.
[3] - التحديد ص 107 والرعاية ص 93.
[4] - الرعاية ص 93|
[5] - الرعاية ص 94.
[6] - الرعاية ص 93.
[7] - الموضح ص 47.
[8] - التحديد ص 107و 108.

مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن في مخرجه، وذلك بالتقاء عضوين من أعضاء آلة النطق، ثم ينفصل العضوان، فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثا صوتا انفجاريا، مثل: الباء والتاء والدال وغيرهما».[1]

ويقترب من هذا التصور ابن سينا (ت 427هـ) ولا يطابقه، وقد أجاد في تصوير كيفية نطق الحروف الشديدة، إذ يربطها بزمن حبس الصوت وإطلاقه، وليس بالتقاء عضوين من أعضاء النطق، فهذا ما وضحه غانم قدوري في مقولته المذكورة أعلاه ويؤكده قول إبراهيم أنيس: «فحين تلتقي الشفتان التقاء محكما فينحبس عندهما مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن، بعدها تنفصل الشفتان انفصالا فجائيا، يحدث النفس المنحبس صوتا انفجاريا».[2]

ويربط ابن سينا (ت 427هـ) الحروف المفردة بزمن حدوثها، وتوضيحه لهذا إنما هو شرح لكيفية نطقها. ويجعل ذلك بين زمن الحبس وزمن إطلاق وانفجار الصوت. فالحبس مانع للهواء والإطلاق وانفجار الصوت زمنه أقصر من أن يسمع فيه الصوت إذ لا يمتد فيه الصوت، فهو إذا حادث عند تحرر الهواء بتحرير الهواء المحبوس وقد يكون هذا أقرب إلى ما ذكر عن مراحل الصوت اللغوي الذي يمر بثلاث مراحل« مرحلة الحبس، ومرحلة اكتمال الحبس، ومرحلة الإطلاق. ويحدث الصوت في مرحلة الحدوث فقط دون أن نأخذ في حسابنا المرحلتين السابقتين».[3]

حدوث الصوت



[1] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 140.
[2] - الأصوات اللغوية ص 23.
[3] - علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد الصالح الضالع ص 102.

ويقول عن ذلك ابن سينا (ت 427هـ) «وهذه المفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الإطلاق، وذلك لأن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحدث فيه صوت حادث عن الهواء وهو مسكن بالحبس، وزمان الإطلاق ليس يسمع فيه شيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتة، إنما هي مع إزالة الحبس فقط».[1]

واصطلح الدارسون المحدثون على هذه الحروف بمصطلحات عدة تعبر عن الشديدة، أهمها «الانفجارية، والوقفية، والاحتباسية، والانسدادية، والآنية، واللحظية»[2]، وتحمل هذه المصطلحات كلها طابع الهواء المحبوس أو انطلاقه أو زمن ذلك.

أما الحروف المركبة فهي الرخوة وقد انفرد ابن سينا (ت 427هـ) بمصطلح المركبة لأن الإطلاق فيها بعد الحبس يكون متصلا، يقول: «وبعضها مركب،وحدوثها متصل الإطلاق يدفعه، وبعضها مركب، وحبسها ليس تاما ولكن بالإطلاقات».[3] فهي الحروف غير المفردة ويعرفها ابن سينا (ت 427هـ) بقوله:«ثم سائر ذلك مركبة تحدث عن حبسات غير تامة، بل يكون الحبس مع الإطلاق معا»،[4] ويسميها أيضا ابن سينا (ت 427هـ) حروف تسريبية وهي التي « تحدث على سبيل التسريب».[5] وهي سائر الحروف المفردة « فهي سائر الحروف كالسين والزاي»[6]، أما الداني(ت 444هـ) فيقول أن الحروف الرخوة ثلاثة عشرة حرفا يجمعها قولك: «خس، حظ، شص، هز، ضغث، فد».[7]

واجتماع الحبس مع الإطلاق معناه عدم انحباس الهواء انحباسا تاما ومطلقا وإنما ينحبس «الهواء انحباسا محكما عند النطق بالصوت، وإنما إبقاء المجرى عند

---

[1] - أسباب حدوث الحروف، ص 61 و 62
[2] - المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ ص 119 و 120
[3]- أسباب حروف الحروف ص 105
[4] - أسباب حروف الحروف ص 61
[5] - جوامع علم الموسيقى ص 86
[6] - جوامع علم الموسيقى ص 86.
[7] - التحديد ص 108.

المخرج ضيقا جدا مما يسمح بمرور النفس محدثا نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى».[1] ويسميها بعض المحدثين بالصوامت المتمادة،[2] والصوامت غير الوقفية وغير المزجية[3] ، ومقابل ذلك المصطلح الرخاوة والذي له مقابلات حديثة كثيرة أكثرها شيوعا هي الاحتكاك [4] وهذا نابع من طبيعة الهواء المتسرب عند جريان النفس بعدم حدوث غلق تام في أعضاء النطق.

وقد استعمل المبرد مصطلح الرخاوة معرفا إياه بقوله: «ومن الحروف حروف تجري على النفس، وهي التي تسمى الرخوة».[5] أما سيبويه(ت 180هـ) فقد عرف الرخاوة بجريان الصوت بدل النفس الذي ذكره المبرد، يقول سيبويه(ت 180هـ) في كتابه «... ومنها الرخوة ... أجريت فيه الصوت إذا شئت» [6]، وتبعه ابن سنان «والرخوة الحروف التي لا تمنع الصوت أن يجري فيها».[7]

والرخوة عكس الشديدة، إذ يجري معها الصوت، فيمتد معها «ألا ترى أنك تقول المس والسح ونحو ذلك، فتجد الصوت جاريا مع السين والشين والحاء»[8]، ويطابق الداني(ت 444هـ) بين جريان الصوت والرخاوة، يقول: «ومعنى الرخو أنك إذا قلت الظش والغض أجريت الصوت إن شئت...»[9] ، أما مكي بن أبي طالب فيميز الحرف الرخو عن الشديد بقوله أنه: «حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به، فجرى معه الصوت»[10]، ويطابق مكي بن أبي طالب بين الرخاوة واللين، ولأن اللين ضد الشدة حسبه فإن القيسي يجعل الرخاوة والشدة ضدان.[11]

---

[1] - المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ ص 121
[2] - ينظر علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع هامش ص 102
[3] - ينظر علوم الصوتيات هامش ص 101
[4] - ينظر المصطلح الصوتي عبد العزيز الصيغ ص 124 و 125
[5] - المقتضب 1/194
[6] - الكتاب 4/435
[7] - سر الفصاحة ص 20.
[8] - الموضح ص 48.
[9] - التحديد ص 108.
[10] - الرعاية ص 94.
[11] - ينظر الرعاية ص 95.

وفي تعريف الرخاوة يستعمل ابن بسطام[1] الضغط بدلا من الحصر، ولعل ذلك أدق إذا نسب الأمر إلى العضو، أما إذا تعلق بحصر الصوت المنطلق، فلا يمكن الضغط للصوت وإنما للعضو المنتج للصوت. ويعد غانم قدوري هذا التوظيف سليما ويصفه بالسديد.[2]

أما ابن سينا (ت 427هـ) فقد ساوى بين لفظ النفس والصوت عند حدوث الأصوات الشديدة أو الرخوة يقول: «والحروف بعضها في الحقيقة مفردة، وحدوثها من حبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة، وبعضها مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبع إطلاقات».[3] لكن جعل المركبة حروفا يمكن مدها في الزمان وهذا على خلاف الحروف المفردة أو الحبسة يقول: «والحروف التسريبية لك أن تمدها كما شئت، ولا كذلك الحبسية كالكاف مثلا».[4]

ويرى ابن سينا (ت 427هـ) أن الفرق بين الحروف المفردة والحروف المركبة يكمن في زمن امتداد الصوت، والمحدد باجتماع الحبس مع الإطلاق ويعبر عن ذلك بقوله: «وأما الحروف الأخرى فإنها تشترك في أنها تمتد زمانا وتفنى مع زمان الإطلاق التام، وإنما تمتد في الزمان الذي يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق ».[5]

أما الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة فابن سنان جعلها ثمانية أحرف أسوة بمن سبقه كالمبرد وسيبويه(ت 180هـ)[6] وهي «الألف والعين والراء واللام والياء والنون، والميم، والواو، ويجمعها في اللفظ لم يروعنا».[7] أما ابن سينا (ت 427هـ) فحددها بقوله « وربما ابتدأ الحرف بتسريبه، ثم بإطلاقه، مثل اللام»[8] أي أن الحرف ليس بشديد ولا من الرخاوة.

---

[1] - هو أبو محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام، من علماء القرن الخامس للهجرة، كان حيا في 425هـ، له كتاب المباني في نظم المعاني.
[2] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 143.
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 60
[4] - جوامع علم الموسيقى ، ص 86
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 62
[6] - ينظر المقتضب 1/196، والكتاب 4/435
[7] - سر الفصاحة، ص 21
[8] - جوامع علم الموسيقى، ص 86

ويشرح سيبويه(ت 180هـ) صفة التوسط في اللام قائلا« ومنها (المنحـرف)، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصـوت، ولـم يعـترض علـى الصوت كاعتراض الحـروف الشـديدة، وهـو اللام، وإن شـددت مـددت فيهـا الصـوت، وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخـرج الصـوت مـن موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك».[1]

ولـم يـذكر القيسـي التوسـط فـي الحـروف تحـت عنـوان بـارز لكنـه استدركها،متحدثا عن بعضها أثناء عرضه لبعض الصـفات الفارقـة والـتي يتصـف بهـا الصوت منفردا دون غيره. وقد نجح في تصويره لمعنى التوسط فـي بعـض الحـروف، ففي الراء يقول: «وهو شديد أيضا، وقد جرى فيـه الصـوت لتكـرره وانحرافـه لتكـرره وانحرافه إلى اللام، فصار كالرخوة لذلك».[2] كان الشـرح فـي اللام مسترسـلا، ومعنـى التوسط واضح حيث رسم مسـار الصـوت فيهـا، بقـوله: «أمـا اللام فهـو مـن الحـروف الرخوة، لكنه انحرف به اللسان مع الصوت إلـى الشـدة، فلـم يعـترض فـي منـع خـروج الصوت اعتراض الشديدة ولا خرج الصوت كله خروجه مع الرخوة».[3]

ويستعمل القيسي مصطلح الانحراف بـدل التوسـط ، لأنـه انتقـال الصـوت مـن صفته إلى صفة غيره[4]، وبهذا كان تصوره لصفة التوسط مختلفا عما قدمه سيبويه(ت180هـ) رغم اتفاقه مع غيره في التصور العام باستعماله "بيـن الصـفتين"[5]. ويثبـت هـذا أن القيسي لم يعتبر التوسط أو بين الشدة والرخاوة صفة لبعض الأصوات دون غيرهـا، وإنما هي ميزة تميز الصوت في إطار صفة فارقة أخرى.

[1] - الكتاب، 4/435
[2] - الرعاية ص 106.
[3] - الرعاية ص 107.
[4] -الرعاية ص 107.
[5] - الرعاية ص 107.

إن مصطلح التوسط لم يستعمل عند علماء القرن الخامس الهجري رغم أن التصور كان موجودا وموروثا. إذ يحدد القرطبي(ت 461هـ) الحروف المتوسطة بقوله: «ومعنى بين الشديد والرخو أن يكون الحرف شديدا ويجري الصوت فيه ويمتد به، وإنما يكون ذلك لاستطالة الحرف وتجافيه أو لشبهه بغيره كالعين التي هي شبيهة بالحاء، وكاللام التي استطال موضعها فجرى فيه الصوت لا من موضعها ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك، وكالنون للغنة التي فيها، وكالراء لانحراف موضعها والتكرار الذي فيها، ولو لم تكرر لم يجر الصوت فيها، وفي الميم أيضا غنة»[1]، فيلتقي القرطبي(ت 461هـ) مع القيسي في تفسير التوسط الذي هو التشبه و الاقتراب من صوت آخر، والفارق بينهما أن الأول فسر التوسط من جهة المخارج والثاني من جهة الصفات.

ويسمي الداني(ت 444هـ) الحروف المتوسطة، حروفا شديدة جرى معها الصوت،حيث يذكر: «وما عدا هذه الشديدة على نوعين: شديد يجري فيه الصوت...»[2]، ويحددها في خمسة أحرف يجمعها قولنا "لم نرع"[3]، وهذا أوضح مما أشار إليه سيبويه(ت 180هـ) في الكتاب إذ ذكر فقط العين بين الشدة والرخاوة[4]، أما اللام والراء والغنة فشديدة يجري معها الصوت ضمن صفاتها كالانحراف والتكرار والشدة.[5]

واستطاع الداني(ت 444هـ) أن يجمع بين تفسير القرطبي(ت 461هـ) والقيسي، فوضح انتقال الصوت من الشدة إلى الرخاوة، فلا هي شديدة ولا هي رخوة، واستعمل لذلك مصطلح "تجافي" إذ يبتعد اللسان عن موضعه لصفة في الصوت إذ

---

[1] - الموضح ص 48.
[2] - التحديد ص 108.
[3] - ينظر التحديد ص 108.
[4] - ينظر الكتاب 4/435.
[5] - ينظر الكتاب ص 4/435.

يقول الداني(ت 444هـ): «أما الشديد الذي يجري فيه الصوت فخمسة أحرف...اشتد لزومها لموضعها، ثم تجافى بها اللسان عن موضعها فجرى فيها الصوت لتجافيها».[1]

ويفصل الداني(ت 444هـ) هذا التجافي في كل حرف على حده، مبرزا الصفة الفارقة المسئولة عن خروج الصوت من الشدة فيحاكي الرخاوة، ويوضح ذلك فيما يأتي:

- في العين «تجافى بها اللسان فجرى فيها الصوت».[2]
- في الراء « تجافى بها اللسان عن موضعها للتكرير الذي فيها فجرى فيها الصوت».[3]
- في اللام «تجافى ما فوق حافة اللسان بها عن موضعها لانحرافها، فجرى فيها الصوت، من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك».[4]
- في النون والميم« تجافى اللسان بهما إلى موضع الغنة، وهو الأنف، فجرى فيها الصوت».[5]

ويثبت غانم قدوري وجود مجموعة من المصطلحات المستعملة كالبينية مكان المتوسطة، والحبس عند المرعشي، يقول: «...فالسابقون غالبا ما كانوا يستخدمون المنع واللزوم والحصر وجاءت كلمة الحبس عند المرعشي أوضح في الدلالة على حقيقة الصوت الشديد من كل الكلمات الأخرى»[6]. لكنه أغفل أن مصطلح الحبس قد استعمله ابن سينا (ت 427هـ) من قبل، إذ تنبه أن الأصوات الشديدة يتم فيها حبس تام كما ورد عنده، لينطلق بعدها، وقد استعمل ابن سينا (ت 427هـ) "الحرف الحبسي".[7]

[1] - التحديد ص 108.
[2] - التحديد ص 108.
[3] - التحديد ص 108.
[4] - التحديد ص 108.
[5] - التحديد ص 108.
[6] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 145.
[7] - ينظر جوامع علم الموسيقى لابن سينا ص 87.

وهنا تظهر قيمة مصطلح الحبس ومطابقته لوصف حصر الصوت، وفي كونه أصل مصطلح الانفجاري عند المحدثين. وقد عبر عن ذلك إبراهيم أنيس في قوله: «...وقد ينحبس في مكان ما لحظة سريعة جدا، بعدها ينطلق بقوة وهنا نلحظ له انفجارا ودويا»[1]، فقد استعان في تصوير مجرى النفس في الصوت الشديد بمصطلحي الحبس والانفجار وإلى هذا تنسب الأصوات الشديدة، «فهذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح عليه القدماء على تسميته بالصوت الشديد وما يسميه المحدثون انفجاريا».[2]

الجهر والهمس

الجهر والهمس في الواقع هي من الصفات الأساسية للأصوات اللغوية، رغم ذلك ولم يولها ابن سينا (ت 427هـ) أهمية القدامى لاعتباره نقطة انطلاق الصوت من أعضاء النطق هو من احتكاك للهواء أو انسداده. وربما لإدراكه أن تصنيف الأصوات انطلاقا من اهتزاز الوترين الصوتيين لا يصنف الأصوات تصنيفا دقيقا كتصنيفها باعتبار الهواء الصادر من الرئتين لا من أعضاء النطق عند نقطة الحبس والإطلاق التام أو الجزئي. ولعل إهمال الجهر والهمس ناتج عن إغفال ابن سينا (ت 427هـ) الحديث عن الوترين الصوتيين واهتزازهما لأن الجهر والهمس يرتبطان بهما.

وجاء تعريف الجهر في اللسان : رجل جهير: عالي الصوت و«جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير، وأجهر، فهو مجهر إذا عرف بحدة الصوت».[3] أما اصطلاحا فيعرف على أنه هو الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان.[4]

ولقد استوعب الدارسون الأوائل مفهوم الجهر وعلى رأسهم الخليل(ت 175هـ) بن أحمد (ت 175هـ) ويكاد تعريفه للجهر يتكرر مع كل باحث، وهو التعريف

[1] - الأصوات اللغوية ص 23.
[2] - الأصوات اللغوية ص 23.
[3] - اللسان 5/220
[4] - ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص 20

الذي نجده عند ابن سنان حين يقول: «...ومعنى الجهر في الحرف أنه أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت».[1] وكذا عند سيبويه(ت 180هـ) الذي يقول بان الجهر: «حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت».[2]

وإن كان البعض يرى أن التعريف منسوب لسيبويه(ت 180هـ)، «والصحيح أن إدراك صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط والإطباق والانحراف كان اتجاها أصيلا لدى سيبويه(ت 180هـ) يميزه عن أستاذه الخليل(ت 175هـ)».[3] مما يجعل تعريف الجهر ينسب له، ويتكرر طوال قرون عديدة، فتوالت الشروح والتعريفات للجهر وأغلب من جاء بعده سار على قوله، رغم ابتعاد البعض عما قدمه مثل المبرد القائل هي:«...حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها».[4]

والمجهور من الأصوات هي«الهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو، فذلك تسعة عشرة حرفا».[5] وعند ابن سنان هي ما سوى الحروف المهموسة. واتبع العلماء سيبويه(ت 180هـ) حتى المحدثون منهم، وإن ظهرت بعض الاختلافات في إسقاط بعض الحروف من صفة الجهر وجعلها في صفة الهمس كالقاف والطاء.

والهمس عند ابن سنان هو أن يضعف الاعتماد في الصوت حتى يجري معه النفس».[6] والحروف المهموسة عددها عشرة أحرف وهي: «الهاء، والحاء، والخاء،

[1] - سر الفصاحة لابن سنان ص 20
[2] - الكتاب 4/434
[3] - المصطلح الصوتي، الصيغ ص 90
[4] - المقتضب 1/194
[5] - الكتاب 4/434
[6] - سر الفصاحة ص 20

والكاف، والسين، والصاد، والتاء، والشين، والثاء، والفاء، ويجمعها في اللفظ ستشحثك خصفه، وجمعت أيضا سكت فحثه شخص، وما سوى هذه الحروف هو المجهور».[1]

ويكون تعريف الهمس نقيض تعريف الجهر. والهمس لغة هو الخفي من الصوت.[2] «والهمس والهميس حس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر وجهارة في المنطق ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر»[3] وهو عند المحدثين يعرف على أنه «عدم اهتزاز الوترين الصوتيين، فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به».[4]

ويخالف هذا التعريف ما أثبته الدارسون بأن الوترين الصوتيين يهتزان بدرجة أقل، لأن عدم الاهتزاز معناه السكون، وهو ضد الحركة، وهذا معناه عدم وجود هواء البتة، وإلا كيف حدثت الحركة، ومن ثم الصوت المجهور نفسه. ويستدرك إبراهيم أنيس أن عدم الاهتزاز ليس مطلقا فيقول: «وليس معنى هذا أن ليس للنفس معه ذبذبات مطلقا وإلا لم تدركه».[5]

ولم يخرج الباقلاني(ت 403هـ) عما ذكره سيبويه(ت 180هـ) في تعريف الجهر وحروفه حيث يقول: «والمجهور معناه: أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع أن يجري معه[النفس] حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت».[6] ولم تختلف نظرة علماء التجويد عن سابقيهم أمثال سيبويه(ت 180هـ) في فهم الجهر والهمس وشرحهما. فبعضهم أبقى على تعريف سيبويه(ت 180هـ) نحو القرطبي(ت 461هـ) الذي يقول:« ومعنى المجهور أنه حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت».[7]

[1] - سر الفصاحة ص 20
[2] - ينظر لسان العرب 8/137
[3] - لسان العرب 8/137
[4] - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص 20
[5] - الأصوات اللغوية ص 20.

[6] - إعجاز القرآن ص 46
[7] - الموضح، ص 46

فقد جاء عند سيبويه(ت 180هـ) أن الحرف المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أن النون و الميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصر فيهما عنه، ودليل ذلك أنك إذا أمسكت أنفك ثم تكلمت بهما رأيت أن ذلك قد أخل بهما.

أما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردّدت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم نقدر عليه. فإذا أردت إجراء الحروف لا أنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللّين والمدّ، أو ربما فيها منها، وإن شئت أخفيت.[1] ولم يختلف الباقلاني(ت 403هـ) في تعريف الهمس عما ورد عن سيبويه(ت 180هـ)، يقول: « والمهموس كل حرف اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس».[2]

وقد أصل مكي بن أبي طالب للهمس فذكر أنه الحس الخفي[3]، وعند القرطبي(ت 461هـ) المهموس ما خفيّ[4]، وهو الإخفاء عند الداني(ت 444هـ).[5]والحروف المهموسة ضعيفة لكن بالنسبة للمهجورة، ولضعفها سميت كذلك ويؤكد هذا مكي بن أبي طالب بقوله: «كلما كانت ضعيفة لقبت بذلك، قال جلّ شأنه:"فلا تسمع إلا همسا"، قيل: هو حسّ الأقدام».[6]

مما سبق نستنتج أن علماء التجويد وفي مقدمتهم القيسي يعتمدون السماع في توضيح معنى الجهر والهمس، في حين اعتمد سيبويه(ت 180هـ) على مصدر الصوت أو

[1]- ينظر الكتاب 4/434 و الموضح ص 46
[2] - إعجاز القرآن ص 44
[3] - ينظر الرعاية ص 92.
[4] - ينظر الموضح ص 36.
[5] - ينظر التحديد ص 10.
[6] - الرعاية ص 92.

كيفية النطق، وممن تبنى أيضا فكرة القوة والوضوح في الجهر بصورة بارزة نجد الربعي[1](420هـ)، الذي ينسب إليه قوله أن المجهور يتميز بشدة الوقع لقوة الاعتماد فيه.[2]

ولهذا يكون المجهور أندى وأوضح في السمع من المهموس، وذلك عائد إلى النغمة المتولدة من قوة ذبذبة الوترين الصوتيين، واللذين تفتر ذبذبتهما في المهموس، مما يتطلب من الناطق «زيادة الضغط في مخرج الصوت المهموس وزيادة دفع الهواء من الرئتين لزيادة وضوحه السمعي».[3] ويكون خفت الصوت و إخفاؤه أيضا طريقة للتفريق بين المجهور والمهموس[4]، فالمهموس يحافظ على طبيعته حين الإخفاء فيبقى جرسه كما هو سواء رفعنا الصوت به أم خفضناه، وهو أمر غير ممكن مع الجهر الذي لا يمكن خفضه وخفته، فإن حاولنا ذلك، فقد ينتقل الصوت المجهور إلى نظير له مهموس، فالإخفاء مع المجهور يترتب عنه تضييع الحرف لصفة المميزله، فبدلا من أن نسمع الدال مثلا، فإننا نسمع صوتا آخر هو التاء.

ولم يجعل كل من مكي بن أبي طالب أو القرطبي(ت 461هـ) أو الداني(ت 444هـ) لحديثهم عن صفة الهمس عنوانا بل انطلقوا جميعا من عبارة الحروف المهموسة، يقول القيسي:"الحروف المهموسة"[5]، والداني(ت 444هـ) يذكر:"فالمهموسة".[6] ولا يختلف هؤلاء مع السابقين في عدد الحروف المهموسة، وهي عشرة[7]، يجمعها قولنا "كسف شخصه تحت"[8] أو سكت فحثه شخص.[9]

---

[1] - الربعي من علماء التجويد والقراءة في القرن الخامس للهجرة، وإليه ينسب (الإيضاح في القراءات)، لم نعثر له على مؤلفات ولا أعمال في القراءة إلا ما جاء في كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.
[2] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 135.
[3] - الدراسات الصوتية ص 139.
[4] - ينظر الأصوات اللغوية ص 121.
[5] - ينظر الرعاية ص 92.
[6] - ينظر التحديد ص 107.
[7] - ينظر الرعاية ص 92، والتحديد ص 107،والموضح ص 45.
[8] - ينظر التحديد ص 107.
[9] - ينظر الرعاية ص 92.

أما عن تعريف الهمس فقد عرفه الداني(ت 444هـ) بأنه « حرف أضعف الاعتماد في موضعه فجرى معه النّفس».[1] وهذا ما جاء عند سيبويه(ت 180هـ)[2].

أما مكي بن أبي طالب فيذكر في تعريف الهمس أنه جريان النفس مع الحرف، والسبب ضعف الحرف ، فكانت الحروف المهموسة أضعف من المجهورة إذ يقول: «ومعنى الحرف المهموس:أنه حرف جرى معه النفس عند النطق به لضعفه».[3] وهذا ما لم نجده عند معاصريه كالداني(ت 444هـ) مثلا.

كما يميّز مكي بن أبي طالب في الهمس درجات متفاوتة في الحروف، لوجود صفات قوة في بعضها، مثال ذلك قولك: « والصاد والخاء أقوى من غيرهما، لأن في الصاد إطباقا واستعلاء وصفيرا، وكل هذه الصفات من صفات القوة».[4]

وينسب القرطبي(ت 461هـ) ضعف المهموس إلى جريان النفس مع الصوت[5]، وضعف الاعتماد عليه عند خروجه، فهو أضعف من المجهور.[6] ولم يضف الداني(ت 444هـ) على تعريف سابقيه شيئا، يقول: إن الحرف المهموس هو «حرف أضعف الاعتماد في موضعه فجرى معه النفس».[7]

وتنسب باقي الحروف غير المهموسة إلى الجهر فيكون عددها تسعة عشر حرفا[8] ، وفي هذا يقول الداني(ت 444هـ): «والمجهورة هي ما عدا المهموسة، وهي تسعة عشر حرفا».[9] ويجعل الداني(ت 444هـ) مفهوم الجهر الإعلان[10] ضدّ الإخفاء، في حين يجعل مكي بن أبي طالب القوة مرادفة للجهر، فكان الجهر ضد الهمس لأن هذا يرادف الضعف

[1] - التحديد ص 107.
[2] - ينظر الكتاب 4/434.
[3] - الرعاية ص 92.
[4] - الرعاية ص 92.
[5]- ينظر الموضح ص 92.
[6]- ينظر الرعاية ص 92.
[7] - التحديد ص 107.
[8] - ينظر الموضح ص 36.
[9] - التحديد ص 107.
[10] - ينظر التحديد ص 107.

حيث يقول: «...لأن الجهر: الصوت الشديد القوي، فكما كانت في خروجها كذلك لقبت به، لأن الصوت يجهر بها لقوتها».[1]

ويجمع المحدثون على هذا فيجعلون الجهر ضد الهمس في الاصطلاح الصوتي.[2] ويعرف القرطبي(ت 461هـ) الحرف المجهور بأنه «حرف أشبع الاعتماد ويجري الصوت».[3]

أما الداني(ت 444هـ) فلم يخرج عن تعريف الأوائل كسيبويه(ت 180هـ) فذكر قوله: «ومعنى المجهورة أنه حرف قوي الاعتماد في موضعه، فمنع النفس أن يجري معه».[4] ولم يبتعد عن ذلك مكي بن أبي طالب، فالاعتماد على الموضع ومنع النفس لأجل قوته كانا أساس تعريفه للجهر، يقول: «ومعنى الحرف المجهور أنه حرف قوي يمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته ، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه».[5]

وقد علق إبراهيم أنيس على استعمال سيبويه(ت 180هـ) لموضع بدل المخرج، في تعريفه للجهر والهمس، ورأى أن الإشباع الذي قصده سيبويه(ت 180هـ) يصاحب الصوت منذ انطلاقته من الصدر.[6]

ويقودنا هذا التفسير إلى وضوح رؤية سيبويه(ت 180هـ) في فهم الجهر والهمس الذي وضعه وتبناه جلّ من جاء بعده ومن بينهم علماء التجويد، فركز إبراهيم أنيس على مفهوم الاعتماد، وما له من علاقة بجهاز النطق ومن مصدر الصوت، يقول: «ومعنى هذا في رأيي أن الحس المرهف لسيبويه(ت 180هـ) جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق النفس».[7]

---

[1] - التحديد ص 107.

[2] - ينظر الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 20.

[3] - الموضح ص 46.

[4] - التحديد ص 107.

[5] - الرعاية ص 93.

[6] - ينظر الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 124.

[7] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 124.

إن سيبويه(ت 180هـ) ومن جاء بعده لم يتحدثوا عن ذبذبة الوترين الصوتيين إلا أن سيبويه(ت 180هـ) أحس بهما حسب إبراهيم أنيس الذي أوضح نقطة أخرى مهمة، وهو تفريقه بين الهمس والجهر بالصوت الصادر من الصدر ومن الفم، «فالجهر فيه صوت صادر من الصدر والخيشوم غنة تخالط ما جرى في الحلق».[1] والهمس صوت صادر من الفم، يقول: «أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، وذلك مما يزجي الصوت ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهور،فأخرج الصوت من الفم ضعيفا».[2]

وقد فسّر بصورة أوضح صوت الصدر وصوت الفم هذا على أنه تلك النغمة الصوتية الناتجة عن اهتزاز وذبذبة الوترين الصوتيين حين النطق بأصوات المجهور، فسيبويه(ت 180هـ) أدرك أثره الصوتي ولم يدرك مصدره، فنسبه إلى الصدر لأنه يتردد هناك والأصل أنه ناتج عن ذبذبة الوترين.[3]

والثاني مخرج الصوت حيث ينغلق مجرى النفس، أما المهموس فليس له إلا مصدر واحد للتصويت و هو مخرج الصوت فقط، وهو ما سماه سيبويه(ت 180هـ) بصوت الفم[4] أي الصوت الحامل في مخرج الحرف دون أن يصاحبه صوت آخر منبعث من الصدر، أي الحنجرة[5] ، وقد تنبه بعض علماء التجويد من القرن الخامس الهجريفكرة صوت الصدر والفم، على غرار أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام في تفسيره المعنون بـ "المباني لنظم المعاني"، فقد نقل عنه قوله: «...وإنما سميت مجهورة لأن الاعتماد يسمع في موضع الحرف منها، فلا يجري النفس حتى ينقضي الاعتماد، وخرج صوت الصدر مجهورا».[6]

---

[1] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 120و 121.
[2] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 121.
[3]- ينظر في هذا الأصوات اللغوية ص 120و 121، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 131.

[4] - يذكر سيبويه(ت 180هـ) ذلك في الحروف المهموسة حيث يقول: « وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر، وإنما تنسل معه. وبعض العرب أشد نفخا، كأنهم الذين يرمون الحركة فلا بد من النفخ، لأن النفس تسمعه كالنفخ ». الكتاب 4/175.
[5]- ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 131.
[6] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 132 و 133.

وقد وضح لنا إبراهيم أنيس طبيعة صوت الفم وصوت الصدر، فنسب إلى سيبويه(ت 180هـ) أن هذين المصطلحين في الواقع صادرين من السماع، وإن لم يدرك ذلك، يقول: «والذي لم يكن سيبويه(ت 180هـ) يعرفه وأن كان قد أحس به أن النفس يتردد مع المهموس، ويحدث موجات أيضا تضخمها الفراغات الرنانة في الحلق والفم فتسمعها الأذن من أجل هذا».[1]

وبالتالي تكون الذبذبات في المجهور، وذلك يكون في الحنجرة، أما في المهموس فهو في الحلق والفم ولكن ذبذباتها ضعيفة تدرك بخفاء في السمع، «ومن هنا جاء خفاؤها أو همسها ومن هنا أيضا تميز المجهور من المهموس».[2]

إن الهمس صادر عن ذبذبات خفية،عكسه الجهر، مما يعطينا صورة جلية لفهم علماء القرن الخامس الهجريمبكرا لطبيعة الجهر والهمس كما فهمه المحدثون، فرغم عدم إدراكهم لدور االوترين الصوتيين، فقد توصلوا إلى أن طبيعة الهمس والجهر تتحدد أولا في السماع. وصنفت أعمال علماء التجويد خاصة في الهمس والجهر بأنها همزة وصل بين علماء اللغة الأوائل كسيبويه(ت 180هـ) و ما توصل إليه المحدثون من علماء اللغة في تحديد دور الوترين الصوتيين في ذلك.[3]

الصفات الثانوية:

إن الصفات الثانوية هي صفات فارقة تميز كل منها الصوت بميزات تجعله يختلف عن باقي الأصوات، وقد اختلف علماء القرن الخامس الهجريفي تناولهم للصفات الثانوية، وهذا لاختلاف نظرتهم إليها بسبب طبيعة رؤيتهم للموضوع.

وحدد ابن سينا (ت 427هـ) للأصوات صفات أساسية مشتركة بينها، ثم ميز كل صوت بصفات ثانوية ذات طبيعة نطقية خاصة تميز الصوت أو مجموعة من الأصوات عن البقية، وفي هذا يقول: «وبعد اشتراك كل واحد من الطبقتين في العلة

[1] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 122.
[2] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 122.
[3] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 139.

العامة فقد تختلف بسبب اختلاف أجرام تقرب منها و بها يقع الحبس والإطلاق فربما كانت ألين، وربما كانت أشد وأيبس وأرطب، وربما كان حبس النفس في ذات رطوبة»[1] ،

فابن سينا (ت 427هـ) لم يستعمل مصطلحات اللغويين القدامى في صفات الأصوات بدء من الصفات الأساسية كالحروف المفردة والمركبة، وقد سلف ذكرنا لذلك، فقد استعان ابن سينا (ت 427هـ) بالوصف لأعضاء النطق والمقابلة بين الأصوات لتوضيح طبيعة الصفات فيها كالجهر والهمس كقوله مثلا:« وأما الكاف فإنها تحدث حيث تحدث الغين... ونسبة الكاف على الغين هي نسبة القاف إلى الخاء».[2] فالكاف والخاء مهموسة والغين والقاف مجهورة.

كما ندرك حينها أنه رغم استعانته بالتشريح وما كان له من فوائد جمة فيما توصل إليه، فإن ابن سينا (ت 427هـ) لم يقف على الوترين الصوتيين وما يصاحبهما من اهتزاز في تحديد الجهر والهمس، فنرى أنه أبقى على الاهتزاز، هذه الصفة التي تتكرر في وصفه للأصوات لكن من الجانب السمعي، فهذه الصفة تدرك عند السامع دون تحديد مصدرها بالدقة الكافية.

يحدث هذا الاهتزاز في الفم لا في الحلق والحنجرة. ففي الهمزة والعين مثلا لا يذكر أي اهتزاز وإنما يركز على الهواء المنبعث من الصدر وحبسه وحفزه، وهذه من صفات الشدة والرخاوة، فينسب ابن سينا (ت 427هـ)هذا الاهتزاز إلى الحنك أو اللسان ويقرنه بصفات ثانوية أخرى كالغليان في الغين، والصفير في الزاي، والتكرار في الراء، ويجعل هذا الاهتزاز جامعا بين حروف كالذال والزاي.

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 107
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 74

إنه يستنتج المصطلحات من واقع حدوثها، فإلى جانب الاهتزاز نجد التكرار وهو عند المبرد الترجيع[1] في حرف الراء، لكن ابن سينا (ت 427هـ) يبقي على الاهتزاز ويذكر الترعيد في قوله:«...كان منه الترعيدات في الإيقاعات، وذلك لشدة اهتزاز سطح اللسان حتى يحدث حبسا بعد حبس غير محسوس حدث الراء».[2]

التكرار

أما صفة التكرار التي يجعلها سيبويه(ت 180هـ) لصوت الراء[3] ، فابن سينا (ت 427هـ) يستعيرها لحرف الزاي «...إلا أنه باهتزازه يحدث في الهواء الصافر المنفلت شبه التدحرج في منافذه الضيقة بين خلل الأسنان، فيكاد أن يكون فيه شبه التكرير الذي يعرض للراء، وسبب ذلك التكرير اهتزاز جزء من سطح طرف اللسان خفي الاهتزاز».[4]

والتكرار وصف خاص بحرف الرّاء، يظهر ذلك حين الوقف عليه إذ يشتد ذلك ويظهر، وفي هذا اتّفق كل من الداني(ت 444هـ) والقرطبي(ت 461هـ)، يقول الداني(ت 444هـ): «ويتبين ذلك فيه إذا وقف علمه وأخلص سكونه»[5]، أما القرطبي(ت 461هـ) فيضيف صفة تعثر اللسان حين الوقف عليه نتيجة التكرار، يقول القرطبي(ت 461هـ): «...وذلك أنّك إذا وقفت عليه طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرار ويرتعد لما هناك منه».[6]

ويطابق مكي بن أبي طالب بين لفظ التكرار ولفظ الترعيد، وذلك ما ذهب إليه القرطبي(ت 461هـ) أيضا، فيقول مكي بن أبي طالب: «...لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به، كأن طرف اللسان يرتعد به، وأظهر ما يكون ذلك إذا كانت الراء مشددة ».[7]

---

[1] - ينظر المقتضب 1/196
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 82
[3] - ينظر الكتاب 4/435
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 78
[5] - التحديد ص 110.
[6] - الموضح ص 51.
[7] - الرعاية ص 106.

كما ينفرد مكي بن أبي طالب هنا أيضا في تصنيف صفة التكرار مع صفات القوية في الحرف، «فالراء حرف قوي للتكرير الذي فيه».[1]

وصفة التكرير هي التي جعلت الراء ينحرف من الشدّة إلى الرخاوة لانحرافه إلى اللام، ولعل صفة التكرار هذه لها من القوة لما وصف به سيبويه(ت 180هـ) الراء بالمضاعف، لقوله: «والرّاء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف نزيدها إيضاحا»[2]، فالتكرار كأن الحرف فيه يتكرر حين نطقه، وفي هذا يقول سيبويه(ت 18 0هـ): «...حيث كانت بمنزلة حرفين مفتوحين»[3]، ويؤكد قول القرطبي(ت 461هـ) ذلك: «.... ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين».[4]

الصفير

هي عند القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ) ومكي بن أبي طالب في ثلاثة أصوات هي الصاد والزاي والسين[5]، وسبب هذه التسمية يقول الداني(ت 444هـ)، هو سماع صوت كالصفير حين خروجها من مواضعها.[6] وسماع الصوت كان أصل التسمية، أما القرطبي(ت 461هـ)، فيقول: «سميّت بذلك لشبه أجراسها بالصفير»[7]، أما مكي بن أبي طالب فيبسط ذلك بقوله: «وإنما سميت بحروف الصفير لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير».[8]

[1] - الرعاية ص 106.
[2] - الكتاب 1/136.
[3] - الكتاب 4/136.
[4] - الموضح ص 51.
[5] - ينظر التحديد ص 109 والرعاية ص 99و 100، والقرطبي(ت 461هـ) ص 55.
[6] - ينظر التحديد ص 109.
[7] - الموضح ص 55.
[8] - الرعاية ص 100.

والصفير درجات تصنع القوة أيضا في الحرف[1]، فيرتبها القيسي على هذا الأساس، ولم نجد هذا إلا عند مكي بن أبي طالب إذ يجعل الصاد أقواها للإطباق والاستعلاء، ثم الزاي للجهر الذي فيها، ثم السين آخرهن، والضعف فيها للهمس[2].

وجعل المبرد أيضا الصفير صفة لثلاثة أصوات، وهي السين والصاد والزاي[3]، ويغفلها ابن سنان.[4] ومصطلح الصفير نفسه وحروفه الثلاثة مذكور عند سيبويه(ت 180هـ) في قوله: «...الصاد والسين والزاي... لأنهن حروف الصفير»[5]، وقد اعتمد هذا الوصف انطلاقا لأثرها السمعي لها لا النطقي إذ يرى أنها أندى في السمع.[6]

ويقرن ابن سينا (ت 427هـ) الصفير بضيق المخرج، ففي الجيم يقول: «... حتى إذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذا يصفر لضيق المسلك، إلا أنه يتشذب لاستعراضه، ويتمم صفيره خلل الأسنان، وينقص من صفيره ويرده إلى الفرقعة...».[7]

والصفير هو تسرب الهواء بعد تضيقه من منافذ صغيرة غالبا ما تكون من خلال الأسنان، وهو ما توصل إليه المحدثون.[8] ونجد هذا في الصاد وإن لم يستعمل مصطلح الصفير بوضوح، يقول:« ويتسرب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء كثير منه من وراء، ويخرج من خلل الأسنان».[9] ويقول أيضا:« وأما الزاي فإنها تحدث من الأسباب المصفرة التي ذكرناها إلا أن الجزء الحابس فيها من اللسان يكون مما يلي وسطه ويكون طرف اللسان غير ساكن سكونه الذي كان في السين، بل يمكن من الاهتزاز، فإذا انفلت الهواء الصافر عن المحبس اهتز له طرف اللسان، واهتزت

---

[1] - ينظر الرعاية ص 100.
[2] - ينظر الرعاية ص 100.
[3] - ينظر المقتضب 1/173
[4] - ينظر سر الفصاحة ص 20 و 21
[5] - الكتاب 4/464
[6] - ينظر الكتاب 4/464
[7] - أسباب حدوث الحروف ص 75
[8] -ينظر علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا ص 234
[9] - أسباب حدوث الحروف ص 77

رطوبات تكون عليه وعنده ونقص من الصفير إلا أن اهتزازه يحدث في الهواء الصافر المنفلت شبه التدحرج في منافذه الضيقة بين خلل الأسنان».[1]

ويضيف ابن سينا (ت 427هـ) إلى الحروف السابقة حرف الثاء المصفر الهواء فيها حيث يقول: «...ولكن إطلاق يسير يصفر معه الهواء غير قوي الصفير كصفير السين، لأن طرف اللسان يكون أرفع وأحبس فيكون مجموع أصوات الصفير خمسة وهي الجيم، والصاد، والسين، والزاي، والثاء، ويلتقي فهم ابن سينا (ت 427هـ) لمصطلح الصفير مع ما يشرحه ابن الطحان في كتابه مخارج الحروف حين يذكر أنه «الخارج عن ضغط ثقب»[2] ويكون ابن يعيش في شرح المفصل الأقرب إلى توضيح المعنى الاصطلاحي الوظيفي اللغوي للصفير، وهو الظاهر في استعمال ابن سينا (ت 427هـ)، يقول ابن يعيش في أصوات الصفير« لأن صوتها كالصفير لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك فيصفر به».[3]

وعلى خلاف ابن سنان فإن تحديده للصفات الثانوية للحروف تقريري إذ يصفها دون إضافات هامة في سردها وتوضيح معانيها مثل الحروف المنطبقة والمنفتحة.

الإطباق والانفتاح

الإطباق عند ابن سنان ما توصل إليه الأوائل، وفي هذا يقول: «...ومعنى الإطباق أن يرفع المتلفظ بهذه الحروف لسانه ينطبق بها الحنك الأعلى فيحصر الصوت بين اللسان والحنك، وهي أربعة أحرف :الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، وما سواها من الحروف مفتوح غير منطبق»[4]، وعددها كذلك عند الباقلاني(ت 403هـ)، يقول: «ومن

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 77 و 78
[2] - مخارج الحروف وصفاتها أبو الأصبع السهاتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان ت بعد 560 هـ تحق محمد يعقوب تركستاني مركز الصحف الإلكتروني بيروت 1984 ص 94
[3] - شرح المفصل موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت 643 هـ عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبي القاهرة 10/130
[4] - سر الفصاحة ص 21

ذلك الحروف المطبقة، وهي أربعة أحرف، وما سواها منفتحة. فالمطبقة: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد».[1]

أما ابن سينا (ت 427هـ) فلم يتناول هذه الصفة بالتفصيل والشرح، وإنما تحدث عن كيفية وجودها في حرفين فحسب وهما الطاء والصاد، ناسبا الصفة إلى اللسان الذي يحدث فيه تقعير، يقول ابن سينا (ت 427هـ):«والصاد... ويحدث في اللسان كالتقعير حتى يكون لانفلات الهواء كالدّوي».[2] وفي الطاء يقول: «لكن الطاء... وتقعر وسط اللسان خلف ذلك المحبس، ليحدث هناك للهواء دويّ عند الإفراج...».[3] ويكون ابن سينا (ت 427هـ) قد انتبه إلى أن الإطباق هو حصر للصوت وسط اللسان دون أن ينطبق كليا مع الحنك. ويتضح ذلك بصورة أوضح حين يبين أن صوت الطاء تكون «بتصفيق اليدين وفي الراحتين أدنى تقبيب ينحصر فيه هواء ذو دوي».[4] والإطباق يعبر عنه بعض الدارسين بلزوم حصر الصوت.[5]

ويكون الإطباق في أربعة أحرف هي الطاء والظاء والصاد والضاد[6]، ولا يكاد يختلف الدارسون في تعريف الإطباق، فهو عند الداني(ت 444هـ) ببساطة «أن تطبق اللسان على الحنك».[7] أما عند القرطبي(ت 461هـ) فالإطباق «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن».[8] ويستعمل مكي بن أبي طالب لفظ حصر الريح بدّل الصوت عند القرطبي(ت 461هـ) والوارد أيضا عند سيبويه(ت 180هـ) في قوله: «فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف».[9] ورغم هذا الاختلاف فالتصور كان واحدا حول فكرة الإطباق.

---

[1] - إعجاز القرآن ص 45.
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 120
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 121.
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 135.
[5] - ينظر المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ ص 134
[6] - ينظر الرعاية ص 98 والموضح ص 49 والتحديد ص 108.
[7] - التحديد ص 108.
[8] - الموضح ص 49.
[9] - الكتاب 4/436.

و يرى مكي بن أبي طالب أن حروف الإطباق سميت كذلك «لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف»[1] ، ويكون مكي بذلك قريبا من تصور ابن سينا (ت 427هـ) الذي استعمل في ذلك لفظ الهواء بدل الصوت، ويؤكد القيسي استعماله للريح بدلا من الصوت حين يذكر: «وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها».[2]

لقد تنبه ابن سينا (ت 427هـ) والقيسي أن الإطباق هو هواء ذو ذوي يحدث في أخذ اللسان وضعية معينة داخل الفم، وإن كان خلافهما من العلماء بدءا من سيبويه(ت 180هـ) استعملوا حصر الصوت في شرح الإطباق، والإطباق درجات عند مكي بن أبي طالب والقرطبي(ت 461هـ)، ولا يختلفان في تصنيفها، ويرجع كل منهما قوة الإطباق وضعفه في هذه الأصوات لمجاورتها لصفات ضعف أو قوة كالشدّة والرخاوة، أو الانحراف في مخرج أحدها، يقول مكي بن أبي طالب: «وبعضها أقوى في الإطباق من بعض، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها، بجهرها وشدتها، والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها، إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والصاد والضاد متوسطان في الإطباق».[3]

ولم يذكر مكي بن أبي طالب نظائر لحروف الإطباق، أي إذا زال الإطباق عند الطاء فإنها تصير إلى نظيرها المنفتح، وذكر القرطبي(ت 461هـ) ذلك مقتديا بسيبويه(ت 180هـ)[4] إذ يبرهن أن الإطباق قد صنع فرق هذه الأصوات عن أصوات أخرى من ذات المخرج، يقول القرطبي(ت 461هـ): «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا،

---

[1] - الرعاية ص 98.
[2] - الرعاية ص 98.
[3] - الرعاية ص 98.
[4] - يقول سيبويه(ت 180هـ): «فأما المطبقة فالصاد، والضادن والطاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى».الكتاب 1/136.

والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها، تزول الضاد إذا عدمت الإطباق البتة». [1]

و يرى القرطبي(ت 461هـ) في الانفتاح أنه ضدّ الإطباق لقوله: «والانفتاح أن لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصّوت». [2] ، وإلى هذا ذهب الداني(ت 444هـ)، فذكر أن المنفتحة هي ما عدا المطبقة[3] ، ويذكر مكي بن أبي طالب خمسة وعشرون حرفا[4]، وانفرد مكي بن أبي طالب - في رأينا- في استعمال لفظ انفتح في مقابل ينطبق في تحديده لمفهوم الحروف المنفتحة، فيقول: «ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك، وتخرج الريح عند النطق بها». [5]

الاستعلاء والاستفال

حروف الاستعلاء سبعة، يجمعها قولك: ضغط خص قظ[6]، وهي على مجموعتين، فأما الأولى فهي حروف الإطباق الأربعة، إذ يعلو اللسان فيها وينطبق[7]، وإلى هذا ذهب كل من الداني(ت 444هـ) ومكي بن أبي طالب، إذ يرى الداني(ت 444هـ) أنها «سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك، ولذلك تمنع الإمالة». [8]

ويشرح ابن سنان مفهوم الاستعلاء انطلاقا من حركة الأصوات أثناء نطقها بصعودها إلى الحنك الأعلى، يقول: «ومعنى الاستعلاء أن تصعد في الحنك الأعلى»[9]، ثم يقررها جملة واحدة دون تفصيل، فيذكرها قائلا: «وهي سبعة أحرف الحاء، والغين، والقاف، والضاد، والصاد،والطاء، وما سوى ذلك من الحرف منخفض». [10]

---

[1] - الموضح ص 49 ويراجع ما ذكره سيبويه(ت 180هـ) في كتابه الكتاب 4/436.

[2] - الموضح ص 49.
[3] - ينظر التحديد ص 108.
[4] - ينظر الرعاية ص 98.
[5] - الرعاية ص 98 و 99.
[6] - ينظر التحديد ص 108.
[7] - ينظر الموضح ص 49.
[8] - التحديد ص 108و 109.
[9] - سر الفصاحة ص 21
[10] - سر الفصاحة ص 21

والمستفلة عكس المستعلية لأن اللسان فيها لا يعلو إلى جهة الحنك [1]، ويفسر القرطبي(ت 461هـ) الانخفاض وهو مصطلح يقابل الاستعلاء ويطابق الاستفال بقوله: «لأن لا يتصّعد الصّوت بالحروف»[2] ، وهذا التعريف قريب من تفسير مكي بن أبي طالب الذي يعزو الاستفال «إلى وضعية اللسان في هذه الحروف إذ يستفل إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها».[3]

حروف الذلاقة والمصمتة

ينسب ابن سنان صفة الذلاقة إلى الأصل اللغوي لذلق، فيذكر:«ومعنى الذلاقة أن يعتمد عليها بذلق اللسان وهو طرفه، وذلق كل شيء حده»[4] ، وينسب المصطلح إلى ابن جني.[5] وإن كان الذلق عنده هو صدر اللسان وطرفه.[6] وحروف الذلاقة عند ابن سنان «ستة أحرف اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم»[7] ، ولم يخالف فيها من سبقه[8] رغم ما يشوب هذه المجموعة من تساؤلات كونها تضم حروفا شفهية لا دخل لذلق اللسان في خروجها، مما يدفع باستدراك مفهوم الذلاقة ثم تحديده.[9]

فالذلاقة من ذلق، «والذلق حدّة الشيء وحدّ كل شيء ذلقه وذلق كل شيء حدّه».[10] وورد في اللسان أيضا: «وذلق اللسان وذلقته حدّته وذولقه طرفه وكل محدّد الطرف مذلق».[11] والذليق فصيح اللسان.[12] والحروف الذّلق حروف طرف اللسان[13]، وجاء في اللسان أن الحروف الذلق هي الراء واللام والنون، «سميت ذلقا لأن مخارجها من طرف

1 - التحديد ص 109.
2 - الموضح ص 49.
3 - الرعاية ص 99.
4 - سر الفصاحة ص 21
5 - ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 323
6 - ينظر سر صناعة الإعراب، 1/64
7 - سر الفصاحة ص 20
8 - ينظر سر صناعة الإعراب 1/64
9 - ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 323
10 - اللسان 11/399.
11 - اللسان 11/399.
12 - ينظر اللسان 11/399.
13 - ينظر اللسان 11/400.

اللسان، وذلق كل شيء وذولقه طرفه».[1] وعلة تسمية هذه الحروف بالذلق «لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الحروف الستة». [2]

أما ابن سيدة فيرى أن الذلق في اللسان هو صدره وطرفه، ولهذا ذكر أن حروف الذلاقة ستة هي: «الراء واللام والنون والفاء والياء والميم لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه»[3]، وهذا أيضا رأي ابن جني[4]، والقرطبي(ت 461هـ).[5]

وجاء في اللسان أن حروف الذلاقة هي حروف طرف اللسان والشفة، «وهي الحروف الذّلق الواحد أذلق ثلاثة منها ذولقية وهي الراء واللام والنون وثلاثة شفوّية وهي الفاء والياء والميم».[6] وهذا رأي مكي بن أبي طالب: «ومعنى الحروف المذلقة على ما فسره الأخفش أنها حروف عملها وخروجها من طرف اللسان وما يليه من الشفتين».[7]
وهي عنده ستة أحرف: «ثلاثة تخرج من الشفة، ولا عمل للسان فيها، وهي: الفاء والياء والميم، وثلاثة تخرج من أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى، وهن الراء والنون واللام: يجمع الستة هجاء قولك: فرّ من لب».[8]

ويضيف مكي بن أبي طالب إلى معنى الذلاقة التي هي الحدّ والطرف، صفة الخفية، فيقول: «وهي أخف الحروف على اللسان وأحسنها انشراحا، وأكثرها امتزاجا بغيرها».[9]

وينبه مكي بن أبي طالب إلى أن الحروف على أساس الذلاقة مستثقل ومستخف، ومعنى الثقل والخفة هنا في التآلف والتركيب[10]، والمصطلحان وردا عند ابن جنيّ لكن

[1] - اللسان 11/400.
[2] - اللسان 11/400.
[3] - اللسان 11/400.
[4] - ينظر سرّ صناعة الإعراب 1/64.
[5] - ينظر الموضح ص 53.
[6] - اللسان 11/400.
[7] - الرعاية ص 110.
[8] - الرعاية ص 111.
[9] - الرعاية ص 111.
[10] - ينظر الرعاية ص 111.

بمعنى شمل كل الحروف، يقول ابن جنيّ: «اعلم أن الحروف المعجم تنقسم على ضربين: ضرب خفيف وضرب ثقيل، وتختلف أحوال الخفيف منها، فيكون بعضه أخف من بعض، وتختلف أحوال الثقيل منهما، فيكون بعضه أثقل من بعض، وفي الجملة فأخف الحروف عندهم وأقلها كلفة عليهم الحروف التي زادوها على أصول كلامهم».[1]

وينسب مصطلح الخفة هذا إلى الأزهري «وسميت مذقلة لأنها أخف الحروف في المنطق».[2] وتبنى غانم قدوري معنى الخفة والسهولة لمعنى الذلاقة بل أصل لهذا المعنى في قوله: «وإنما الأولى أن يقال سميت حروف ذلاقة أي سهولة، من قولهم لسان ذلق من الذلق الذي هو مجرى الحبل في البكرة لسهولة جره فيه». [3]

أما الحروف المصمتة فلم يجهد ابن سنان نفسه لتوضيح معناها واكتفى بذكرها قائلا:« وما سواها من الحروف فهي المصمتة».[4] والمصمتة كما يعرفها ابن جني هي غير حروف الذلاقة وسميت كذلك لأنه «صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية وخماسية معراة من حروف الذلاقة»[5]، رغم وجود بعض مفردات العربية على قلتها لا ينطبق عليها هذا القول، يذكر ابن جني بعضها دون أن يعطي دليلا على ذلك، ماعدا بعض العلل الذوقية التي لا تخلو من جمالية التقاء وتجانس بعض الأصوات، يقول: «وربما جاء بعض ذوات الأربعة معرى من بعض هذه الستة، وهو قليل جدا، منه العسجد والعسطوس، والدهدقة، والزهزقة. على أن العين والقاف قد حسنتا الحال لنصاعة العين ولذاذة مستمعها وقوة القاف وصحة جرسها، ولا سيما وهناك الدال والسين، وذلك أن الدال لانت عن صلابة الطاء وارتفعت عن خفوت التاء، والسين أيضا لانت عن استعلاء الصاد، ورقت عن جهر الزاي، فعذبت وانسلت». [6]

---

[1] - سرّ الصناعة 2/811.
[2] - التهذيب في اللغة نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 300.
[3] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 301.
[4] - سر الفصاحة ص 20.
[5] - سر صناعة الإعراب 1/65.
[6] - سر صناعة الإعراب 1/65.

هذه الاستنتاجات التي ذكرها ابن جني تعود إلى السماع لا إلى النطق مما يجعل الأمر نسبيا. كما يذكر أن احتواء الكلمات على حروف مصمتة هو مقياس لمعرفة الدخيل من المفردات.[1]

وعلى أهمية هذه القضية ورغم أنها تدخل في تناسق الحروف وتجانسها في الكلمات العربية إلا أن ابن سنان آثر عدم التوسع في الأمر، ورأى أن ذلك وغيره مما لا يستغني عنه طالب معرفة الفصاحة وحسب، ويعطي تصورا غير صوتي لأقسام الحروف رغم ما له من صلة بها أكثر من النحو، فيقول: «وللحروف أيضا انقسام إلى الصحة والاعتلال والزيادة والأصل والسكون والحركة، وغير ذلك مما أكثر علاقته بالنحو، ولو ذكرناه في هذا الكتاب أطلناه، وعدلنا عن الغرض في تقريبه، وإنما أردنا ذكر ما لا يستغنى عنه طالب معرفة الفصاحة التي لها يقصد».[2]

وورد في اللسان أن «الحروف المصمتة غير حروف الذلاقة سميت بذلك لأنه صمت عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة»[3]، وهي من صمت يصمت صمتا وصمتا وصموتا.[4] وهي عند مكي بن أبي طالب ما جاء في قوله: «معنى المصمتة على ما فسره الأخفش أنها حروف أصمتت، أي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب».[5]

ويجعل مكي بن أبي طالب كثرة حروف الكلمة سببا في عدم انفراد هذه الحروف بالكلمة دون حروف الذلاقة، ويحددها في أكثر من ثلاثة، وهذا رأي القدامى أيضا، فابن جنّي يقول: «...وذلك أنك متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذي زوائد فلا بد من

---

[1] - ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 323.
[2] - سر الفصاحة ص 21.
[3] - اللسان 3/360.
[4] - ينظر اللسان 3/359.
[5] - الرعاية ص 110.

حرف من هذه الستة أو حرفين، وربما كان فيه ثلاثة».[1] و حروف الذلاقة في الألفاظ الخماسية دلالة على أنها دخيلة [2]، وإلى هذا ذهب القرطبي(ت 461هـ).[3]

ويثبت اللسان رأي ابن جنيّ من عدم خلو الكلمات الرباعية من الحروف المصمتة، وعبر عن ذلك مكي بن أبي طالب بقوله: «فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة كثيرة الحروف،أعني على أكثر من ثلاثة أحرف، حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، وذلك لاعتياصها وصعوبتها على اللسان».[4] وهنا يتداخل معنى الذلاقة بالحروف المصمتة في كون الذلاقة : «لا تعني أكثر من معناها الشائع المألوف وهو القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر، فذلاقة اللسان كما نعلم جودة نطقه وانطلاقه في أثناء الكلام».[5]

وعدد الحروف المصمتة هي ما عدا المذقلة [6]، أما مكي بن أبي طالب ففصل في الأمر وذكر أنها اثنان وعشرون حرفا صحيحا[7]، واستثنى حرف الألف من الإذلاق والإصمات «لأنها هواء لا مستقر لها في المخرج».[8]

الحروف الصم

---

[1] - سر صناعة الإعراب 1/64.
[2] - ينظر سر الصناعة 1/65 والموضح ص 53.
[3] - ينظر الموضح ص 53.
[4]- الرعاية ص 110.
[5] - الأصوات اللغوية ص 109.
[6]- ينظر سر صناعة الإعراب 1/64 والموضح ص 53.
[7]- ينظر الرعاية ص 111.
[8] - الرعاية ص 111.

هي عند مكي بن أبي طالب ما عدا الحروف الحلقية، يقول: «وهي الحروف السبعة التي ليست من الحلق، وهي ما عدا السبعة الأحرف الخارجة من الحلق وهي: الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والخاء».[1]
وعلة التسمية هي خروجها من الفم، «وإنما سميت صمّا لتمكنها في خروجها من الفم، واستحكامها فيه»[2]، وينسب القيسي هذا المصطلح إلى الخليل(ت 175هـ) في قوله: «قال الخليل(ت 175هـ) في كتاب العين: والحروف الصم: التي ليست من الحلق».[3]

ولم يرد هذا المصطلح عند القرطبي(ت 461هـ) ولا الداني(ت 444هـ)، وعدم الاهتمام بها راجع إلى كون هذه الصفة في الحروف لا تدخل في طريقة لفظها، ولا تؤثر على نطق بقية الحروف المكونة للكلمة، فأهملت بصورة عامة، واكتفى بعضهم بالإشارة إليها فحسب.

وميز القيسي من بين حروف الصم أو الصّتم، ولعل الثانية هي الأصح لما وجدناه في اللسان من أنّ «الحروف الصّم التي ليست من حروف المصمتة لما روي عنه: الحروف الصّم ما عدا الذلق».[4] ولكن عند مكي بن أبي طالب[5] فإن هذه الحروف ليست هي حروف الذلاقة ولا المصمتة.

وجاء في اللسان الصتم والصتم بالسكون والفتح، ما عظم واشتد من كل شيء[6] ، «والحروف الصتم التي ليست من حروف الحلق، قال ابن سيدة ولذلك معنى ليس من غرض هذا الكتاب، قال الجوهري، الحروف الصتم ما عدا الذلق».[7] ومنها الأصّم الذي لا يملك صوتا يسمع لهذا «كان أهل الجاهلية يسمون رجبا شهر الله الأصّم، قال الخليل(ت

[1] - الرعاية ص 111و 112.
[2] - الرعاية ص 112.
[3] - الرعاية ص 112.
[4] - اللسان 15/225.
[5] - ينظر الرعاية ص 111و 112.
[6] - ينظر اللسان 15/224.
[7] - اللسان 15/225.

175هـ) إنما يسمي بذلك لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح لأنه من الأشهر الحرم». [1]

الإنحراف

تنسب الصفة إلى اللام عند القرطبي(ت 461هـ) دون الراء لقوله: «ومن الحروف المنحرف، وهو اللام، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتنا مستدقّ اللسان عن اعتراضها على الصوت من تينك الناحيتين وممّا فويقهما».[2] وهذا ما ذكره الداني(ت444هـ) إذ المنحرف عنده حرف واحد وهو اللام.[3]

ويرى مكي بن أبي طالبالمنحرف المكرر وهو الراء، فيذكر أن الراء واللام يتصفان بالانحراف.[4] وهذا يتفق مع ما أورده الداني(ت 444هـ) الذي يرى في علة إدراج الراء مع اللام في صفة الانحراف هو انحراف الراء «من مخرج النون الذي هو أقرب المخارج إليه، وإلى مخرج اللام وهو أبعد من مخرج النون من مخرجه».[5]

الحرف المستطيل

لم يذكر القرطبي(ت 461هـ) حرف الاستطالة، ولم يتحدث عن هذه الصفة مستقلة، بل يوردها مع صفة التفشي. والحرف المستطيل واحد وهو الضاد[6]، وينسب الداني(ت 444هـ) سبب الاستطالة إلى الرخاوة الموجودة في الضاد فيقول: «استطالت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام».[7]

أما مكي بن أبي طالب فيرى أن قوة الجهر والإطباق والاستعلاء هي التي جعلتها تستطيل من مخرجها إلى مخرج اللام، وهذا عكس ما رآه الداني(ت 444هـ)، يقول مكي بن أبي طالب: «سميت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت

[1] - اللسان 15/237.
[2] - الموضح ص 51.
[3] - ينظر التحديد ص 110.
[4] - ينظر الرعاية ص 107.
[5]- الرعاية ص 107.
[6]- ينظر التحديد ص 110والرعاية ص 109.
[7] - التحديد ص 110.

بمخـرج اللام، وذلـك لمـا اجتمـع فيهـا مـن القـوة بـالجهر والإطبـاق والاسـتعلاء فقويـتين بذلك».[1]

التفشي

ينسب مكي بن أبي طالب التفشي إلى حرف الشين فحسب، والسـبب «لأنـها تفشـت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء».[2] وإلى هـذا ذهـب الـداني(ت 444هـ)، فالمتفشي حرف واحد وهو الشين، وسبب تفشيه هو رخاوته.[3] ويعرف مكي بن أبي طالب التفشي على أنـه «كـثرة انتشـار خـروج الريـح بيـن اللسـان والحنـك وانبسـاطه فـي الخروج عند النطق بها».[4] أما القرطـبي(ت 461هـ) فيعرفـه بـأنه «انتشـار الصـوت عنـد النطق».[5]

ويذكر مكي بن أبـي طـالب إلـى مـا اعتقـده بعـض العلمـاء مـن وجـود التفشـي فـي أصوات أخرى، مثل: «وقيل إن في الثاء تفتيشا».[6] ويورد الداني(ت 444هـ) التفشـي فـي الفاء، يقول: «وكذلك الفاء تفشت حتى اتصـلت بمخـرج الثـاء، ولـذلك تبـدل منهـا، فيقـال: جذف وجدث».[7]

وهذا ما يراه القرطبي(ت 461هـ)[8] الذي يستعمل "المتفشية"، مما يعني أن الصفة لأكثر من حرف، وهما الشين والضاد، ويصـفهما "بالمخالطـة"، يقـول: «وأمـا المتفشـية، وتسمى المخالطة، لأنها تخالط ما يتصل بها في طرف اللسان»[9]، وينسب ذلـك إلـى الشـين والضاد، وينسب مكي بـن أبـي طـالب ذلـك إلـى بعـض العلمـاء الـذين جمعـوا بيـن الشـين

[1] - الرعاية ص 109.
[2] - الرعاية ص 109.
[3] - ينظر التحديد ص 109.
[4] - الرعاية ص 109.
[5] - الموضح ص 54.
[6] - الرعاية ص 109.
[7]- التحديد ص 110.
[8]- ينظر الموضح ص 54.
[9] - الموضح ص 54.

والضاد في صفة التفشي، وقال أنهما حرفان مخالطين «لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان».[1]

وينسب القرطبي(ت 461هـ) صفة الاستطالة إلى التفشي، ويجعلها نتيجة لها حيث يقول: «والضاد تتفشى حتىّ تتصل بمخرج اللام، ولذلك سميت الحرف المستطيل لأنها استطالت من موضعها حتى خالطت بالإطباق الذي فيها الطاء والظاء والصاد».[2] فجعل التفشي في الضاد لأنها تقارب اللام وتتصل بمخرجه، وبالاستطالة استطاعت أن تخالط حروف الإطباق الأخرى، ولعل في ذلك بعض النظر، فالضاد حرف فيه إطباق ومن صفاته، فكيف يستطيل لصفة فيه.

الهاوي

يذكر الداني(ت 444هـ) أن هذه الصفة لحرف واحد وهو الألف[3]، ولم يصنفها القرطبي(ت 461هـ) ولا مكي ابن أبي طالب مع بقية الصفات، لكنهما نسباها للألف، فالقرطبي(ت 461هـ) قال: «الألف حرف خطيّ هاو»[4]، وقال مكي بن أبي طالب: «الألف حرف يهوي في الفم.....هو حرف اتسع مخرجه في هواء الفم، ولذلك قيل له: هوائي، وهاو».[5] فمخرجه يتصف بالاتساع بالنسبة لبقية الأصوات[6]، لكن التفسير الأقرب إلى هذه الصفة هو ما جاء عند مكي بن أبي طالب في قوله: «الألف حرف يهوي في الفم، حتى ينقطع مخرجه في الحلق».[7]

---

[1] - الرعاية ص 110.
[2] - الموضح ص 54.
[3] - ينظر التحديد ص 110.
[4] - الموضح ص 58.
[5] - الرعاية ص 134.
[6] - ينظر التحديد ص 110.
[7] - الرعاية ص 134.

الحروف الممدودة

ويلقبها مكي بن أبي طالب بحروف المدّ واللين[1]، وهي عند القرطبي(ت 461هـ) المصوتة: «وإنّما سميت مصوتة لأن النطق بهنّ يصوت أكثر من تصويته بغيرهنّ، لاتساع مخارجهنّ وامتداد الصّوت بهن». [2]

ويتفق كل من الداني(ت 444هـ) ومكي بن أبي طالب والقرطبي(ت 461هـ) على أنها ثلاثة أحرف، وهي عند الداني(ت 444هـ) والقرطبي(ت 461هـ) الياء والواو والألف. [3] ويصف مكي بن أبي طالب حروف المدّ موضحا، وهي الألف، والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة. [4]

وهذا التبيين يفسر لقب المدّ إذ يتوجب أن تكون هذه الحروف بحركات من جنسها وإلا أصبحت الواو والياء من المدّ إلى اللين، وعلة التسمية عند الداني(ت 444هـ) هو امتداد الصوت بها بعد إخراجها[5] ،« ولأن مدّ الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلاّ فيهن ...ولأنهن في أنفسهن مدّات»[6] ، ولأن المدّ أيضا في الألف أكثر من ذاك الذي في الواو والياء[7].

ويبدو أن الداني(ت 444هـ) قد تنبه إلى تشارك أعضاء أخرى كاللسان والشفتين في أصوات المد، يقول: « إلا أن المد الذي في الألف أكثر من المد الذي في الياء والواو، لأن اتساع الصوت بمخرج الألف أشدّ من اتساعه لهما، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع لسانك قبل الحنك في الياء»[8] ، وهذا رأي القرطبي(ت 461هـ) أيضا في مخارج هذه الحروف[9].

---

[1] - ينظر الرعاية ص 101.
[2] - الموضح ص 56.
[3] - ينظر التحديد ص 109والموضح ص 56.
[4] - ينظر الرعاية ص 101.
[5] - التحديد ص 109.
[6] - الرعاية ص 101.
[7] - ينظر التحديد ص 109.
[8] - التحديد ص 109.
[9] - ينظر الموضح ص 50.

حرفا اللين

سبب هذا اللقب عند مكي بن أبي طالب هو انسلالهما عند النطق انسلالا بغير تكلف، وخروجهن بيسر من غير كلفة على اللسان واللهوات بخلاف سائر الحروف.[1] أما الداني(ت 444هـ) فيربط اللين بالضعف والخفاء حيث يقول: «وتسمى أيضا حروف اللين لضعفها وخفائها»[2]، كما ذكر حروف اللين مع الحروف الممدودة وأن الحركات مأخوذة منها، واعتبار الداني(ت 444هـ) الحركات مأخوذة من هذه الحروف يجعل حروف المدّ واللين متساوية بل متطابقة إذ يقول أن «الفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو».[3]

أما مكي بن أبي طالب فيفصل بين المدّ واللين، ويجعل حرفا اللين ناقصة عن الألف لتغير الحركة التي قبلها، «فنقصتا المد في الألف، وبقي فيها اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين».[4]

الحروف الهوائية

هي صفة لحروف المدّ واللين، وسميت كذلك، لنسبتهن إلى الهواء[5] «لأن كل واحدة منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم، فعمدة خروجها في هواء الفم»[6]، ويعد الألف الأصل لأنه أمكن في هواء الفم.[7] ولهذا وصف القرطبي(ت 461هـ) الواو بالمتصل، وذلك لاتصاله بمخرج الألف، واثبات الألف في الخط بعد الواو، يقول: «وأما المتصل: فالواو، وذلك أنّ الواو تهوي في الفم لما فيها من اللين حتى تتصل بمخرج الألف، وكذلك تكتب بعدها الألف».[8]

[1] - ينظر الرعاية ص 101.
[2] - التحديد ص 109.
[3] - التحديد ص 109.
[4] - الرعاية ص 102.
[5] - الرعاية ص 102.
[6] - الرعاية ص 102.
[7] - ينظر الرعاية ص 113.
[8] - الموضح ص 54.

وهذا ما أكده مكي بن أبي طالب[1] الذي اعتمد على صفة الهوائية لتحديد طبيعة إصدار هذه الأصوات التي لا تعتمد في رأيه على أجزاء معينة ومحددة في جهاز النطق وبخاصة في الفم، وهو عكس ما أثبتناه سابقا في مخارج الصوائت عند المحدثين، وكذا عند الداني(ت 444هـ) في مخرج الواو والياء في الحروف الممدودة وحرفا اللين، يقول مكي بن أبي طالب: «والألف أمكن في هواء الفم عند خروجها من الواو والياء إذ لا يعتمد اللسان عند النطق بها على موضع من الفم».[2]

فيصور بساطة إخراجها دون حاجز إذ يمتد امتدادا ظاهرا بفتح الفم إلى انقطاعها في الحلق، ويذكر ذلك في قوله: «ألا ترى أن النطق بهذه الحروف إنما هو فتح الفم أو ضمه بصوت ممتد أو غير ممتد حتى ينقطع مخرجه في الحلق، وأصل ذلك الألف».[3]

الحروف الخفية

هي أربعة حروف متفق عليها، الهاء وحروف المدّ واللين[4]، وسبب التسمية أنها «تخفي في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها»[5]، مما يجعل صفة الخفاء صفة في التركيب لهذه الحروف، إذ لا تظهر إلا في لفظ تركيبيّ، ويؤكد ذلك ما ذكره مكي بن أبي طالب في قوله: «وإنما لفظها في هذا خفيّ بين حرفين، أو بعد حرف أو حروف(هواء) ».[6]

أما القرطبي(ت 461هـ) فيجعل صفة الخفاء مساوية لصفة الهوائية إلا أنه أضاف إليها الهاء وكذا النون بشروط، إذ يرى أن صفة الخفاء تكمن في اتساع مخارجها وعدم إشراك اللسان فيها، وهذا قوله: «وأما الخفية: فالهاء والألف، والياء، والواو،وذلك لاتساع مخرجهنّ وأوسعهن مخرجا الألف لأنه لا علاج على اللسان فيها كالنفس، ثم الهاء، ثم الياء، ثم الواو، ومما يشرك هذه الحروف في الخفاء، النون إذا سكنت في غير إظهار ولا

---

[1] - ينظر الرعاية ص 113.
[2] - الرعاية ص 102.
[3] - الرعاية ص 102.
[4] - ينظر الرعاية ص 102والموضح ص 55. ويقول القيسي: «حروف المد واللين، هي ثلاثة أحرف:الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة».الرعاية ص 101.
[5] - الرعاية ص 102.
[6] - الرعاية ص 102.

إدغام ولا قلب».[1] ولم يبين القرطبي(ت 461هـ) سبب خفاء الهاء الذي يقف عنده مكي بن أبي طالب فيوضحه في قوله أن خفاء الهاء جعلت العرب تحوي الهاء بالزوائد، كما لم تعتبرها حاجزا في حذف الواو أو الياء بعدها إذ اثبت ما قبلها ساكنا، وذلك لعلة التقاء الساكنين.[2]

وللخفاء درجات أقواها في الألف، « والألف أخفى هذه الحروف»[3] ، وذلك بسبب مخرجها ثم ثباتها في التركيب، فالألف لا تحمل حركة ولا تتغير حركة ما قبلها، فهي ساكنة على الدوام متصلة بما قبلها، فهي مدّة ولا تكون لينا أبدا.[4] ولا ينسب مكي بن أبي طالب الخفاء إلى النون والهمزة لكنه نسب هذا الرأي لبعض العلماء دون تحديد شروط ذلك أو مناقشته.[5]

حروف العلة

يقول مكي بن أبي طالب بأنها أربعة حروف[6]، إضافة إلى حروف المدّ واللين والهمزة[7]، وهي الحروف الممدودة أو المخفية بإضافة الهمزة، وسبب تسمية العلة، «لأن التغيير والعلة والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها»[8]، وإدخال الهمزة في مجموعة حروف العلة من باب القلب الذي يحدث في الياء والواو إلى الألف والهمزة، نحو: كال وقال، وشفاء ودعاء، وقلب الهمزة ياء أو واوا وألفا: نحو: راس، وبوس وبير.[9] ويشير مكي بن أبي طالب إلى إدخال الهاء مع هذه المجموعة عند البعض ولعل القصد هو قلب الهاء همزة، وليس اعتبارها من المجموعة السابقة، يقول: «وقد ادخل قوم في هذه الحروف الهاء، لأنها تنقلب همزة في ماء وأيهات، لأن أصله: ماه وهيهات، وشبهه».[10]

[1]- الموضح ص 54.
[2] - ينظر الرعاية ص 103.
[3] - الرعاية ص 103.
[4] - ينظر الرعاية ص 103.
[5] - ينظر الرعاية ص 103.
[6] - يقول القيسي: «حروف العلة وهي أربعة، الهمزة، وحروف المد، واللين الثلاثة المتقدمة الذكر». الرعايةص 103.
[7] - ينظر الرعاية ص 103.
[8] - الرعاية ص 103.
[9] - ينظر الرعاية ص 103.
[10] - الرعاية ص 104.

فالمتمعن في تعليل مكي بن أبي طالب سيرى أن العلة فعلا هو القلب والتغيير، لكن القرطبي(ت 461هـ) يرى العلة من حيث الصحة في الحروف واعتلالها، يقول: «وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتلال فجميع الحروف صحيح إلا الألف والياء والواو، اللواتي هنّ حروف المدّ واللين»[1] ، ولم يعط علة واضحة لاختصاص هذه الحروف بالاعتلال دون غيرها، إلا في تفسير كيفية خروجها في قوله: «إلا أن الألف أشدّ امتدادا وأوسع مخرجا من الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع لسانك في الياء قبل الحنك».[2]

حروف الإبدال

ويسميها القرطبي(ت 461هـ) حروف البدل[3] ، وعددها اثنا عشر حرفا يجمعها قولنا: «طال يوم أنجدته».[4] والإبدال معناه تغير وتبدل بحرف غيرها وفق لشروط سماعيّة، لكنها ذات تعليلات وتفسيرات صوتية صرفية، يقول مكي بن أبي طالب: «فلم يأت في السماع من العرب حرف يكون بدلا من غيره إلا من أحد هذه الإثني عشر حرفا».[5] أما القرطبي(ت 461هـ) فقد ربط حروف البدل بحروف الزيادة في كونها لا تدخل في باب اللفظ بها فذكرها معها، إذ هما من باب اختصاص بنية اللفظة الأصلية، «هذه المزّية التي لهذه الحروف، أعني بالمزّية اختصاصها بالإبدال والزيادة لا تعلق لها باللفظ، فمن حقها أن لا تذكرها هنا، إلا أنا أوردتاها لتكون القسمة شاملة ملة حاضرة».[6] وخص القرطبي(ت 461هـ) البدل في كون لا يتم بالإدغام «وإنما المراد البدل من غير إدغام».[7]

---

[1] - الموضح ص 49.
[2] - الموضح ص 50.
[3] - ينظر الموضح ص 50.
[4] - الموضح ص 50 والرعاية ص 97.
[5] - الرعاية ص 98.
[6] - الموضح ص 51.
[7] - الموضح ص 50.

ونخلص هنا إلى أن حروف الألف والواو والياء، قد استحوذت على مجموعة من الصفات المتكررة، مما جعل بعضها يتداخل في صفات أخرى، كالهاوي والمتصل في الحروف الممدودة والهوائية، وحروف اللين مع الحروف الخفية وحروف العلة.

الحروف الزوائد

وعددها عشرة حروف يجمعها قولنا: "سألتمونيها"[1] أو "هويت السّمان"[2] أو "اليوم تنساه"[3]. وحروف الزيادة لا تقع إلا زائدة دون غيرها في كلام العرب سواء كان فعلا أم اسما، و تكون في الفعل زوائد من حرف إلى ثلاثة حروف، وهي المصادر قد تكون أربعة وبذلك يتغير ميزانها، فيتغير معاني الأفعال والأسماء. فهذه الحروف الزائدة تغير معاني.[4]

ويقف مكي بن أبي طالب عند الألف فيضعه في خانة منفردة ضمن حروف الزيادة لأن كل حروف الزيادة تقع أصولا في الكلمات كفاء للفعل أو عينه أو لامه إلا الألف، فلا يكون أصلا إلا منقلبا عن حرف آخر[5] ، فالألف لا يكون إلا ساكنا ومن ثم لا يمكنه أن يكون إلا زائدا، إلاّ أن يكون منقلبا من حرف آخر، ولا يكون ما قبله إلاّ مفتوحا مما يجعله عندها مدّا.

الحروف المذبذبة

وهي عند القيسي الحروف الزوائد لأنها مرة تكون زائدة وأخرى أصولا.[6]

الحروف الأصلية

---

[1] - ينظر الرعاية ص 96.
[2] - ينظر الموضح ص 50.
[3] - ينظر الموضح ص 50.
[4] - ينظر الرعاية ص 96.
[5] - ينظر الرعاية ص 96 و 73.
[6] - ينظر الرعاية ص 97.

ويسميها القرطبي(ت 461هـ) الأصل[1]، وهي ما سوى الزائدة وعددها تسعة عشر حرفا ولا تقع إلاّ أصلا في كلام العرب، إما فاء الفعل أو عينه أو لامه.[2]

حروف القلقلة

هي خمسة حروف يجمعها قولنا: جد بطق[3]، وعلة وصفها بذلك « إذا وقف عليها لم يستطع أن يقف دون الصويت، وذلك قولك: الخرق...».[4] فحروف القلقلة «الجيم والطاء والدال والقاف والباء، حكاها سيبويه(ت 180هـ)، قال: وإنما سميت بذلك للصوت الذي يحدث عنها عند الوقف لأنك لا تستطيع أن تقف عنده إلا معه لشدة ضغط الحرف».[5]

فالقلقلة ظهور صويت عند الوقف، ويسميه مكي بن أبي طالب بشبه النبرة[6] إذ يقول: «وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن، وإرادة إتمام النطق بهن».[7]

ووصفها المبرد بالنبرة صراحة، وخصها بمعنى القلقلة، يقول : «واعلم أن من الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة».[8]

ويضيف المبرد حرف الكاف إلى حروف القلقلة في قوله: «فمنها القاف والكاف، إلاّ أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشدّ».[9] وإلى هذا أشار القرطبي(ت 461هـ) في نصه: «وبعضهم يضيف الكاف إلى حروف القلقلة»[10]، وينفي القرطبي(ت 461هـ) عن نفسه ذلك إلاّ أنه يركز على صفة الحصر الموجودة في الكاف والقاف معا وأنها في هذه أشد، يقول: «ولا ينعد منها إلاّ أنّ الكاف دون القاف في الحصر».[11]

---

[1] - ينظر الموضح ص 50.
[2] - ينظر الرعاية ص 97.
[3] - ينظر الرعاية ص 51.
[4] - التحديد ص 111.
[5] - اللسان 14/86.
[6] - ينظر الرعاية ص 100.
[7] - الرعاية ص 100.
[8] - المقتضب 1/196.
[9] - المقتضب ص 196.
[10] - الموضح ص 52.
[11] - الموضح ص 52.

يؤكد هذا ما ذهب إليه علماء التجويد المتأخرين من أن حروف القلقلة يشترط فيها الشدّة والجهر[1]، وإذا صح ذلك فالكاف ليست مجهورة، لكنها شديدة، وقد نفهم من قول القرطبي(ت 461هـ) أن الشدّة وحدها لا تكفي لأن تكون من الحروف المقلقلة، فإن كان هذا شرط القلقلة فلماذا لم تنضم إليها الهمزة، يفسر ذلك ابن الجزري في كونها تخفف حالة السكون، ثم لما يعتريها من إعلال[2] ، ولعل ما جاء على لسان المرعشي أقرب إلى الصحة في كون العلماء أخرجوا الهمزة عن القلقلة لسبب ما ورد في الرعاية من أن في الهمزة التهوع والسعلة، فوجب إخفاء الشدة فيها وإعدام القلقلة.[3]

ولهذا أضاف صاحب الرعاية مكي بن أبي طالب على ذلك، وجوب الترفق في نبرة الهمزة دون التعسف فيها لأن ذلك قد ينفر من سماعها ويشين الناطق بها، يقول: «فيجب على القارئ أن لا يتكلف في الهمزة ما يقبح من ظهور شدّة النبر بنبرة الصوت، وأن يلفظ بالهمز مع النفس لفظا مهملا».[4]

وينسب ابن الجزري إلى سيبويه(ت 180هـ) أنه أضاف الثاء إلى حروف القلقلة وهي مهموسة، يقول: «وذكر سيبويه(ت 180هـ) معها التاء مع أنها المهموسة وذكر لها نفخا وهو قوي في الاختيار»[5]، لكننا لم نجد ذكر الثاء مع كل الحروف المشربة عند سيبويه(ت 180هـ) سواء في القلقلة أم ذات النفخ أو التي لا تسمع صوتا.[6]

وتنسب تسمية القلقلة عند البعض إلى القاف: «وقيل: أصل هذه الصفة للقاف، لأنه حرف ضغط عن موضعه فلا يقدر على الوقف عليه، إلا مع صوت زائد لشدة ضغطه واستعلائه».[7]

---

[1] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 304و 307، والمصطلح الصوتي ص 155.

[2] - ينظر النشر 1/203.
[3] - ينظر الدراسات الصوتية ص 305 نقلا عن جهد المقل للمرعشي.
[4] - الرعاية ص 120.
[5] - النشر 1/202.
[6] - ينظر الكتاب 1/174 وما بعدها.
[7] - الرعاية ص 100.

أما القرطبي(ت 461هـ) فقد ركز على ذاك الصوت المصاحب للوقف بالحروف، فجعل حديثه عن حروف القلقلة بعد الحرف المكرر الراء إذ ذكر أن التكرار يتضح ويظهر أكثر حين الوقوف عليها.[1] وهذا لب ما بنى عليه المحدثون تفسيرهم للقلقلة بأنها صويت يظهر عند النطق بها «فالقلقلة إذن هي إضافة صويت إلى أصوات "قطب جد" أثناء الوقوف عليها في حالة السكون، ويظهر هذا الصويت على شكل انفجار من الفم».[2]

وحروف القلقلة عنده «تحفز عند الوقف، وتضغط في مواضعها».[3] وقد تبنى القرطبي(ت 461هـ) رأي ووصف سيبويه(ت 180هـ)، في كون حروف القلقلة لا يمكن الوقوف عليها «إلاّ بصوت ينبو معه اللسان عن موضعه»[4]، وذلك لشدة الضغط والحفز، نحو: الحق واضغط واذهب.[5]

ويعد سيبويه(ت 180هـ) هذه الحروف ضمن الحروف المشربة، يقول: «واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها... وهي حروف القلقلة».[6] وهذا ما ذهب إليه الداني(ت 444هـ) في قوله: «ومن الحروف حروف مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقف عليها خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن مواضعه، وهي خمسة أحرف...وتسمى هذه الحروف حروف القلقلة».[7]

لكن القرطبي(ت 461هـ) يفصل بينهما، فالمشربة أو المشوبة صنف آخر من الحروف، والرابط بينها وبين القلقلة ذاك النفخ المخارج عند الوقف عليها المختلف عن الصوت الظاهر في الوقف على القلقلة، إذ يمكن أن يكون ذا وضوح وعلو أكبر، بدليل

---

[1] - الموضح ص 51.
[2]- المصطلح الصوتي عند علماء العربية، عبد القادر مرعي الخليل(ت 175هـ) ص 122.
[3] - الموضح ص 51.
[4] - الكتاب 4/174.
[5] - ينظر الموضح ص 52.
[6] - الكتاب 4/174.
[7] - التحديد ص 111.

وصف مكي بن أبي طالب له بالنبر. ووصف القرطبي(ت 461هـ) بعض العرب أنهم أشد تصويتا بها.[1]

ولعل هذا ما قصده الخليل(ت 175هـ) حين قال أن القلقلة شدّة الصياح[2]، والقلقلة شدة الصوت[3]، فقد ورد في اللسان أن القلقلة من «قلقل أي صوت...وفي الحديث "ونفسه تقلقل في صدره" أي تتحرك بصوت شديد، وأصله الحركة والاضطراب والقلقلة شدة الصياح...والقلقلة شدة اضطراب الشيء وتحركه».[4] وهذا ما يفسر وجود درجات في القلقلة نفسها والمنسوبة أصلا إلى القاف، إذ «القاف أبينها صوتا في الوقف لقربها من الحلق، وقوتها في الاستعلاء».[5]

الحروف المشربة

يعد القرطبي(ت 461هـ) الحروف المشربة أو المشوبة حروفا يخرج معها نفخ، ولم تضغط ضغط الأولى[6]، وهذا وصف يطابق القلقلة، ويبقى رأي القرطبي(ت 461هـ) امتدادا وتطابقا لما ذكره سيبويه(ت 180هـ) الذي يقول: «ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى، وهي الزاي، والظاء، والذال، والضاد».[7]

واستعمل الدارسون المحدثون مثل عبد العزيز الصيغ لفظ "النفخ" في وصف الحروف المشربة، وأسندوا الوصف فيها إلى سيبويه(ت 180هـ)[8]، وهي الزاي والظاء والذال والضاد.[9] ويوضح سيبويه(ت 180هـ) هذه النفخة بأنها ذاك الأثر السمعي الواقع

---

[1] - ينظر الموضح ص 52.
[2] - ينظر الرعاية ص 100.
[3] - ينظر الرعاية ص 100.
[4] - اللسان 14/85.
[5] - الرعاية ص 100.
[6] - ينظر الموضح ص 52.
[7] - الكتاب 1/174.
[8] - ينظر المصطلح الصوتي ص 174.
[9] - ينظر الكتاب 1/174 والموضح ص 52.

عند الوقف على هذه الحروف، يقول : «لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذا، فتسمع نحو: النفخة».[1]

وانطلاقا من هذا التعريف وحسب سيبويه(ت 180هـ) فإن هذه الحروف يصاحبها صوت الصدر، مما يدل على أن هذه النفخة لها علاقة بصفة الجهر، بدليل أن القرطبي(ت 461هـ) وصف ما يخرج مع حروف الهمس بالنفس وليس بالنفخ، يقول: «فأما حروف الهمس فإن الذي يخرج معها نفس وليس من الصدر، وإنما يخرج منسلا، وليس كنفخ الزاي والظاء...»[2]، إلا أن هذا النفس سماه سيبويه(ت 180هـ) نفخا وهو القائل: «وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر، وإنما تنسلّ معه....لأن النفس تسمعه كالنفخ».[3]

وشرط ظهور هذا النفخ أو النبر في القلقلة هو الوقف، ويراه أحدّ الدارسين في حالة السكون، «وليس الوقف الذي هو ضد الوصل».[4] لكن سيبويه(ت 180هـ) ربط ظهور النفخ أو الصوت بالوقف لا الوصل، ففي هذه لا يظهر، يقول سيبويه(ت 180هـ): «واعلم أن هذه الحروف التي يسمع معها الصوت والنفخة في الوقف، لا يكونان فيهن في الوصل إذا سكن، لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك، ولا يقتم الصوت حتى تبتدئ صوتا.... وذلك قولك: أيقظ عميرا، وأخرج خاتما...».[5]

وهذا ظاهر واضح ومبسط عند القرطبي(ت 461هـ) الذي يجمع كل تلك الحروف تحت صفة الإسماع في الوقف وإن شرط ذلك هو عدم وصلها، إذ يظهر الصوت ويبرز. أما في حالة «وصلتها وأدرجتها، فإنك لا تحسّ شيئا من ذلك أخذك في صوت آخر

[1] - الكتاب 1/174.
[2] - الموضح ص 52.
[3] - الكتاب 1/175.
[4] - المصطلح الصوتي ص 156.
[5] - الكتاب 1/175.

وتأهبك لحرف سوى الأول قد حال بينك وبين التّلبث والاستراحة وشغلك عن إتباع الحرف الأول صوتا».[1]

ومن الحروف المشربة ما لا يسمع لا صوتا ولا نفخا إذ لم يضغط ولم يجد منفذا، وهي الهمزة، والعين والغين واللام والنون والميم.[2] وهذا ما رامه سيبويه(ت 180هـ)، وجعل هذه الحروف هي المجموعة الثالثة من الحروف المشربة، لقوله: «ومنها حروف مشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئا مما ذكرنا، لأنها لم تضغط ضغط القاف، ولا تجد منفذا كما وجد في الحروف الأربعة»[3]، وهي الهمزة، والعين، والغين واللام والنون والميم.[4]

أما مكي بن أبي طالب فله رأي آخر في معنى الحروف المشربة إذ يقابلها بالمخالطة[5]، ويأتي هذا المعنى مطابقا للمعنى اللغوي الذي جاء في لسان العرب في كون المشربة من «أشربنا عطشنا أو عطشت إبلنا، وقوله: اسقني فإنني مشرب رواه ابن الأعرابي وفسره بأن معناه عطشان»[6]، ومنه ما ورد في التهذيب أن المشرب العطشان.[7] فالإشراب بمعنى الخصاصة من شيء الملزم إتمامه بشيء آخر من غير جنسه، فالمشرب ينقصه الماء. وبمعنى المخالطة الواردة عند القيسي نجد « أشرب اللون أشبعه، وكل لون خالط لونا آخر»[8]، ومنه فالإشراب هو لون «أشرب من لون يقال أشرب الأبيض حمرة».[9] وبالجمع بين العطش والخلط يكون الإشراب «خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقي اللون الآخر».[10]

---

[1] - الموضح ص 53.
[2] - ينظر الموضح ص 52.
[3] - الكتاب 1/175.
[4] - ينظر الموضح ص 52.
[5] - ينظر الرعاية ص 105.
[6] - اللسان 1/474.
[7] - ينظر اللسان 1/474.
[8] - اللسان 1/473.
[9] - اللسان 1/473.
[10] - اللسان 1/474.

وعند القيسي حروف الإشراب هي «الحروف الستة التي ذكرنا أن العرب اتسعت فزادتها على التسعة والعشرين، الحروف المستعملة، نحو الصاد بين الصاد والزاي، وهمزة بين بين، وشبه ذلك، فهي مشربة بغيرها وهي مخالطة لأن غيرها يخالطها في اللفظ»[1]، فهي حروف فرعية[2]، مستحسنة لكن لا صور لها، وهي أصوات موجودة أصلا في الحروف التسعة والعشرين لكن أضيف لها صفة فكانت صوتا آخر متفرعا عن الأصل دون أن يطابقه.

حروف التفخيم

يذكر سيبويه(ت 180هـ) أن التفخيم لغة أهل الحجاز[3]، وحروفه هي حروف الإطباق، الصاد والضاد والظاء والطاء لأنه « يتفخم اللفظ بها لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك»[4]، فالإطباق عند مكي بن أبي طالب يعطي التفخيم، وهو علة في ذلك، شأنه شأن الاستعلاء الذي ينتج عنه التفخيم أيضا، وكذلك لأنه ملازم لحروف الإطباق، وهذا ما يراه القرطبي(ت 461هـ) في كون التفخيم حصر للصوت بين اللسان والحنك نظير الاستعلاء والإطباق.[5]

ومع حروف الإطباق، حروف تفخم أيضا في التركيب وليس في نفسها، وهذا يفهم من قول مكي بن أبي طالب «... ومثلها "حروف الإطباق" في التفخيم في كثير من الكلام: الراء واللام والألف...»[6]، فلا غرابة أن تذكر الراء مع حروف الإمالة وحروف التفخيم، فهو حرف ينسجم مع الأصوات السابقة واللاحقة، فلا التفخيم ولا الإمالة من صفاته، وإنما هي صفات يكتسبها داخل البنية التي ينتمي إليها. ويذكر عبد العزيزالصيغ « ومن الغريب أن (الرّاء) ذكر أيضا مع أصول التفخيم»[7]، ويفسر ذلك على خلفية ما ذكر سيبويه(ت 18 0هـ) كون الراء بعد الألف ولم تكن مكسورة كانت مفخمة مانعة للإمالة، أما إن كانت

[1] - الرعاية ص 106.
[2] - ينظر الموضح ص 38.
[3] - ينظر الكتاب 4/432.
[4] - الرعاية ص 104.
[5] - ينظر الموضح ص 70.
[6] - الرعاية ص 104.
[7] - المصطلح الصوتي ص 259.

مكسورة أميلت.[1] وهو حكم قضى به ابن الجزري، إذ أكد أن «الحروف المستعلية كلها مفخمة لا يستثنى شيء منها في حال من الأحوال»[2] ، وهذا ما توصل إليه المحدثون إذ وجدوا بين الإطباق والاستعلاء والتفخيم، فهم من واد واحد.[3]

وبهذا تكون حروف الإطباق مفخمة أصلا في الإفراد، وقد ربط علماء التجويد المتأخرين بينها لقول المرعشي: «اعلم أن التفخيم لازم الاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الإطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء...».[4]
والعلاقة بينها طردية فكلما كان الإطباق والاستعلاء قويا كان التفخيم ظاهرا وواضحا «وبالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والإطباق».[5] وهو حكم قضى به ابن الجزري، إذ أكد أن «الحروف المستعلية كلها مفخمة لا يستثنى شيء منها في حال من الأحوال»[6] ، وهذا ما توصل إليه المحدثون أمثال عبد العزيز الصيغ إذ وجدوا بين الإطباق والاستعلاء والتفخيم نسب، فهم من واد واحد.[7]

وللتفخيم مصطلحات تطابقها استعملت لمعناها ومن أهمها التغليظ، وقد استعمله القرطبي(ت 461هـ) في الموضح «حروف الترقيق والتغليظ والاستعلاء والإطباق»[8]، واستعمل الداني(ت 444هـ) لفظ التغليظ أيضا: «...وقد روى المصريون عن ورش عن نافع تغليظها... والقراء بعد يرققونها من غير إفحاش».[9]

ويعطي الدارسون المحدثون حقيقتان مهمتان حول التفخيم، الأولى كونها أثر سمعي، والثانية كون بعض أحكامه ناشئة عن التركيب، وكلا الحقيقتان مهمتان في فهم

[1] - ينظر الكتاب 4/136
[2] - النشر 1/215.
[3] - ينظر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ص 177والمصطلح الصوتي ص 148.
[4]- جهد المقل للمرعشي نقلا عن الدراسة الصوتية ص 477.
[5] - جهد المقل للمرعشي نقلا عن الدراسة الصوتية ص 477.
[6] - النشر 1/215.
[7] - ينظر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ص 177والمصطلح الصوتي ص 148.
[8] - الموضح ص 71.
[9] - التحديد ص 162.

التفخيم الذي يعد أثرا سمعيا ناشئا عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت[1]. أما الثانية، فهي أن «الإطباق والاستعلاء وضداهما من صفات الأصوات اللازمة، وهي تورث موصوفها التفخيم، لكن بعض الأصوات يلحقها التفخيم أو الترقيق حين تجاور أصواتا أخرى»[2] ، وهي الراء واللام والألف، وقد جعلها مكي بن أبي طالب شبيهة بحروف الإطباق المفخمة، لقوله: «ومثلها في التفخيم في كثير من الكلام: الراء واللام والألف، نحو: ربكم ورحيم والصلاة والطلاق، في قراءة ورش».[3]

أما التفخيم في اللام عند مكي بن أبي طالب، فقد قصر الحديث فيها عن اللام في اسم الجلالة دون إفاضة، يقول: «والتفخيم لازم لاسم الله عز وجل – جل ذكره- إذا كان قبله فتح أو ضم، نحو: قال الله، ويعلم الله، وشبهه، ولا تفخم اللام من قال، إنما التفخيم في اللام المشددة من اسم الله تبارك اسمه ذو الجلالة والإكرام».[4] كما جعل اللام تابعة للراء في التفخيم وقابلة للترقيق، يقول: «وقد تأتي اللام مفخمة لقربها من الراء».[5]

والتفخيم درجات عند مكي بن أبي طالب، فهو في الراء أقوى وأظهر« والتفخيم في اللام أقل منه في الراء».[6]

أما القرطبي(ت 461هـ) في كتابه الموضح فقد قابل بين حالة الراء واللام في التفخيم والترقيق، وفصل في كل حالة أسباب ذلك ودواعيه، يقول: «وهذا حكم وافقت الراء فيه اللام فإنها ترقّ في حال وتفخم في أخرى، والمقتضى للرقة فيها الكسر حسب اقتضائه للترقيق في الراء وللإمالة في الألف».[7] من هنا يرى القرطبي(ت 461هـ) أن الاستعلاء ومن تم الإطباق يقابل الإمالة والترقيق، يقول: «ولهذا أثر الاستعلاء في الإمالة والترقيق فمنعهما لأنه ضد».[8]

---

[1] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 477.
[2] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 477.
[3] - الرعاية ص 104
[4] - الرعاية ص 104
[5] - الرعاية ص 162
[6] - الرعاية ص 162
[7] - الموضح ص 70.
[8] - الموضح ص 70.

ويعطي القرطبي(ت 461هـ) الفرق بين الاستعلاء والإطباق وبين الترقيق والتفخيم في كون الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها وكذلك الإطباق، «بخلاف الترقيق والتغليظ، فإنهما يتعاقبان على الراء واللام كالإمالة والتفخيم في الألف».[1] لقد بنى القرطبي(ت 461هـ) في قوله المقابلة بين الإمالة والتفخيم، وقد جاء في اللسان أن «التفخيم في الحروف ضدّ الإمالة».[2]

وقد ناقش هذا المفهوم عبد العزيز الصيغ وتوصل إلى أن التفخيم في عصر ابن منظور كان يدل دلالة مؤكدة على معنى ضدّ الإمالة[3]، إلا أن هذا المعنى لابد وأنه كان في الألف دون اللام والراء كما هو وارد في نص القرطبي(ت 461هـ) السابق، ويؤكده قوله: «والفرق بين الألف وحروف الترقيق والتغليظ والاستعلاء والإطباق أن هذه الأشياء يتغير بها ذات الحرف بخلاف الألف فإنها تتغير بتغير الحركة قبلها، أعني في الإمالة والتفخيم».[4] وهذا يدل دلالة واضحة أن التفخيم في الألف غيره في الراء واللام. وبالمقابل يذكر سيبويه(ت 180هـ) الألف التي تمال إمالة شديدة.[5]

وإن كنا لا نصادف عند سيبويه(ت 180هـ) ما يدل على تقابل ألف التفخيم مع الإمالة، فإن عند ابن جني نجد الفرق بين ألف الإمالة وألف التفخيم، فالأولى تقع في النطق بين الألف والياء والثانية بين الألف والواو، والتقابل بينهما واضح في قوله: «وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم:سلام عليكم...وعلى هذا كتبوا: الصلاة...بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا: احديها وسوّيهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة».[6]

---

[1] - الموضح ص 70و 71.
[2] - اللسان 15/347.
[3] - المصطلح الصوتي ص 146.
[4] - الموضح ص 71.
[5] - ينظر الكتاب 4/432.
[6] - سر الصناعة 1/50.

فألف التفخيم هي إمالة إلى الضم، والإمالة إمالة إلى الياء، ويذكر المبرد أيضا ألف التفخيم بعد ألف الإمالة، وكأنهما متقابلان، فيقول: «...الهمزة بين بين، فالألف الممالة ، وألف التفخيم...».[1]

ولم يستعمل مكي بن أبي طالب الترقيق، وإنما أورد بعد حروف التفخيم حروف الإمالة، لكنه استعمل اللفظ مقابل التفخيم في حرف الراء وكيفية إخراج العرب له، فقال: «والراء حرف اتسعت فيه العرب، فأخرجته في اللفظ مرة مرققا، كما تلفظ به في الحكاية.... وأخرجته مرة مفخما....»[2]، فكان الراء عنده مفخما ومرققا مثبتا إذ يذكره مع حروف التفخيم. كما استعمل لفظ "غير مغلظ"، لقوله: «وأكثر ما يقع لفظ اللام مرققا غير مغلظ».[3]

الإمالة

من الميل، وهو العدول عن الشيء والإقبال عليه.[4] و يحتاج الحديث عن الإمالة إلى مؤلفات كاملة تبرز مكانتها في اللهجات العربية ودورها في التناغم الصوتي في الكلام العربي، وقد أكد ذلك مالك محمد من خلال بحثه: «يتضح مما سبق أن الإمالة تكسب الأداء نوعا من التجانس والتناسق وتجعل التوازن في حركات المدّ وكأنها تموجات، تزين المنظر، فلا يتعثر اللسان في الانتقال من وضعية إلى أخرى».[5]

عبر ابن جنيّ عن هذا التصور للإمالة قد في كونه صعود ثم نزول، يقول: «...ولو قلنا عالم فلم نمل، لكان النطق بكسرة اللام بعد إشباع الفتحة كالنزول في حدور من موضع عال، فأملنا فتحة العين لتصير الألف بين الياء والألف، فتقرب بذلك من كسرة اللام، فيكون ذلك كالنزول من موضع غير مفرط في العلوّ وهذا أخف من الانكسار بعد

[1] - المقتضب 1/194.
[2] - الرعاية ص 169.
[3] - الرعاية ص 162.
[4] - ينظر اللسان 14/159.
[5] - الإدغام عند سيبويه(ت 180هـ) وابن جنيّ، رسالة ماجستير، الطالب محمد مالك، جامعة وهران 2000-2001، ص 162.

إشباع الفتحة».[1] من هنا عدّ ابن جني الإمالة من الإدغام الأصغر الذي هو «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك. وهو ضروب»[2]، ومن ضروبه الإمالة التي هي تقريب صوت من صوت، يقول: «فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت».[3]

وأورد الداني(ت 444هـ) أن الإمالة « تقع في الحركة دون الحرف إذا كانت لعلة أوجبتها»[4]، في حين يرى مكي بن أبي طالب القيسي أن الإمالة «أن تميل الفتحة نحو الكسرة، وتميل الألف نحو الياء».[5] كما قابل القيسي الإمالة بالفتح في لغات العرب كما قابل مصطلح الهمز بمصطلح التخفيف، يقول:«... فقوم جرت عادتهم بالهمز، وقوم بالتخفيف، وقوم بالفتح وقوم بالإمالة».[6]

وبهذا تكون الإمالة كالتفخيم ظاهرة نطقية سمعية لا تثبت كتابة مما يجعل رصدها وكيفيتها تحتاج إلى الكثير من الدّقة والبحث والتحري. خاصة وأنها سمة لهجية، إذ تنسب لبعض العرب دون البعض فأهل الحجاز لا يميلون لما ورد عن علماء اللغة.[7] وجعلها مكي ابن أبي طالب صفتها في ثلاثة حروف هي الألف، والراء، وهاء التأنيث.[8] وعلة ذلك أن «الإمالة في كلام العرب لا تكون إلا فيها».[9]

ويرصد مكي بن أبي طالب قواعد للإمالة بقوله:

- أن إمالة الألف وهاء التأنيث لا تكون إلا بإمالة الحرف الذي قبلها.[10] فإن اجتمعت حروف قبل الألف من الإمالة يمكن إمالة الألف فيها لوجود مانع كالاستعلاء، يقول

[1] - المنصف شرح الإمام أبو الفتح عثمان بن جنيّ النحوي لكتاب التصريف الإمام أبو عثمان المازني النحوي البصري، تحق/أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ط 1379،1هـ - 1960م، 1/42.

[2] - الخصائص أبو الفتح عثمان ابن جني، تحق محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان-2/141.

[3] - الخصائص 2/141.

[4] - التحديد ص 163.

[5] - الرعاية ص 105.

[6] - الإبانة ص 59.

[7] - ينظر المفصل 9/54.

[8] - ينظر الرعاية ص 104.

[9] - الرعاية ص 104.

[10] - ينظر الرعاية ص 105.

سيبويه(ت 180هـ): «وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى»[1]، وهي سبعة الصاد والضاد والطاء والعين والقاف والخاء.[2]

-لا تمال هاء التأنيث إلا في الوقف.[3] ويورد الداني(ت 444هـ) أن الكسائي كان يقف على هاء التأنيث وما ضارعها في اللفظ بإمالة...[4].

-إمالة الألف والراء يجوز في الوقف والوصل.[5] وتمال الراء بإمالة ما قبلها، لذا كانت الإمالة حركة لا حرفا، يقول: «وإذا أملت من أجل الراء، فلا بد من إمالة ما قبلها».[6]

-وتمال الألف أيضا بإمالة ما قبلها لأن حركتها تكون مفتوحة على الدوام لأن الألف ساكنة دوما لا تحمل حركة معينة فهي امتداد للحرف الذي قبلها، ويعبر مكي بن أبي طالب عن ذلك: « فإن كان ألفا فلا بد من إمالة ما قبل الألف، لأن الألف لا يصل إلى إمالتها إلا بإمالة ما قبلها»[7] ، بحيث تنحو بالألف نحو الياء بإمالة الفتحة التي قبلها إلى الكسرة أو الألف إلى ياء، ويعتمد ذلك على صفة الحروف ومرونتها إن كانت تقبل ذلك. ويخص مكي بن أبي طالب بعض قواعد الإمالة في مثال: «في دارهم أملت الألف لأجل كسرة الراء، وأملت فتحة الدال لأجل إمالة الألف، فالألف وهاء التأنيث يمالان في أنفسهما، ويمال ما قبلهما من أجلهما».[8] أما قاعدة الراء فيمال ما قبلها من أجلها إذا انكسرت وكان قبلها ألف، « وتمال هي من أجل غيرها، نحو ترى واشترى».[9]

والإمالة لها مصطلحات مقابلة يوردها ابن الجزري على أنها مطابقة للإمالة، يقول: « كالإضجاع، والبطح، والكسر - فيما يراه-، وبين اللفظين، والتقليل والتلطيف

---

[1] - الكتاب 4/129.
[2] - ينظر الكتاب 4/128.
[3] - ينظر الرعاية ص 105.
[4] - ينظر التسير ص 50.
[5] - ينظر الرعاية ص 105.
[6] - الرعاية ص 105.
[7] - الرعاية ص 105.
[8] - الرعاية ص 105.
[9] - الرعاية ص 105.

وبين بين».[1] وتعد هذه المصطلحات درجات في الإمالة لدى القراء عامة لأنهم معنيون أكثر من النحاة في وضع مصطلحات تحدد درجات الإمالة.[2]

ويقابل الفتح الإمالة، ويعرفه ابن الجزري بأنه «عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر ويقال له التفخيم وربما قيل له النصب».[3] ويعتبر الفتح أنواعا، ومما ذكره ابن الجزري فتح شديد،«فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في لغة العرب، وإنما يوجد في لفظ عجم الفرس ولا سيما أهل خرسان».[4]

وأثبت الداني(ت 444هـ) مصطلح الترقيق والإمالة باعتبار الأولى في الحرف دون الحركة، والثانية في الحركة دون الحرف، يقول: «قال أبو عمرو: والترقيق هو في الحرف دون الحركة، إذا كان صيغته، والإمالة في الحركة دون الحرف».[5] وهذا دليل على وعي علماء التجويد بطبيعة الإمالة وأن حدوثها في الحركات، ولا ينطبق عليهم ما أورده عبد العزيز الصيغ في قوله: «ولكن لما كانت الحركات تابعة للصوامت عند علماء العربية، فقد وصفوا الصوامت بالإمالة كما وصفوا الحركات وهو الأصل».[6]

الحرف الجرسي

هو عند القرطبي(ت 461هـ) الألف الساكنة، ومطابق للهاوي حيث يقول: «وأما الجرس: فالألف الساكنة لا تكون إلا كذلك، ويقال لها أيضا الهاوي، لأن الفم ينفتح لها فتخرج بالنفس مستطيلة، وتهوي في الفم إلى ما بين الهمزة والهاء من الحلق».[7] ويكون القرطبي(ت 461هـ) بهذا قد اتبع الخليل(ت 175هـ) في جعل الجرس تصويتا فقد وصف

[1] - النشر 2/30.

[2] - ينظر في الدّراسات القرآنية واللغوية-الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط 3، 1403هـ-1983م، ص 57.

[3] - النشر 2/29.

[4] - النشر 2/30.

[5] - التحديد ص 163.

[6] - المصطلح الصوتي ص 256.

[7] - الموضح ص 55.

به صوت الحكاية.[1] وجاء الجرس في الجمهرة لابن دريد صفة للألف، «وأما الحرف التاسع والعشرين فجرس بلا صرف»[2]، ونسب هذا الوصف للأخفش[3]، ولعل الجرس هو السكون للزومه بها.

وهذا كله خلاف لما جاء عند مكي بن أبي طالب القيسي، فالحرف الجرسي عنده هو الهمزة[4] ، والتسمية بمعنى علو الصوت عند النطق بها.[5] وجاء في اللسان أن الجرس «مصدر الصوت المجروس، والجرس الصوت نفسه، والجرس الأصل، وقيل الجرس الصوت نفسه، والجرس الأصل وقيل الجرس والجرس الصوت الخفي...والصويت من كل ذي صوت...وأجرس علا صوته... وجرست وتجرست أي تكلمت بشيء وتنغمت به...وجرس الكلام أي تكلم به»[6]، وجرس الحرف «نغمته والحروف الثلاثة الجوف وهي الياء والألف والواو، وسائر الحروف مجروسة».[7] فيكون الجرس بمعنى العلو والخفوت في الصوت، والأقرب هو الإسماع سواء أكان قويا أم ضعيفا.

ويوافق مكي بن أبي طالب بين الجرس في اللغة والصوت فيتساويان في المعنى عنده[8]، فالجرس هو الصوت[9]، فيحتاج إلى الظهور والعلو، ومنه جاء «جرست الكلام: تكلمت به أي صوّت به».[10] بمعنى أنه خرج من الخفاء إلى الظهور والجلاء.

وينسب الجرس أيضا إلى غير الإنسان كالطيور، يقول: «أجرس الحليّ: إذا صوّت».[11] وهذا ما يذهب إليه تمام حسان في كون الجرس صوت صادر من الطبيعة أي غير بشري فيعرفه على أنه لكل «أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقرة على

---

[1] - ينظر العين 1/62.
[2] - الجمهرة 1/7.
[3] - ينظر الجمهرة 1/7.
[4] - ينظر الرعاية ص 108.
[5] - ينظر الرعاية ص 108.
[6] - اللسان 7/334.
[7] - اللسان 7/335.
[8] - ينظر الرعاية ص 108.
[9] - ينظر الرعاية 109.
[10] - الرعاية ص 109.
[11] - الرعاية ص 109.

الخشب أو الطبلة، وكالاصطدام».[1] ويوضح هذا الوصف مدى قوة الجرس في الإسماع، لأنه ناتج عن ضربة واحدة بين شيئين متوازيين في القوة، قوة الفعل ورد الفعل، بحيث يتصدى الجسم الثاني لضربة الجسم الأول، فيحدث صوت يشبه الانفجار، فلا ينشأ عن ذلك استمرار لانعدام الذبذبات أو الموجات، إذا يلتقي هذا المعنى مع ما ذكر في كون الجرس هو علو الصوت في لحظة إسماع معينة، وكأنه نبرة صوتية مفردة لا علاقة لها بما قبلها أو بما بعدها.

ويخصُّ- القيسي الهمزة بالجرس دون غيرها، فيقول عنها « فكأنه الحرف الصوتيّ، أي المصوت به عند النطق به».[2] وهذا معناه أن التصويت به يحتاج إلى علو أكبر من الأصوات الأخرى، « وكل الحروف يصوّت بها عند النطق بها، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك، فلذلك استثقل الجمع بين همزتين في كلمة، حتى أن أكثر العرب لا تستعمله لأن الصوت في ذلك يتكرر بتكلف شديد بغير واسطة بين الهمزتين، فيكون صوتا شديدا قويا فيصعب ذلك».[3] فالهمزة أكبر في قوة إسماعها بالنسبة لبقية الأصوات، فيرى مكي أنها نسبت إلى تلك الزيادة، «فلما كان في الصوت بها زيادة على الصوت على سائر الحروف، نسبت إلى تلك الزيادة، فقيل لها الحرف الجرسي».[4]

الحرف الراجع

يجعله القرطبي(ت 461هـ) للميم فقط، «وذلك لأنها ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة»[5]، وهو ما رآه أيضا مكي بن أبي طالب في قوله: «سميت بذلك، لأنها ترجع في مخرجها إلى الخياشيم لما فيها من الغنة»[6]، لكنه يشير إلى مشاركة النون صفة الرجوع وجوبا لما لها من غنّة أيضا ترجع إلى الخياشيم، يقول: «ويجب أن يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة، لأنها ترجع أيضا إلى الخياشيم للغنّة التي فيها».[7] ولما كان هذا،

[1] - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ملتزم الطبع مكتبة الأنجلو المصرية، 1374هـ-1955م، ص 67.

[2] - الرعاية ص 108.
[3] - الرعاية ص 108.
[4] - الرعاية ص 109.
[5] - الموضح ص 56.
[6] - الرعاية ص 112.
[7] - الرعاية ص 112.

لا ندري لماذا لم يقل حرفا الرجوع أو الراجعان بدل الحرف الراجع؟، فقد يكون السبب أنه لم يكن صاحب اسم الصفة، فأراد نقلها كما هيّ، فقد ذكرها المبرد في قوله:« والميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنّة»[1]، وإليه ينسب الداني(ت 444هـ) صفة الراجع إلى الميم دون النون لأنها ترجع إلى الخيشوم.[2]

الحرف المهتوف

هي صفة ينسبها مكي بن أبي طالب للهمزة، وسرّ ذلك «لخروجها من الصدر كالتهوع فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد».[3] ولم نجد هذه الصفة عند القرطبي(ت 461هـ) أو الداني(ت 444هـ)، ولعل ذلك لتطابقه مع معنى الجرسي، إذ يلتقيان حسب مكي بن أبي طالب في المفهوم، يقول: « والهتف الصوت الشديد، يقال: هتف به، إذا صوت، وهو المعنى بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرسي، لأن الجرس: الصوت الشديد، والهتف الصوت الشديد، فسميت بذينك لشدة الصوت بها وقوته»[4]، ويثبت هذا المعنى في اللغة، إذ جاء في اللسان أن «الهتف والهتاف الصوت الجافي العالي، وقيل الصوت الشديد»[5]، ومنه قوس هتافة، قوس ذات صوت.[6]

ويشير مكي بن أبي طالب إلى أن بعض العلماء وضعوا مكان صفة المهتوف المهتوت، ورغم تناقض المعنى حسبه، إلاّ أنه يقول: « وذكر بعض العلماء في موضع المهتوف، المهتوت - بتاءين- قال: « لأن الهمزة إذا وقفت عليها لانت وصارت إما واوا و إما ياء وإما ألفا».[7]

ينم هذا عن إلمام مكي بن أبي طالب بالصفتين معا، ولم يقصد بالمهتوف المهتوت التي يعد نقيض المهتوف في المعنى. فالهت كما ورد في اللسان هو من «هتّ الشيء يهته

---

[1] - المقتضب 1/194.
[2] - ينظر التحديد ص 111.
[3] - الرعاية ص 112.
[4] - الرعاية ص 112.
[5] - اللسان 11/359.
[6] - ينظر اللسان 11/359.
[7] - الرعاية ص 112.

هتا، فهو مهتوت، وهتيت، وهتهتة، وطئه وطئا شديدا فكسره،... والهت كسر الشيء حتى يصير رفاتا ».[1] ومنه جاء الهت صوت وقع قوائم البعير».[2] أما الحرف المهتوف فجاء في اللسان:« الهتف والهتاف الصوت الجافي العالي، وقيل الصوت الشديد، وقد هتف به هتافا أي صاح به... وسمعت هاتفا يهتف إذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر أحدا»[3]، ومنه قوس هتوف وهتفى مرنة مصوتة...وقوس هتافه ذات صوت.[4]

وينسب ابن منظور الهتّ إلى الهمزة، لأن «الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفه عن الهمز كان نفسا يحوّل إلى مخرج الهاء فلذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة نحو: أراق وهراق وأيهات وأشياه ذلك كثير، قال سيبويه(ت 180هـ) من الحروف المهتوت وهو الهاء وذلك لما فيه من الضعف والخفاء... ».[5] ومن هنا جاءت الهمزة مهتوتة أي تلين إلى حروف لينة أخرى.

ولما ينسب ابن منظور مصطلح الهت في الهمزة إلى الخليل(ت 175هـ)، قال في الهمزة أنها مضغوطة مهتوتة، وعلى هذا الأساس جعل عبد العزيز الصيغ معنى الهتّ هنا بمعنى الضغط[6]، لكن ما أورده ابن منظور في اللسان يكون أقرب إلى التقبل والصحة، إذ يقول: «قال الخليل(ت 175هـ) الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة، فإذا رفه عن الهمز كان نفسا يحوّل إلى مخرج الهاء»[7]، فالمقصود بالمهتوت هنا لا يكون بمعنى الضغط بدليل قوله يصير همزة.

وبالمقابل ينسب صاحب لسان العرب صفة المهتوت إلى سيبويه(ت 180هـ)[8]، يقول: «قال سيبويه(ت 180هـ): من الحروف المهتوت، وهو الهاء وذلك لما فيه من

---

[1] - اللسان 3/408.
[2] - اللسان 3/408.
[3] - اللسان 11/359.
[4] - ينظر اللسان 11/359.
[5] - اللسان 3/408.
[6] - ينظر المصطلح الصوتي ص 175.
[7] - اللسان 3/409.
[8] - عدنا إلى الكتاب لسيبويه(ت 180هـ) ولم نصادف ما يثبت ذلك.

الضعف والخفاء»[1]، وهو ما ينكره حسام الدين النعيمي لأنه لم يجد ما يؤكد هذا الوصف في الكتاب لسيبويه(ت 180هـ)[2]، لكن ينسب الصفة إلى الهاء عند ابن جني الذي ورد عنه قوله: «لما فيه من الضعف والخفاء».[3]

كما تنسب صفة المهتوت إلى التاء، فيرى عبد العزيز الصيغ أن «الأصوات المهوتة: الهمزة، والهاء والتاء»[4]، ومن تم استنتج أن الهتة هي ضعف يعتري أصواتا ثلاثة... يجعل لأصواتها خاصية تتطلب جهدا من الناطق في إيضاحها، ويرى أيضا أن اختلاف العلماء في نسبة هذه الصفة إلى الهاء أو الهمزة يعود إلى وصف الخليل(ت 175هـ) لحرفي الهمزة والهاء بالمهتوت، أما صفة المهتوت في التاء فينسبها للزمخشري.[5]

صفات المخارج عند القيسي

يضيف مكي بن أبي طالب مجموعة من الصفات المنسوبة إلى الخليل(ت 175هـ)، وهي صفات ألقابها مأخوذة من المخارج، لأن هذه الصفات ألقاب لحروف تنسب إلى مواضع خروجها، وينسبها للخليل. وترتبط دوما بالمخارج فتذكر معها، يقول في ذلك: «...وبقيت عشرة ألقاب تمام أربعة وأربعين لقبا بذلك الخليل(ت 175هـ) بن أحمد في أول كتاب العين، جعل ألقابها عشرة مشتقة من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف».[6]

الحروف الحلقية

---

[1] - اللسان 3/408.
[2] - يراجع الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 324.
[3] - يراجع سر الصناعة 1/74.
[4] - المصطلح الصوتي ص 175.
[5] - ينظر المصطلح الصوتي ص 175.
[6] - الرعاية ص 112.

يذكر القيسي أنها ستة عند الخليل(ت 175هـ)، العين والحاء والهاء والخاء والغين والهمزة[1]، وعلل مكي بن أبي طالب إغفال الألف «لأنها تخرج من هواء الفم وتتصل إلى آخر الحلق».[2] ونقل عبد العزيز الصيغ أن الخليل(ت 175هـ) استثنى الهمزة من أصوات الحلق لأنه عدّها من أصوات المدّ واللين، وهكذا تكون حروف الحلق عند الخليل(ت 175هـ) حسبه خمسة.[3]

الحروف اللهوية

يذهب القيسي إلى أنه مصطلح خليلي[4]، نسبة إلى اللهاة، «واللهاة ما بين الفم والحلق».[5]

الحروف الشجرية

يثبت القيسي أنها عند الخليل(ت 175هـ) ثلاثة حروف، الشين والضاد والجيم، «سماهن الخليل(ت 175هـ) بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مخرج الفم».[6] ويرى عبد العزيز الصيغ أن «زيادة الضاد إلى الأصوات الشجرية من أوهام ما زيد في العين، ولم يحدد الخليل(ت 175هـ) هذا المخرج تحديدا دقيقا».[7] ولم يذكر سيبويه(ت 180هـ) الضاد ولم نجد عنده المصطلح نفسه.

الحروف الأسلية

هي ثلاثة: الصاد والسين والزاي، سماها الخليل(ت 175هـ) بذلك «لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كنّ يخرجن من طرف اللسان، وطرف اللسان أسلة، نسبهنّ إلى ذلك»[8] ، وسماها سيبويه(ت 180هـ) أصوات الصفير، وهذا المصطلح لا يعبر عن موضع خروجها، وإنما على صفة خروجها.

الحروف النطعية

---

[1] - ينظر الرعاية ص 113.
[2] - الرعاية ص 112.
[3]- ينظر المصطلح الصوتي ص 188.
[4]- ينظرالرعاية ص 119والمصطلح الصوتي ص 193.
[5]6- الرعاية ص 114.
[6]- الرعاية ص 114.
[7] - المصطلح الصوتي ص 195.
[8] - الرعاية ص 114 والمصطلح الصوتي ص 197.

هي الطاء والداء والتاء، نسبهن الخليل(ت 175هـ) إلى موضع خروجهن «فلما كن يخرجن من قطع الغار الأعلى وهو سقفه، نسبهن إليه».[1] وهو يقارب المصطلح أسناني لثوي.[2]

الحروف اللثوية

وهي الطاء والثاء والذال، نسبهنّ الخليل(ت 175هـ) «إلى اللثة، لأنهن يخرجن منها، واللثة اللحم المركب في الأسنان».[3] وعددها عند المحدثين يتعدى ذلك.[4]

الحروف الذلقية

وهي الراء واللام والنون، يذكر القيسي أن الخليل(ت 175هـ) نسبهن إلى موضع خروجهن، «ومخرجهن من طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقة».[5] ويورد مكي بن أبي طالب مصطلح الذولقية أيضا للدلالة عليها.[6] ويذكر أيضا أنه أثبت في بعض نسخ كتاب العين للخليل أن حروف الذلاقة ستة وهي «الراء،اللام،النون،والفاء،والباء،والميم».[7] ويرى عبد العزيز الصيغ في الذلاقة صفة أكثر منها مخرجا، فتعرف على أنها «صفة لعدد من الأصوات متقاربة المخارج يشيع استعمالها في الكلام العربي».[8]

الحروف الشفهية

هي ثلاثة: الفاء والباء والميم، يقول القيسي «سماهن الخليل(ت 175هـ) بذلك لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرج منه، ومخرجهن من بين الشفتين، فنسبهن إلى الشفة».[9]

الحروف الجوفية

وهي ثلاثة الألف والواو والياء، والقيسي فيها «سماهن الخليل(ت 175هـ) بذلك، لأنه نسبهن إلا آخر انقطاع مخرجهن وهو الجوف».[10] وينفي أيضا أن يكون الخليل(ت 1

---

[1] - الرعاية ص 114.
[2] - ينظر المصطلح الصوتي ص 199و 200.
[3] - الرعاية ص 115.
[4] - ينظر المصطلح الصوتي ص 201و 202.
[5] - الرعاية ص 115.
[6] - ينظر الرعاية ص 115.
[7] - الرعاية ص 115.
[8] - المصطلح الصوتي ص 203.
[9] - الرعاية ص 116.
[10] - الرعاية ص 116.

75هـ) لم ينسب الهمزة إلى أقصى الحلق وجعلها مع حروف الجوف، يقول: «وزاد غيره معهن الهمزة، لأن مخرجها من أقصى الحلق، وهو يتصل بالجوف».[1]

الحروف الهوائية

يعتبره عبد العزيز الصيغ مصطلحا خليليا[2] ، ويختصر مكي بن أبي طالب شرحه لها بقوله: « وهن الجوف، وقد تقدم ذكرهن وشرحهن».[3]

[1] - الرعاية ص 116.
[2] - ينظر المصطلح الصوتي ص 210.
[3] - الرعاية ص 116.

الفصل الرابع

مخارج الحروف عند علماء القرن الخامس الهجري

- مخارج الحروف
- الصوامت
- المصوتات

مخـــارج الحـــروف

تختلف الأصوات الصامتة عن المصوتة في كيفية صدورها عن الجهاز النطقي، ورغم أن مصدرها واحد إلا أن كيفية مرور الهواء من الرئتين إلى الشفتين تميز المجموعتين بل تميز كل صوت عن الآخر، و«يتحدد نوع الصوت اللغوي ومعظم صفاته استنادا إلى طريقة مرور الهواء في تجويف الفم»[1].

فأما الصوامت فتحدث نتيجة مصادفة الهواء عائقا أو حاجزا فينشأ عن ذلك احتكاك يميز الصوت ويلونه ويطبعه فيكون مختلفا في السماع عن صوت آخر، « قد

[1] - في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية د غالب فاضل المطلبي، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والإعلام سلسلة دراسات، دائرة الشؤون الثقافية والنشر دار الحرية للطباعة ط 1984 ص 23

يصادف هذا الهواء عائقا في موضع من المواضع يعوقه عن المرور مرورا حرا إلى خارج الفم، فلا يتيسر له ذلك إلا بعد أن يحدث احتكاكا مسموعا في ذلك الموضع، فتنشأ من جراء ذلك تلك الطائفة من الأصوات اللغوية التي اصطلحنا عليها بالصوامت».[1]

يعد هذا الاحتكاك الفارق بين الصوامت والصوائت بل بين الصوامت نفسها عند بعض الدارسين ضوضاء ناتجة عن الاحتكاك نفسه، يقول غالب فاضل المطلبي:«...الصوامت التي هي عبارة عن ضوضاء ناتجة عن احتكاك».[2] أما الصائتة فعكسها فهي الأصوات الخالية من الضجيج[3] رغم ذلك فهي شديدة في النطق، والانتقال إلى السمع.[4] وتعتبر الصوائت كلها مجهورة « نتيجة تذبذب الوترين الصوتيين أثناء النطق بها».[5]

تميزت دراسة مخارج الحروف عند علماء القرن الخامس الهجريبين الإبداع والاتباع، ويعد ما قدمه ابن سينا (ت 427هـ) خطوة في كسر نظرة اللغويين لمخارج الحروف، ونظرتهم إليها. فقد تحدث عن مخارج الحروف بنظرة الملم بتشريح الحنجرة والحلق وأعضاء التصويت. فكونه طبيبا جعله يتحدث عن مخارج الحروف بطريقة مخالفة لسابقيه، ألم فيها بالجزئيات، وكان ذلك بعد عرضه لتشريح الحنجرة واللسان تشريحا تفصيليا.

ونحن نطالع حديث ابن سينا (ت 427هـ) عن الحروف ومخارجها نخالها دراسة بعيدة عن عصرها، وكأنه سلط عليها بعض ما استنتجته البحوث الصوتية الحديثة، مما يجعلها تتميز عن الدراسات السابقة، في كونها دراسة صوتية مستقلة

---

[1] - دراسة في أصوات المد العربية، ص 23
[2] - دراسة في أصوات المد العربية ص 25
[3] - ينظر علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، ص 251
[4] - ينظر علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، ص 251
[5] - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا،ص 251

غايتها الصوت اللغوي فحسب من حيث المخارج والصفات. ولعل عنوان مؤلفه أسباب حدوث الحروف ذو دلالة واضحة على ذلك.

لقد استطاع ابن سينا (ت 427هـ) التمييز بين الحروف والحركات بصورة تخلو من التشويش يجليها استعماله لمصطلحات دقيقة، فاستعمل الصوامت للتدليل على الحروف والمصوتات باعتبارها الطابع المميز للحرف، وإن جمع الكل تحت مصطلح الحرف باعتبار السماع، يقول:«...ونعني بالحروف كل ما يسمع بالصوت حتى الحركات».[1] وجعلها قسمين مصوتات وصوامت، لقوله: «والحروف...إما صامتة وإما مصوتة، والصامتة هي التي يمكن أن يصوت بها مبتدأة... والمصوتة هي الحروف التي إنما تقع بعد وقوع الحروف الأولى...».[2]

وجعل المصوتات أو الحركات شقان قصيرة وطويلة أو كبرى وصغرى، متخطيا بذلك ما يشكل حروف المد، يقول: «وعلمت أنها [الصوائت] إما مقصورة أي الحركات، وإما ممدودة وهي المدات».[3] فجعل الواو والياء مرة مع الصوامت وتحدث عنها في آخر عرضه للحروف، وأخرى مع الصوائت، وتجاوز الحديث عن الألف مع الهمزة وجعلها مع الصوائت.

ولم يراع ابن سينا (ت 427هـ) الترتيب نفسه في الروايتين الواردتين في رسالته أسباب حدوث الحروف مما يجعل المطلع عليها يظن لأول وهلة أنه لم يهتم بترتيب الحروف، لكنه في الواقع اتبع خطوات اللغويين القدامى من أقصى الحلق إلى الفم بدء بالهمزة.

[1] - جوامع علم الموسيقى، ص 123
[2] - جوامع علم الموسيقى، ص 123
[3] - جوامع علم الموسيقى، ص 123

وعلى خلاف ما قام به ابن سينا (ت 427هـ) بالحديث عن كل صوت على حدة بتوضيح مخارجه وصفاته، فإن ابن سنان تحدث عن الصفات وليس الحروف، إذ يـرى أن التجانس يكون بين صفات هذه الحروف.

ويستعرض ابن سـينا (ت 427هـ) الحـروف حسـب المخـارج موضـحا كيفيـة حدوثها، وهو يتحدث عن ذلك فإنه يوضح الفروق بين صـوت وآخـر شـارحا ومقارنـا، ولم يجعل ابن سينا (ت 427هـ) حـديثه عـن مخـارج الحـروف مجموعـات ينسـبها إلـى مخرج معين.

ويتحدث علماء التجويد عن مخارج الحروف اقتداء بالأوائل من علمـاء اللغـة، لكن الغاية لم تكـن تلـك، وإنمـا تتجلـى فـي إبـراز قيمـة الأعضـاء النطقيـة عنـد إصـدار الصوت، حيث لايظهر دورها بصورة بارزة لأنها تظفي على الحروف، صفات ثانوية تزيينية، وتنقيحية لها،تظهر بشكل واضح داخل البنيات التركيبية للألفاظ.

فـالأهم هنـا ليس إظهـار مخـارج الحـروف انطلاقـا مـن أعضـاء النطـق، بـل توضيح ما كان من صميم عمل المجودين، على اعتبار أن علم التجويـد حسـب الطـبيب د/أكرم الباشا «لا يبحث في شدة توتر الصوت (وظيفة الحبلين الصوتين) ولا فـي قـوته وضعفه إنما يبحث في أوضاع اللسان أو الشفتين عند نطق الحرف، وكـذلك يبحـث فـي صفات الحرف التي يجب أن يتصف بها عند نطقه (من غلـظ وتفخيـم أو رقـة وتحـول، وجهر أو همس، وشدة ورخـاوة، وإطبـاق أو انفتـاح، أو صـفير، أو قلقلـة، أو تفش، أو غنة)، مما تقوم به أدوات النطق الأخرى (التي تهيء الأجواف الداخلية البلعوم والحلـق والأنف كي تخرج الأحرف من مخارجها متصفة بصفاتها)».[1]

فهذا النص وإن نفي اهتمام علماء التجويد بمخارج الحروف، وبأصل الصـوت اللغوي المنطوق، إلا أنه يؤكد من جهة أخرى أنـه لا يمكـن للنـاطق أن يضـبط صـفات

[1] - حق التلاوة ص 173.

الحروف دون حسن إخراجها، كما بين أهمية أعضاء النطق عامة في إصدار الصوت تاما متصفا بصفاته الأساسية والثانوية. من هنا يمكن القول إن علماء التجويد في القرن الخامس جعلوا الحديث عن المخارج مطية لاستكمال وصفهم لأصوات العربية.

وانقسم المجودون حول مخارج الحروف، فمنهم من عدها سبعة عشرة مخرجا، ملغين بذلك الجوف الذي إليه ينسب الألف في مخرجه. ويعد ابن الجزري من القراء الذين تبنوا المخارج السبعة عشرة[1]، يقول ابن الجزري: «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها، فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل(ت 175هـ) بن أحمد ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي....سبعة عشر مخرجا».[2]

لكن مكي بن أبي طالب يصرح بغير ذلك، فقد انتهج نهج سيبويه(ت 180هـ) وتبناه، يقول: «اعلم أن سيبويه(ت 180هـ) وأكثر النحويين يقولون: إن للحروف ستة عشر مخرجا، للحلق منها ثلاثة مخارج، وللفم ثلاثة عشر مخرجا، وهي التي قد ذكرناها مبينة مفسرة».[3] وفي قول آخر أيضا يذكر صراحة: «...فيجب أن تعلم أن للحروف التي تألف منها الكلام ستة عشر مخرجا».[4] أما الداني(ت 444هـ) فإنه لم يصرح بعدد المخارج المعتمدة، إلا أنه سار على ما ذكره الخليل(ت 175هـ) بن أحمد الفراهيدي.

فمكي بن أبي طالب يذكر الألف بعد الهمزة والهاء، وينسبها إلى مخرجهما من أول الحلق[5] حيث يقول: «فنسب إلى الحلق، لأنه آخر خروجه»[6]، ولعل ذلك لأن الجوف مخرج مقدر، وليس مخرجا حقيقيا[7]، بدليل لا وجود للأحياز فيه، فطابق مكي

[1] - ينظر النشر 1/198 و 199.
[2] - النشر 1/198.
[3] - الرعاية ص 217.
[4] - الرعاية ص 118.
[5] - ينظر الرعاية ص 134.
[6] - الرعاية ص 134.
[7] - ينظر حق التلاوة ص 176.

بن أبي طالب بين مخرج الجوف وأقصى الحلق، لقوله: «...وزاد غيره معهن (حروف الجوف) الهمزة، لأن مخرجها من أقصى الحلق وهو يتصل بالجوف».[1]

والجوف هو فراغ جامع بين الفم والحلق، وقد عرف على أنه «الخلاء الداخل في الفم والحلق».[2] وقد استعمل القيسي الصفة من الجوف، فذكر الحروف الجوفية، والحروف الجوف، وفي ذلك يعرف الجوف ناسبا المصطلح ومفهومه إلى الخليل(ت 175هـ)، يقول: «الحروف الجوف، - جمع أجوف- وهن ثلاث: الألف والواو والياء...سماهن الخليل(ت 175هـ) بذلك، لأنه نسبهن إلى آخر انقطاع مخرجهن وهو الجوف...».[3] رغم ذلك فإنه لم يستعمل مصطلح الجوف في أثناء حديثه عن مخرج الألف وصفاتها إنما ذكر أول الحلق ونسبه إليه، ووصف الألف بالهاوي فقال: «...من أول الحلق، فنسب في المخرج إلى الحلق، لأنه آخر خروجه».[4]

أما أبو عمرو الداني(ت 444هـ) فإنه ينسب الألف صراحة إلى الجوف، يقول: «ذكر الألف، وهو حرف هاو...وإنما هو صوت في الهواء، ولذلك نسب إلى الجوف».[5] فلابد أنه يعتبر هو أيضا الجوف مخرجا تقديريا غير محدد، فيصنف الألف مع الهمزة والهاء من مخرج واحد من مخارج الحلق إذ يقول: «فالمخرج الأول للهمزة والألف والهاء».[6]

ويعد القرطبي(ت 461هـ) المخارج ستة عشرة مخرجا متبعا في ذلك سيبويه(ت 180هـ)، يقول القرطبي(ت 461هـ):«حروف العربية تسعة وعشرون...ولها ستة عشر مخرجا»[7]، فلا يذكر الجوف، ولا يعده مخرجا، ويجعل الألف مع الهمزة والهاء من أقصى الحلق ويذكر أن الألف لا معتمد لها.[8]

[1] - الرعاية ص 114.
[2] - حق التلاوة ص 196.
[3] - الرعاية ص 116.
[4] - الرعاية ص 134.
[5] - التحديد ص 122.
[6] - الإدغام ص 49.
[7] - الموضح ص 34.
[8] - ينظر الموضح ص 34.

ويضع صاحب كتاب حق التلاوة الجوف مع المخارج الأساسية للحروف، وهي خمسة مواضع: «- الجوف: وفيه مخرج واحد، الحلق: وفيه ثلاثة مخارج، -اللسان: وفيه عشرة مخارج، -الشفتان:وفيهما مخرجان، الخيشوم: وهو أقصى الأنف وفيه مخرج واحد»[1]، فيعد مخارج الأصوات سبعة عشرة مخرجا اقتداء بابن الجزري الذي يقول في ذلك: «واختار أكثر القراء ومنهم ابن الجزري أن يكون عدد مخارج الحروف سبعة عشر مخرجا تفصيليا تبتدئ بالحلق وتنتهي بالشفتين مع إضافة الجوف والخيشوم».[2]

وجعل آخرون مخارج الحروف ستة عشرة مخرجا، «ومخارج الحروف على الاختصار ثلاثة: الحلق والفم والشفتان، وعلى التفصيل ستة عشر مخرجا»[3]، وينْتقد هؤلاء بأن علم اللغة الحديث قد أثبت أن الجوف تنطلق منه جموع حروف المد، يقول عبد القادر مرعي الخليل(ت 175هـ): « ونرى أن هؤلاء الذين قالوا بأن عدد مخارج الحروف ستة عشر مخرجا قد أسقطوا مخارج الحروف الجوفية، وهي حروف المد واللين، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق، والواو من الشفتين، والياء من وسط اللسان، وهم بهذا يخالفون ما جاء به علم اللغة الحديث الذي أثبت أن حروف المد واللين أصوات صائتة تنطلق من الجوف دون أن يعترض مجرى الهواء أثناء نطقها أي عائق».[4]

وقد تبنى هذا الرأي العديد من الباحثين المحدثين أمثال كمال بشر. وهذا ما ذهب إليه ابن الجزري من قبل إذ اعتبر الألف من الجوف مع الواو والياء دون الهمزة لأنها أصوات مد، وجعلها في الجوف الذي عده المخرج الأول، يقول: «...الصواب

[1] - حق التلاوة ص 176.
[2] - حق التلاوة ص 174.
[3] - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، د/عبد البديع النيرباني ص 55.
[4] - المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر ص 57.

اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة»[1].

لقد أدرك علماء التجويد أهمية تحديد مخارج الحروف بصفة دقيقة، إذ يعمل ذلك على تسهيل نطقها وإخراجها، وإبعادها عما يشابهها ويشترك معها في المخرج. وحدد ذلك الداني(ت 444هـ) في فصل خاص عنونه «ذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمل بيانها وتلخيصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها».[2] فالغاية مطردة مع أهمية حروف القرآن الكريم كلها، لأن قراءة واحد منها بعشرة أمثالها. فقدسيته جعلت المجودين وعلماء القراءة يشترطون تمكين لفظه، وتوفية حق كل حرف من حروفه، يقول الداني(ت 444هـ): «اعلموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يمكن لفظه ويوفى حقه من المنزلة التي هو مخصوص بها، على ما حددناه ونحدده، ولا يبخس شيئا من ذلك، فيتحول عن صورته ويزول عن صيغته، وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح كلحن الإعراب الذي يتغير فيه الحركات وينقلب به المعاني».[3]

وبهذا أضاف علماء التجويد للحروف طريقة إخراج تمتاز بالدقة ومقابلتها بكل ما من شأنه أن يخرج الحرف عن لفظه الصحيح. وقد أظهر القيسي قصده من هذا، بقوله: «...ويأخذ نفسه بالتجويد فيه وبإعطائه حقه، وإخراجه من مخرجه»[4]، فبين الغاية من سرد مخارج الحروف حرفا حرفا لتيسير لفظ اللسان بها، فيقوم القارئ متحفظا بها عند قراءتها.

الصوامت

الهمـــزة

[1] - النشر 1/199.
[2] - التحديد ص 118.
[3] - التحديد ص 118.
[4] - الرعاية ص 118.

يقول عنها ابن سينا (ت 427هـ) : «إنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهاري الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا».[1] وهو بهذا قريب مما ذكره سيبويه(ت 180هـ) في كون الهمزة« نبرة في الصدر تخرج باجتهاد...لأنه كالتهوع».[2]

وقد شكلت الهمزة دوما مشكلة في مخرجها وترتيبها وكذا وصفها للدارسين اللغويين القدامى فقد أخرها الخليل(ت 175هـ) ولم ينسبها لأي حيز فالهمزة « في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه».[3] ويجعلها مرة مع أصوات الجوف فيقول:« أربعة أحرف جوف هي الواو والياء والألف اللينة والهمزة»[4]. أما سيبويه(ت 180هـ) فجعلها في أقصى الحلق وهي أبعد وأول المخارج لقوله« وهي أبعد الحروف ».[5] واعتد بها المبرد وجعلها في أقصى الحلق لقوله « فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف».[6] واعتمدها ابن سنان في قوله: «فحروف العربية تسعة وعشرون حرفا، وهي الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والقاف، والكاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو، فهذا ترتيبها في المخارج»[7]، متبعا في ذلك سيبويه(ت 180هـ).[8] أما المبرد فلا يعتد بالهمزة والحروف عنده ثمانية وعشرون حرفا لها صور.[9]

ويرى ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) أن الهمزة ثابتة في الحروف على اعتبار الصوت لا الخط ردا على بعض النحاة الذين يرون أن الهمزة لا صورة لها.[10]

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 114
[2] - الكتاب 3/548
[3] - العين 1/58
[4] - العين 1/58
[5] -الكتاب 3/548
[6] - المقتضب 1/192
[7] - سر الفصاحة ص 16
[8] - الكتاب 4/431
[9] - المقتضب ص 1/192
[10] - سر الفصاحة ص 17

ولا يركز ابن سينا (ت 427هـ) على كون الهمزة من أقصى الحلق، فمن خلال الوصف يذكر مقاومة الهواء في الطرجهاري، وهو غضروف حنجري. وقد يكون لابن سينا (ت 427هـ) التصور نفسه الموجود عند القدماء في تحديد منطقة الحلق[1]، وكذا من جانب غلق الوترين حين يقول "مقاومة" ويقصد بذلك انغلاق الوترين فينحصر الهواء، لكنه اثبت تصوره لمخرج الهمزةالجامع بين القوة في استجماع الهواء وحبسه ثم إطلاقه باندفاع.

ويذكر القرطبي(ت 461هـ) أن الهمزة من أقصى الحلق[2]، أما مكي بن أبي طالب فكان دقيقا في وصف مخرجها، فقال:« أنها أول الحروف خروجا، وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق، مما يلي الصدر».[3] أما الداني(ت 444هـ) فقد وصفها ببعد مخرجها[4]، كما نسبها للمخرج الأول من مخارج الحلق دون إضافة حيث يقول: « فالمخرج الأول للهمزة والألف والهاء».[5]

كما يبين طبيعتها، فينبه على حسن إخراجها فيتحسسها فإذا هي صعبة الإخراج تظهر فيها طبائع الناس وعاداتهم النطقية « والناس يتفاضلون في النطق بالهمزة على مقدار غلظ طباعهم ورقتها فمنهم من يلفظ بها لفظا تستبشعه الأسماع وتنبو عنه القلوب، ويثقل على العلماء بالقراءة وذلك مكروه، معيب من أخذ به، وذلك مكروه، معيب من أخذ به».[6] وهذه حالة الهمز الشديد في كل حالتها، إذ يروي أبو عمرو الداني(ت 444هـ) عن مجموع العلماء أن إماما يظهر مؤصدة من سورة الهمزة، فيقول صاحب الرواية: «فأشتهي أن أشد أذني إذا سمعته يهمزها».[7]

[1] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية د/عبد العزيز الصيغ ص 27
[2] - ينظر الموضح ص 34
[3] - الرعاية ص 119
[4] - ينظر التحديد ص 120
[5] - الإدغام ص 49
[6] - التحديد ص 120
[7] - التحديد ص 121

وهذا شدة النبر الذي ينفر منه العلماء والقراء، لهذا يوصي الداني(ت 444هـ) بحسن إخراج الهمزة فيعطي ما يستوجب الابتعاد عنه والقيام به في لفظ الهمزة حيث يقول: « ولبعد مخرج الهمزة لا يكون قارئا من لا يستشعر بيانها في قراءته... فينبغي للقارئ إذا همز الحرف أن يأتي بالهمزة سلسة في النطق، سهلة في الذوق، من غير لكن ولا ابتهار لها، ولا خروج بها عن حدها، ساكنة كانت أو متحركة».[1]

ويوضح الداني(ت 444هـ) قبل ذلك واصفا إخراج الهمزة مع النفس حتى تكون مستسهلة وسلسلة في السماع بعيدة عن النشازإذ يقول: «ومنهم من يخرج الهمزة مع النفس إخراجا سهلا بغير كلفة، يألفه طبع كل أحد، ويستحسنه أهل العلم بالقراءة، وذلك المختار».[2] وقد جمع مكي بن أبي طالب من توضيح مخرج الهمزة وما فيها من استثقال لصعوبة النطق بها، وبين طريقة لفظها سهلة يسيرة ومستساغة، ولم يبتعد في ذلك عما جاء به الداني(ت 444هـ)، وفي ذلك كله استعمل مكي بن أبي طالب لفظ التوسط في إخراجها، يقول: « فيجب على القارئ أن يعرف جميع ذلك من أحوالها وطباعها، فيتوسط اللفظ بها، ولا يتعسف في شدة إخراجها، إذا نطق بها، لكن يخرجها بلطافة ورفق لأنها حرف نفذ مخرجه، فصعب اللفظ به لصعوبته».[3]

إن ما قدمه الداني(ت 444هـ) ومكي بن أبي طالب في طريقة إخراج الهمزة ينبئ بأمرين أن التجويد يكون بالمران، وأن العادات النطقية السيئة غير المستحبة في لفظ الحروف خاصة القرآنية يمكن التغلب عليها بالممارسة. فقد روي عن حمزة أنه قال: «إنما الهمز رياضة».[4] وإخراج الحروف رياضة تؤخذ سماعا ومشافهة مما يستوجب التكرار واتخاذ ملقن وأستاذ يوجه حسن النطق واللفظ بالحروف، وقد استطاع هؤلاء العلماء على قلة الوسائل وبساطتها، نقل صور إخراج الحروف جعلت التجويد يتميز بالدقة والمنهجية، وأهمها الوصول إلى اللفظ الحسن المختار من الحروف.

[1] - التحديد ص 120
[2] - التحديد ص 121
[3] - الرعاية ص 119
[4] - التحديد ص 122

خصائص الهمزة النطقية والخطية:

ورث علماء التجويد عن اللغويين الجدال حول الهمزة والذي انتقل إلى المحدثين منهم[1]، من حيث شكلها ومخرجها، لكنهم تعاملوا مع هذا الصوت بكل دقة علمية مبتعدين عما أثاره هذا الحرف من خلاف، وأجمع كل من مكي بن أبي طالب وأبي عمرو الداني(ت 444هـ) على أن الهمزة متغيرة، لا صورة لها ثابتة لذا فهي من أصعب الحروف إثباتا عند الكتابة، إذ تتأثر بما قبلها وما بعدها، يقول الداني(ت 444هـ): « ذكر الهمزة لا صورة لها، وإنما تعلم بالشكل والمشافهة».[2]

ذكرمكي بن أبي طالب ذلك بأكثر يسر ووضوح :« الهمزة أول الحروف خروجا ... وأنها لا صورة لها في الخط تثبت عليه».[3] كما يجعل عدم ثبات الهمزة في الخط لعدم ثباتها في اللفظ إذ يقول: « فلما لم تثبت الهمزة في كلام العرب على لفظ واحد، ككما ثبتت كل الحروف، وغير صورة هذا التغيير المذكور، دون سائر الحروف، لم يكن لها صورة ثابتة في الخط، غير مختلفة، كما لم تثبت هي في اللفظ على سنن واحد».[4]

وهذه صفة تنفرد بها الهمزة عن ءغيرها من الحروف: « وكل الحروف المذكورة له صورة في الخط يعرف بها اصطلاحا متفقا عليه، لا تتغير تلك الصورة، إلا الهمزة فإنها لا صورة لها تعرف بها، وإنما يستعار لها صورة غيرها، فمرة يستعار لها صورة الألف، ومرة صورة الواو، ومرة صورة الياء، ومرة لا تكون لها صورة».[5]

---

[1] - ينظر الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص 54 و 55 و 59 و 60 .

[2]- التحديد ص 120

[3] - الرعاية ص 119

[4]- الرعاية ص 74

[5] - الرعاية ص 74

فالهمزة حرباء بالنسبة لبقية الحروف إذ تأخذ صورة غيرها من الحروف المناسبة لوضعها داخل بنية الكلمة. فقد أخذت صورة الألف والواو والياء لأنها قريبة منهم ووصف ذلك مكي بن أبي طالب بالمؤاخاة فهي تبدل منها وتبدل هذه الحروف من الهمزة أيضا، يقول: « لأن الهمزة مؤاخية لهن، إذ يبدلن منها في كثير من الكلام... وتبدل هي بهن أيضا في كثير من الكلام».[1] ويثبت ابن جني أن الهمزة تبدل من خمسة أحرف، هي الألف، والواو، والهاء، والعين.[2]

الهـــاء

وهي عند ابن سينا (ت 427هـ) كالهمزة في حفز الهواء وحصره إلا أن الفارق يكمن في أن حبس الهواء لا يكون كليا في الهمزة، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «وأما الهاء فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز في الكم والكيف، إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما بل تفعله حافات المخرج، وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يماس حافاته بالسواء غير مائل إلا إلى الوسط».[3] كما أنه يدرك احتكاكية الهاء حين يرى أن الهواء المحبوس يسير مع حافات المخرج .

وعند القيسي فإن الهاء الثانية بعد الهمزة من مخارج الحلق، يقول: «الهاء تخرج من مخرج الهمزة، من وسط المخرج الأول من مخارج الحلق، والهمزة قبلها في الرتبة، وإن كانتا من مخرج واحد».[4] ويجعلها الداني(ت 444هـ) بعد الهمزة والألف، ولا يحدد مخرجها بدقة، يقول: «فالمخرج الأول للهمزة والألف والهاء»[5]، لكن يصف طريقة إخراجها بقوله: «...فإذا أتت ساكنة أو متحركة فينبغي للقارئ أن ينعم بيانها، من غير تكليف ولا ابتهار».[6]

---

[1]- الرعاية ص 75

[2] - سر صناعة الإعراب 1/72

[3] - أسباب حدوث الحروف ص 114

[4] - الرعاية ص 129.

[5] - الإدغام ص 49.

[6] - التحديد ص 125.

ويلحق بالداني(ت 444هـ) القرطبي(ت 461هـ) فيجعل الهاء بعد الهمزة والألف، يقول: «فمن الحلق ثلاثة منها: أقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء».[1] وتبدل الهاء من خمسة أحرف هي الهمزة والألف والياء والواو والتاء.[2]

الألف

ينسب الألف إلى مخرج الهمزة والهاء وهو«أول الحلق»[3]، لكن«الألف لا معتمد لها»[4]، إذ تنسب إلى الجوف لأنه حرف هاوي، يقول القيسي فيه: «لكن الألف حرف يهوي في الفم، حتى ينقطع مخرجه في الحلق، فنسب في المخرج إلى الحلق، لأنه آخر خروجه»[5]، أما في كتابه الكشف فقد يفهم أنه يلغي الألف ولا يعدها مع الهمزة والهاء، ولا ينسبها إلى الحلق، يقول: «فأما الحروف التي تخرج من الحلق فستة:الهمزة والهاء والخاء والعين والحاء والغين، وقد زاد قوم الألف، ومسالك خروجها من الحلق على ترتيبها في الخط الذي مثلنا وعطفنا بعضها على بعض»[6].

وهذا ما استخلصه عبد العزيز الصيغ، إذ جعل مكي بن أبي طالب من علماء التجويد الذين لم يعتمدوا الألف مع الهمزة والهاء، معتمدا في ذلك على كتابه الرعاية الذي لم نجد فيه ما يشير إلى ذلك، فقد وضع القيسي الألف بعد الهمزة والهاء في المخرج.[7]

ولعل الصيغ قد اعتمد في استخلاص رأيه هذا على ما ورد عنده في كتاب الرعاية حين حديثه عن صفة الخفاء في الألف، إذ نفى القيسي أن يكون للألف مخرجا على الحقيقة، لكن في آخر عرضه أكد نسبة الألف إلى الحلق، إذ جاء في قوله: «الألف...لأنها لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها، ولا لها مخرج تنسب على

---

[1] - الموضح ص 34.
[2] - ينظر سر صناعة الإعراب 2/551.
[3] - الرعاية ص 134.
[4] - الموضح ص 34.
[5] - الرعاية ص 134.
[6] - الكشف 1/139.
[7] - ينظر الرعاية ص 134.

الحقيقة إليه، ...إنما تخرج من هواء الفم حتى ينقطع النفس والصوت في آخر الحلق ولذلك نسبت في المخرج إلى الحلق».[1]

ويعطي أبو عمرو الداني(ت 444هـ) لمخرج الألف تحديدا أكثر وضوحا ودقة بقوله: «وهو حرف هاو، مجهور، لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم، كالنفس، وإنما هو صوت في الهواء، لذلك نسب إلى الجوف»[2]، فيهوي إلى الصدر ولا معتمد له من آخر الفم.[3]

أما صفة إخراجه، فيقول القيسي في ذلك «لا علاج على اللسان فيه عند خروجه، إنما هو حرف اتسع مخرجه في هواء الفم»[4]، وكان ابن جني قد أضاف إلى فتح الفم الحلق في قوله: «أما الألف فتجد الحلق والفم منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر».[5] هذا الوصف كان أدق وأوضح، كما كان ملهما للمحدثين في وصف مخرج الألف، «إن الألف...يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلق والفم دون أن يعترضه مقطع يثنيه أو يضيق مجراه».[6] وكان ابن جني قد اتبع سيبويه(ت 180هـ) الذي أربك الدارسين المحدثين في فهم وضع الألف مع الهمزة والهاء في المخرج، وأثار هذا حديثا موسعا لدى الأستاذ إبراهيم أنيس وقد ناقشه فيها مجموعة من الباحثين.[7]

ولعل ما هم العلماء القدامى ليس مخرج الألف من الحلق، وإنما تموضع الألف بعد الهمزة أو الهاء، فقد أورد سيبويه(ت 180هـ) في كتابه الألف بعد الهمزة في قوله: «فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا، الهمزة، والألف، والهاء...»[8]، ثم

[1] - الرعاية ص 103.
[2] - التحديد ص 122.
[3] - ينظر الإدغام ص 49.
[4] - الرعاية ص 134.
[5] - سر صناعة الإعراب 1/8.
[6] - علم اللغة للسعران نقلا عن الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 302.
[7] - ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 302 و 303 و 304. ويراجع أيضا الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات من ص 54 إلى ص 60.
[8] - الكتاب 4/431.

جاءت عنده بعد الهاء في ترتيبه لمخارج الأصوات في قوله: «فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجا: الهمزة، والهاء، والألف».[1]

وأكد ابن جني أن الألف عند سيبويه(ت 180هـ) تأتي بعد الهمزة، وليس كما اعتقد الأخفش في كون الألف مع الهاء في مخرجها، فقول: «...فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء، هكذا يقول سيبويه(ت 180هـ)، وزعم أبو الحسن أن ترتيبها: الهمزة، وذهب إلى أن الهاء مع الألف، لا قبلها ولا بعدها. والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه(ت 180هـ) أنك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل، فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي».[2] وناقش حسام الدين النعيمي هذه المسألة، فأثبت أن سيبويه(ت 180هـ) قد قصد فعلا وضع الألف بين الهمزة والهاء.[3]

ويعتمد بعض المحدثين من الدارسين الألف من أقصى الحلق، «ومنه مخرج الهمزة والألف والهاء».[4] والبعض الآخر لم يجعل الألف مع الهمزة والهاء من أقصى الحلق،«...ويخرج منه على التسلسل: الهاء والهمزة».[5] وذكر عصام نور الدين أ ن الألف منسوبة إلى الجوف مع أحرف اللين، ولم ينسبها لأقصى الحلق، «الأصوات الصادرة من أقصى الحلق، مما يلي الصدر، هي الهمزة والهاء»[6]، كما يصل إلى أن الحلق عند الخليل(ت 175هـ) وسيبويه(ت 180هـ) هو مخرج حنجري ناسبا ذلك إلى بعض المحدثين قولهم: «جعل المحدثون مخرجي الهمزة والهاء من الحنجرة...بينما جعلهما الخليل(ت 175هـ) بن أحمد الفراهيدي من أقصى الحلق...وكذلك فعل سيبويه(ت 180هـ)...بل لم يعرفا حتى تركيب الحنجرة بدليل تسميتها إياها أقصى الحلق...».[7]

---

[1] - الكتاب 4/433.
[2] - سر صناعة الإعراب 1/46 و 47.
[3] - ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 304.
[4] - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ص 54.
[5] - حق التلاوة ص 195.
[6] - علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) ص 209.
[7] - علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) ص 221.

أما كمال بشر فيرى أن الألف لا تكون مع الهمزة في المخرج، فيجعل الترتيب الهمزة والهاء[1]، واعتبر الألف حرفا مديا يكون حركة، «وعلى هذا لا مكان لها من هذه الألفباء، لأنها ألفباء الأصوات الصامتة»[2]، من هنا فإن الألف «يعد حركة في كل مواضعه في اللغة العربية، وهذه الحركة هي الفتحة الطويلة».[3]

و يرى أيضا أن ابن جني قد خلط في فهمه لموقع الألف وعده مع الصوامت. لكن على ما يبدو فإن ابن جني صنف الألف مع الهمزة باعتبار النسبة إلى المخرج في أقصى الحلق، وهنا يجد أن ابن جني قد جانب الصواب في تحديد مخرج الألف من مخرج الهمزة، يقول: «يبقى الاعتراض المهم وهو وضعها عقب الهمزة أو معها. فالهمزة -كما عرفت-صوت حنجري. أما الألف فليس مخرجها الحنجرة أو الحلق، كما فهم ابن جني، وإنما هي حركة يتحدد موضع نطقها بموضع اللسان وضعا معينا في الفم تجاه الحنك الأعلى».[4]

فيذهب كمال بشر إلى أن مخرج الألف من الفم وبالضبط اللسان، وليس الحنجرة. فإن ابن جني في رأيه أغفل هذه الحقيقة وركز اهتمامه على الحلق. لكن ابن جني ركز على نقطة انطلاق الألف وفنائه، فكان ما ذكره بدليل ما وصف به الألف من أنه «ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة...فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه، وهو الهمزة».[5]

كما يعتقد أيضا أنه لا علاقة بين مخرج الهمزة والألف، فالأولى حلقية والثانية من الفم، وأن الحروف جميعها تشترك في مرور الهواء من الحنجرة والحلق ثم الفم إذ يقول: «والواقع أن هذه الظاهرة ليست خاصة بالألف بل تشترك فيها الأصوات جميعا، ونعني بهذه الظاهرة مرور الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة والحلق والفم ولكنه يتعدل

---

[1] - ينظر علم الأصوات، د/كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة- مصر- 2000م، ص 190.
[2] - علم الأصوات، د/كمال بشر ص 194.
[3] - علم الأصوات، د/كمال بشر ص 194.
[4] - ينظر علم الأصوات، د/كمال بشر ص 194.
[5] - سر صناعة الإعراب 1/72.

ويتكيف بطريق ما في مكان ما حسب كل صوت من الأصوات المختلفة، فقد يقف في الحنجرة ثم ينطلق، فتكون الهمزة، وقد يكون التعديل في الحلق فتخرج الأصوات الحلقية، وقد يكون في الفم فتخرج أصوات كثيرة، منها الحركات ومن ضمنها الألف بالطبع». [1]

وهذا عكس ما فهمه الأوائل كابن جني[2]، والقيسي.[3] وهذا أيضا دليل على صعوبة ودقة الحديث عن الهمزة والألف. وقد اعترف كمال بشر ذلك، يقول: «والحق أن موضوع الهمزة والألف في العربية يشكل صعوبة ظاهرة في الدرس اللغوي عندهم، قد خلط العلماء بينهما خلطا واضحا، وأتو فيهما بمناقشات تتسم بالغموض وعدم الإدراك الحقيقي لطبيعة هذين الصوتين». [4]

وسار عبد العزيز الصيغ على خطى كمال بشر، إذ يرى أن سيبويه(ت 180هـ) قد جانب الصواب ومن تم ابن جني ومن سار سيرهما في جعل الألف من حروف الحلق، يقول: «...أما الألف فهو حركة طويلة لا شأن للحلق بإخراجها، وإنما يشترك في إخراجها اللسان والحنك حيث يهبط اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم، بحيث يستوي في قاع الفم». [5]

وهي النتيجة التي خلص إليها عبد القادر مرعي خليل في تحديده للاختلافات بين القدامى والمحدثين في ضبط مخارج الحروف، وفي المقام الأول الألف، يقول: «الاختلاف في مخرج الألف، إذ عد علماء العربية القدماء مخرج الألف من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء، ويرى علماء اللغة المحدثون أنها من الصوائت التي يتحدد

---

[1] - ينظر علم الأصوات كمال بشر ص 195.
[2] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/8.
[3] - الرعاية ص 134.
[4] - علم الأصوات ص 196.
[5] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 59.

موضع نطقها حسب وضع اللسان في الفم نحو الحنك الصلب، وبدرجة ارتفاعه وانخفاضه واستوائه نستطيع أن نحدد نوع الصائت».[1]

العين

وهي حرف حلقية بإجماع أغلب الدارسين سواء القدامى منهم أم المحدثين. فأما الخليل(ت 175هـ) فيعدها من أقصى الحلق، وبها يبدأ معجمه الشهير.

وتأتي العين في الترتيب بعد الهمزة والهاء، كما تشبه العين في مخرجها الهمزة والهاء في حفز الهواء أيضا وحبسه إلا أن « الحبس غير تام ومندفع إلى أدخل موضع في الحلق عند انفتاح الحنجرة».[2] وهنا يكون قد اتفق ابن سينا (ت 427هـ) مع القدامى كالخليل(ت 175هـ) وسيبويه(ت 180هـ) في أن العين من أوسط الحلق[3] وهو المخرج الثاني من الحلق[4]، ويبين ابن سينا (ت 427هـ) ما يصاحب صوت العين عند اندفاعه من احتكاك وغيره، مما يصبغه بصفات تميزه عن غيره، فيقول: «ويكون الاندفاع فيه [الحنجرة] مستقيما، يقلقل تلك الرطوبة ويزعزعها إلى جهاتها بالسواء من غير أن تذعن الرطوبة للتشظي[5] والتشذب[6] حتى يحدث من خلل أجزائها أصوات حادة كثيرة تخالط النغمة فتُخشّنها التخشين الذي يكون في الحاء والعين... ويكون فيها فتح الطرجهاري مطلقا، وفتح الذي لا اسم له وسطا».[7] فاندفاع الهواء في الحنجرة يوزع ويحتك مع الجدار بطريقة تمنع تشتت وتفرق الهواء صانعا أصواتا مكررة منسجمة غير مشتتة ولا مختلفة في الحدة.

وعند القرطبي(ت 461هـ) فإن العين من وسط الحلق أيضا، لقوله: « ومن وسط الحلق مخرج العين»[8]، ويعبر المكي بن أبي طالب القيسي عن وسط الحلق بالمخرج

[1] - المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د/ عبد القادر مرعي خليل ص 72.
[2] - جوامع علم الموسيقى ص 87.
[3] - ينظر الكتاب 4/433
[4] - ينظر المقتضب 1/192
[5] - تشظى الشيء تفرق وتشقق وتطاير شظايا... التشظي التشعب والتشقق» اللسان 19/162
[6] - الشذب القشور والعيدان المتفرقة ... والتشذيب التفريق والتمزيق في المال ونحوه، القتيبي شذبت المال إذا فرقته» اللسان 1/468
[7] - أسباب حدوث الحروف ص 115.
[8] - الموضح ص 34.

الثاني والعين أول مخرج فيها، يقول: « العين تخرج من أول المخرج الثاني من مخارج الحلق الثلاثة مما يلي الفم».[1] أما الداني(ت 444هـ) فلا يشير إلى مخرج العين وإنما أشار إلى أنها من حروف الحلق فحسب، لقوله: « وكذا إذا التقى بشيء من حروف الحلق».[2] وقد ذكرها بعد الهاء ويسير على هذا الرأي ابن الجزري الذي ينسب العين إلى وسط الحلق قبل الحاء حيث يقول: «المخرج الثالث:-وسط الحلق-وهو للعين والحاء المهملتين- فنص مكي على أن العين قبل الحاء».[3]

الحاء

إن الحاء تشبه العين ولكن تخالفها فيما ذكره ابن سينا (ت 427هـ) في قوله: « وإن شاركت العين فإنها تخالف العين في هيئة المخرج وفي المحبس وفي القوة وفي جهة تخلص الهواء...».[4] ويقارن بين خروج الهواء في العين والحاء، وتموضع أعضاء النطق بقوله فإن الفرجة بين الغضروفين السافلين تكون أضيق والهواء يندفع أميل إلى قدام، ويصدم حافة التقعير الذي كان يصدمه هواء العين عند الخروج، وتلك الحافة صلبة والدفع منها أشد فيقسر الرطوبة ويميلها إلى قدام، وتحدث فيها من التشظي والتشذب ما كان لا تحدثه العين، فلسبب ذلك تسمع هناك خشونة تحدث من أصوات حادة ضعيفة تخالط النغمة، والعين في الموضع الذي يناله هواء التهوع أدخل إلى الحلقوم، والحاد في الموضع الذي يناله هواء التنحنح. فيجزم ابن سينا (ت 427هـ) أن العين أسبق وأدخل في المخرج من الحاء.

ولم يخرج علماء التجويد عن ذلك فالحاء من مخرج العين من وسط الحلق إلا أن العين أعمق منها فأوردها القرطبي(ت 461هـ) بعد العين في الترتيب[5]، وكذلك فعل مكي

[1] - الرعاية ص 136.
[2] - التحديد ص 127.
[3] - النشر 1/199.
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 115.
[5] - ينظر الموضح ص 34.

بن أبي طالب القيسي، بل وأكد على ورود الحاء بعد العين، يقول: «الحاء تخرج من مخرج العين المذكور، وهو المخرج الثاني من الحلق، فهي بعد العين».[1] ولم يزد الداني(ت 444هـ) على القرطبي(ت 461هـ) أو مكي بن أبي طالب في مخرج الحاء، فقد اكتفى بقوله، أنها من حروف الحلق، وجاء ترتيب الحديث عنها بعد العين.[2]

الغين

إنها تشبه الخاء« إلا أن الهواء لا يكون قسارا للرطوبة بل مغليا لها يأتي على الاستقامة وقد ضعفت قوتها لأنها بعدت يسيرا عن المخرج، ويكون الاهتزاز في تلك الرطوبة أكثر منها فيما سلف، والانقسار إلى قدام أقل ... ويحدث في موضع التغرغر».[3] والتغرغر الخاص بالغين هو أن يأخذ الإنسان « في فمه ماء وتكلف تقريبه من الحلقوم ثم دفع فيه الهواء سمع صوت الغين».[4] والأمر نفسه لكن يقدم الماء في الحلقوم قليلا ويدفع الهواء فيه منحرفا يسمع الحاء ثم الخاء[5] فالرطوبة موجودة في كل من الحاء والخاء والغين لكنها في هذه أكثر، والغين بذلك تأتي بعد الخاء، والمبرد جعل الخاء أولا ثم الغين.[6]

ويقدم القرطبي(ت 461هـ) الغين على الخاء في الترتيب ويجعلها من أدنى الحلق مما يلي الفم لقوله: « ومما فوق ذلك دانيا إلى الفم مخرج الغين والخاء»[7]، وعلى نهجه سار الداني(ت 444هـ) في التحديد إذ ذكر الغين قبل الخاء وبعد الحاء ولم يحدد مخرجه.[8] وهذا ترتيب سيبويه(ت 180هـ)،[9] وقد خالفهما مكي بن أبي طالب فجعل الغين قبل الخاء في الترتيب، ومع الخاء وبعدها في المخرج يقول: «الغين تخرج من مخرج الخاء وبعدها، وهو آخر المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم».[10]

---

[1] - الرعاية ص 138.
[2] - ينظر التحديد ص 128.
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 117
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 117
[5] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 117
[6] - ينظر المقتضب 1/192
[7] - الموضح 34.
[8] - ينظر التحديد ص 129.
[9] - يقول سيبويه(ت 180هـ): «...وأدناها مخرجا من الفم».الكتاب 4/433.
[10] - الرعاية ص 143.

وقد لخص ابن الجزري هذه الآراء دون تحديد أصحها في قوله : «المخرج الرابع أدنى الحلق إلى الفم وهو للغين والخاء، ونص شرع على أن الغين قبل. وهو ظاهر كلام سيبويه(ت 180هـ) أيضا، ونص مكي على تقديم الخاء، وقال الأستاذ أبو الحسن على بن محمد بن خروف النحوي: إن سيبويه(ت 180هـ) لم يقصد ترتيبا فيما هو مخرج واحد».[1] وهو ما ذهب إليه إبراهيم أنيس في قوله: «... فلكل صوتين من أصوات الحلق حيز معين، يحلان فيه معا، دون ترتيب لأحدهما على الأخر».[2] وهذا ما اعتمده عبد العزيز الصيغ الذي ذكر أن تقديم الخاء أو تأخيرها عن الغين في آراء العلماء لا يسنده أي دليل.[3]

ولعل هذا الرأي فيه بعض الصحة بدليل الترتيب الذي أورده مكي بن أبي طالب لأصوات الحلق في قوله: «فأما الحروف التي تخرج من الحلق فستة: الهمزة والهاء والخاء والعين والحاء والغين».[4] ويعزو إبراهيم أنيس هذا التقديم والتأخير بين الخاء والغين والعين والحاء عند بعض العلماء القدامى إلى إدراكهم لفرق الصفات بينها كالجهر والهمس، يقول: «ويبدو أن هؤلاء المتأخرين[5] حين نطقوا بكل من الصوتين لاختيارهما أحسوا فرقا بينهما، ولكنهم لم يفطنوا إلى أن هذا الفرق مقصور على أن أحد الصوتين مجهور، والآخر مهموس... فلا فرق بين العين والحاء في المخرج وإنما الفرق في أن العين مجهورة والحاء مهموسة وكذلك الشأن في الغين و الخاء».[6]

وهذا الرأي عكس ما يبدو عند مكي بن أبي طالب الذي أدرك الفرق بين صفات صوتين كل حيز إذ يرى أنه لولا الجهر الذي في العين لكانت حاء».[7] والأمر عينه ظاهر في إدراكه لكون حرفي الغين والخاء من مخرج واحد والاختلاف في صفتيّ الجهر

[1] - النشر 1/199.
[2]- الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ط 1992، الناشر مكتبة الأنجلومصرية-القاهرة-مصر- ص 113.
[3] - ينظر يراجع المصطلح الصوتي عبد العزيز الصيغ ص 67و 68.
[4] - الكشف 1/139.
[5] - يقصد المتأخرين عن سيبويه(ت 180هـ).
[6] - الأصوات اللغوية ص 114.
[7] - الرعاية ص 138.

والهمس، يقول: «ولولا ما بينهما من الجهر والهمس لكانت الخاء غينا إذ المخرج واحد والصفات متفاوتة».[1] ولعل هذا هو أساس تقديم الغين عن الخاء كون الأول قوي ظاهر في النطق والثاني مهموس لكن له من الغلظة والاستعلاء مما يجعله مقاربا للغين.

الخاء

وهي عند القرطبي(ت 461هـ) بعد الغين[2]، وكذا الداني(ت 444هـ) الذي لا يوضح مخرجه بالتحديد لكن يؤاخيه بالغين في طريقة إخراجه في قوله: «وحكمه في إنعام البيان والتلخيص حكم الغين».[3] أما مكي بن أبي طالب فيرى أن «الخاء تخرج من أول المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم».[4]

أما ابن سينا (ت 427هـ) فيشبهها بحدوث الحاء «إلا أنه يكون أخرج، والموضع أصلب، والرطوبات أقل وألزج، ويفعل من التشظي والتشذب الانتفاض والاهتزاز، ويتدحرج الهواء بسبب ذلك في سطح الحنك كله».[5] فالفرق بينهما يكمن في مكان الحدوث وطبيعته. فحدوث الخاء في المقر المشترك بين اللهاة والحنك حيث يضغط الهواء ويطلق قوة «يهتز فيما بين ذلك رطوبات يعنف عليها التحريك إلى قدام، فكلما كادت أن تحبس الهواء ازدحمت وقصرت إلى الخارج في ذلك الموضع بقوة»[6]، وهو المكان الذي قال عنه سيبويه(ت 180هـ) بأدناها مخرجا من الفم حيث العين والخاء.[7]

القاف

يضع ابن سينا (ت 427هـ) القاف في موضعين من رسالته أسباب حدوث الحروف ففي الرواية الأولى يضعها بعد الخاء وقبل الغين، ويطابق بين مخرج القاف

[1] - الرعاية ص 143.
[2] - ينظر الموضح ص 34.
[3] - التحديد ص 130.
[4] - الرعاية ص 142.
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 116
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 73
[7] - ينظر الكتاب 4/433

والخاء وكذا في مقدار وكمية الهواء المكون للصوت، والفرق بينهما كون القاف تحدث عن حبس تام «تحدث حيث تحدث الخاء، ولكن بحبس تام. وأما الهواء ومقداره وموضعه فذلك بعينه».[1] أما سيبويه(ت 180هـ) فيرى أن مخرج القاف « من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى»[2]، وتبعه في ذلك المبرد إذ جعلها «أول مخارج الفم مما يلي الحلق».[3]

ويجعل القرطبي(ت 461هـ) القاف من : « أقصى اللسان وما فوقه من الحنك».[4] ولم يحدد الداني(ت 444هـ) مخرجه وجعل ترتيبه، قبل الكاف وبعد الخاء آخر حروف الحلق،[5] لكنه ذكر في كتابه الإدغام أنه « من أقصى اللسان و ما فوقه من الحنك الأعلى».[6] ولا يختلف مكي بن أبي طالب مع القرطبي(ت 461هـ) في مخرج القاف إذ يقول: « القاف: تخرج من المخرج الأول من مخارج الفم مما يلي الحلق، من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك».[7] وهو ما جاء عند الداني(ت 444هـ).

وينسب ابن الجزري القاف إلى أقصى اللسان ويوضحه ذلك بقوله: «مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك».[8] وهو الرأي الذي يتبناه بعض الدارسين المحدثين، «ويسمى الصوت الخارج منها لهويا، والقاف هو الصوت الوحيد الذي يخرج منها».[9] ويعرف تمام حسان اللهوي بأنه «ما اتصل فيه مؤخر اللسان باللهاة».[10] ويفصل في هذا عبد العزيز الصيغ الذي ينسب القاف إلى اللهاة وينسب المصطلح إلى الخليل(ت 175هـ)[11]، يقول الخليل(ت 175هـ): « القاف والكاف لهويتان»[12]، رغم ذلك لم يستعمل الخليل(ت 17

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 74
[2] - الكتاب 4/433
[3] - المقتضب 1/192
[4] - الموضح ص 34.
[5] - ينظر التحديد ص 130.
[6] - الإدغام ص 54.
[7] - الرعاية ص 145.
[8] - النشر 1/199.
[9] - فصول في علم اللغة العام، د/محمد علي عبد الكريم الرّديني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر ص 139.
[10] - مناهج البحث ص 85.
[11] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 68و 69.
[12] - العين 1/57.

5هـ) مصطلح اللهاة مجردا فيقول: «...لأن مبدأهما من اللهاة»[1]، مما يفتح المجال إلى أعضاء أخرى تساعد في إخراج القاف والكاف بديل توضيح مخرج القاف في قوله: «وأما مخرج الجيم والقاف و الكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم».[2] وهذا ما ذهب إليه ابن الجزري في اعتبار اللهاة بين الفم والحلق[3]، لكن هذا التحديد واسع وغير دقيق ولو اعتبر اللهاة الفاصل بين الفم والحلق لكان أدق.

فمخرج القاف لهوي وهذا مصطلح قديم، عكس ما رآه عبد القادر مرعي في كونه حديثا لأن مخرج القاف قد تغير بين القديم والحديث، يقول: « الاختلاف في مخرج القاف إذ عدّ القدماء هذا الصوت حنكيا ويعدّه علماء اللغة المحدثون لهويا، ولعل السبب كامن في تغير نطق هذا الصوت عن القديم».[4]

الكاف

تحدث الكاف عند ابن سينا (ت 427هـ) حيث الغين « ولكن بحبس تام»[5]، وهذا يشبه القاف لكن «في القاف انفلاق قوي ليس للرطوبة مثله في الكاف»[6] ، لذا « فنسبة القاف إلى الخاء، كنسبة الكاف إلى الغين».[7] فيجعل ابن سينا (ت 427هـ) الفرق بين القاف والخاء الشدة والرخاوة. فالقاف شديدة والخاء رخوة، وقد عبر عن ذلك بقوله «تحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تام».[8] والأمر عينه بالنسبة للغين الرخوة والكاف الشديدة.

---

[1] - العين 1/57.
[2] - العين 1/57.
[3] - ينظر النشر 1/200.
[4] - المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر ص 72.

[5] - المقتضب 1/192.
[6] - المقتضب 1/192.
[7] - المقتضب 1/192.
[8] - أسباب حدوث الحروف ص 74

أما القرطبي(ت 461هـ) فيذكر مخرج الكاف بقوله: «ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا و أدنى إلى المقدم الفم وما يليه من الحنك الأعلى: مخرج الكاف».[9] ويقارب الداني(ت 444هـ) بين الكاف والقاف دون تحديد مخرجه، يقول: «وحكمه في تعمل البيان والتلخيص كحكم القاف لئلا ننقلب إلى لفظه»[10]، لأنه يجاور الكاف في المخرج، فهو مخرج حسي «من أقصى اللسان مستعليا عن الحنك الأعلى محاذيا لموضع القاف».[11]

و يختصر مكي بن أبي طالب توضيح مخرج الكاف بقوله: «الكاف تخرج من المخرج الثاني من مخارج الفم بعد القاف مما يلي الفم».[4] ويعتبر مكي بن أبي طالب أن مخرج الكاف والقاف متقاربان، فيتفق مع الداني(ت 444هـ) في ذلك، يقول: «ولولا الجهر والاستعلاء اللذان في القاف لكانت كافا، كذلك لولا الهمس والتسفل اللذان في الكاف لكانت قافا لقرب مخرجهما».[5]

ويثبت ذلك بتجاور القاف والكاف في اللفظ الواحد، يقول: «وإذا وقعت القاف بعد الكاف وجب بيان الكاف لقرب مخرجها من القاف وشبهها بها، وذلك نحو قوله تعالى:"عرشك قالت"و"ومن عندك،قل كل من عند الله».[6] فلولا الوقف في عرشك لأدغمت في القاف، وكذلك في المثل الثاني لأنهما في المخارج متقاربين فوجب تباين صفاتهما من همس واستفال وجهر واستعلاء، ولا يتم ذلك إلا بالوقف، وإلا لسهل إدغامها لأن الكاف الساكنة إذا التقت بالقاف أدغمت فيها.[7] وقد جعل مكي الكاف بعد القاف في الترتيب وذلك في قوله: «القاف ثم الكاف»[8]، إذ استعمل لفظ "ثم"، وهذا مطابق لما أورده في الرعاية إذ جعل الكاف في المخرج الثاني بعد القاف.

---

[9] - الموضح ص 34.
[10] - التحديد ص 131.
[11] - الإدغام ص 54.
[4] - الرعاية ص 147.
[5] - الرعاية ص 147.
[6] - الرعاية ص 148.
[7] - ينظر التحديد ص 131.
[8] - الكشف ص 139.

وأشار مكي بن أبي طالب إلى أن الكاف قد تبدل قافا في بعض اللغات، فأوجب ضرورة التفريق بين ذلك حتى لا يتم الخلط والخروج من لغة إلى لغة، والوقوف على ذلك إذ يجب تبيانه وتوضيحه نطقا، وقد استشهد بقراءة ابن مسعود - رضي الله عنه- في قوله تعالى:(وإذا السماء كشطت)، إذ قرءها ابن مسعود-رضي الله عنه- بـ: قشطت.[1] وقشطت وكشطت لغتان[2]، ورد عن ابن جنيّ قوله: «أخبرني أبو علي، قراءة عليه، عن أبي بكر، عن بعض أصحاب يعقوب،عنه، قال، قال القراء: قريش تقول: كشطت، وقيس وتميم تقول:قشطت، بالقاف. وليست القاف في هذا بدلا من الكاف، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين».[3] أما البدل الذي أشار إليه مكي بن أبي طالب فقليل.[4]

الجيم

يصفه ابن سينا (ت 427هـ) اعتبارا من اللسان، إذ يتم بحبس الهواء « بطرف اللسان وحصره في رطوبة وراء طرف اللسان، ينشق عند الإطلاق من غير امتداد، فيكون تسريب الهواء مع ذلك في مسلك ضيق وموجها نحو خلل الرباعيات أو غيرها»[5] ، ثم يذكر ما يطرأ على الجيم من صفات على إثر تحديد مخرجها، فيقول:«...فيحدث من نفوذ الهواء وفيها صوت حاد صفار ويختلط بفرقعة الرطوبة القوية الشديدة اللزوجة».[6]

أما في الرواية الأولى فيرى ابن سينا (ت 427هـ) أن الجيم تحدث «من حبس بطرف اللسان تام، وبتقريب للجزء المقدم في اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النتو والانخفاض، مع سعة في ذات اليمين واليسار وإعداد رطوبة حتى إذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق يصفر لضيق المسلك، إلا أنه يتشذّب لاستعراضه، ويتمم صفيره خلل الأسنان وينقص من صفيره ويرده إلى الفرقعة الرطوبة المندفعة فيما بين ذلك منفقعة

[1] - ينظر الرعاية ص 148.

[2] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/279.

[3] - سر صناعة الإعراب 1/277.

[4] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/280.

[5] - أسباب حدوث الحروف ص 117و 118

[6] - أسباب حدوث الحروف ص 118

ثم تتفقأ إلا أنها لا يمتد بها التفقع إلى بعيد ولا يتسع، بل تفقؤها في المكان الذي يطلق فيه الحبس».[1]

أما الداني(ت 444هـ) فيجعل الجيم والشين والياء من مخرج واحد وهو وسط اللسان «ووسط اللسان له مخرج واحد وثلاثة أحرف، وهي: الجيم والشين والياء».[2] وينسبها القرطبي(ت 461هـ) إلى «وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى»[3]، وليس هذا المخرج للجيم فحسب، وإنما للشين والياء أيضا.[4] ولا يذكر الداني(ت 444هـ) مخرج الجيم، وإنما يورده بعد الكاف وقبل الشين.[5]

ويجعل مكي بن أبي طالب الجيم بعد الشين ترتيبا ويشركها في المخرج عينه، يقول: «الجيم تخرج من مخرج الشين»[6]، فالفارق بينهما هو الجهر والشدّة إحداها تبين الصفتين أو كلاهما صارت الجيم شينا ويتبع ابن الجزري القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ) في أن الجيم والشين والياء «من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، ويقال إن الجيم قبلهما»[7]، ولم يشر ابن الجزري إلى رأي مكي بن أبي طالب، واكتفى برأي المهدوي الذي يوافق ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب في كون «الشين تلي الكاف، والجيم والياء يليان السين».[8]

الشين

يخرج السين من مخرج الجيم «إلا أنه لا يكون بحبس تام بل يتهيأ طرف اللسان بقرب من المكان الذي يلمسه بالطبع حتى يكاد يلمسه بعد الطرف منه شيء،

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 75
[2] - الإدغام ص 54.
[3] - الموضح ص 34.
[4] -ينظر الموضح ص 34.
[5] - ينظر التحديد ص 132.

[6] - الرعاية ص 150.
[7] - النشر 1/200.
[8] - النشر 1/200.

والطرف محلى غير متعرض للهواء ومعد هناك رطوبات تعاوق الهـواء المسـرب فـي ذلك المضيق تسريبا يتبعه صفير مختلط بفرقعة تلك الرطوبات».[1]

وحين يتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن صفات الهواء المسرب فإنه يصل إلى نتيجة «فكأن الجيم شين لم تحبس، وكأن الشين جيم بحبس ثـم أطلقـت».[2] ولكـان الفـرق الصانع للصوتين هو الشدة والرخاوة هنا أيضا.

ويجعل القرطبي(ت 461هـ) الشـين بعـد الجيـم فـي الـترتيب[3]، والأمـر عينـه عنـد الداني(ت 444هـ) الذي يحدد مخرج الشين ويشرح صفاتها ويذكرها بعد الجيم[4]، أما مكـي بن أبي طالب فقدم الشين عن الجيم، وحـدد مخرجهـا بقـوله: «الشـين تخـرج مـن المخـرج الثالث من مخارج الفم»[5]، ويؤكد خروجها بعد الكاف فـي قـوله: «بعـد مخـرج الكـاف مـن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك».[6]

ويشير مكي بن أبي طالب إلى أن الشين تتصل بمخرج الطاء[7]، ممـا أكسـبها بعـض القوة في النطق لتوضـيح وتـبيين صـفة التفشـي.[8] ويـرى عبـد العزيـز الصـيغ أنـه «بهـذه العبارة جعل الشين ذات مخرج مستقل عن مخرج الصوتين الآخرين، إلا أنه لـم يقـل ذلـك صريحا».[9] ويعزز هـذا الـرأي مـا ورد فـي الرعايـة بتوضـيح طريقـة التفشـي وإخراجـه «فيجب أن تبين التفشي الذي فيها عند النطـق بهـا، وهـي ريـح زائدة تنتشـر فـي الفم عنـد النطق بها بخلاف غيرها».[10] ولعل هذا ما جعله يقدمها على الجيم والياء رغـم أنـه ينسـبها

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 119
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 119
[3] - ينظر الموضح ص 34.
[4] - ينظر التحديد ص 133.
[5] - الرعاية ص 149.
[6] - الرعاية ص 149.
[7] - ينظر الرعاية ص 149.
[8] - ينظر الرعاية ص 149.
[9] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 74
[10] - الرعاية ص 149.

جميعا للمخرج نفسه، قوله: «الشين والجيم والياء، هن أخوات في المخرج من وسط اللسان إلى الحنك».[1]

الياء

يضيف ابن سينا (ت 427هـ) إلى الياء صفة الصامتة، فيسميها الياء الصامتة، ويقصد بها غير المدية، يقول:« وأما الياء الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث السين والزاي، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيرا».[2] لأن الأولان يتدخل فيهما اللسان خاصة طرفه أو مستدقه مع سكونه في السين واهتزازه في الزاي. أما في الرواية الثانية فيجعل الياء حيث الطاء والجيم يقول« وأما الياء الصامتة فتحدث حيث تحدث الطاء والجيم وغير ذلك، ولكن بتعرض للحبس يسير وصفير ضعيف»[3]، ويصف الياء الصامتة بالتكرار الذي في الراء من حيث السماع، يقول« ومع ذلك ثابت حدث منه حرف الراء، وسمع التكرير الذي فيه الارتعاد قدما».[4]

ويرى اللغويون مثل سيبويه(ت 180هـ) أن الياء تشارك الجيم والشين في المخرج إذ يقول: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والباء».[5]

ولا يختلف معهم علماء التجويد للقرن الخامس للهجرة، فعند القرطبي(ت 461هـ) الياء من مخرج الجيم والشين «إلا أن الياء تهوي في الحلق وتنقطع عند مخرج الألف».[6] وهو ما أورده الداني(ت 444هـ) الذي يذكر مخرج الياء بقوله: «يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، ثم تهوي إلى الحلق، فينقطع آخره عند مخرج الألف».[7] واكتفى

[1] - الكشف 1/139.
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 84
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 124
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 125
[5] - الكتاب 4/433
[6] - التوضيح ص 34.
[7] - التحديد ص 133.

مكي بن أبي طالب بقوله أن «الياء تخرج من مخرج الشين والجيم المذكورين، وهو المخرج الثالث من مخارج الفم».[1]

الضاد

يقول ابن سينا (ت 427هـ) عن مخرجها:« فإن مخرجها أقدم قليلا من ذلك[2]»[3]، أما في حبس الهواء فالضاد كالجيم، لكن يختلفان فيما يأتي:

الأول: «أنها لا يتكلف فيها توجيه الهواء إلى مضايق خلل الأسنان محدثا صفيرا»[4]

الثاني: «إن الرطوبة التي يحبس فيها الهواء بعد الإطلاق تكون أعظم، ويدفعها الهواء منحصرا فيها حتى يحدث منها فقاعة أكبر ثم تتفقأ لا في مضيق ولا يكون في لزوجة رطوبة الغين فيحدث صوت الضاد».[5] وفي الرواية الأولى « وأما الضاد فإنها تحدث عن حبس تام يتقوم موضع الجيم، وتقع في الجزء الأملس حتى إذا أطلق أقيم في مسلك الهواء رطوبة واحدة أو رطوبات تتفقع في الهواء الفاعل للصوت وتمتد عليها فتحبسه حبسا ثانيا، ثم تنشق وتتفقأ فيحدث شكل الضاد».[6]

ولا يشير ابن سينا (ت 427هـ) إلى ميزة الضاد كونها تخرج من الشدق سواء الأيمن أم الأيسر.[7] وهي عند سيبويه(ت 180هـ) «من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد».[8] وهي بذلك منفردة بهذا المخرج إذ «ليس شيء من موضعها غيره».[9] وابن سينا (ت 427هـ) لم يشر إلى ذلك إلا كونها مطبقة في الرواية الثانية.

---

[1] - الرعاية ص 153.
[2] - يقصد مخرج الجيم.
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 119
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 119
[5] أسباب حدوث الحروف ص 119
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 119
[7] - ينظر المقتضب 1/193
[8] - الكتاب 4/433
[9] - الكتاب 4/436

والضاد من أصعب الحروف إخراجا، يقول مكي بن أبي طالب: «والضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج وأشدّها صعوبة على اللافظ».[1] ومخرجه عند القرطبي(ت 461هـ) «من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس...إن شئت أخرجتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الأيسر،وذكر سيبويه(ت 180هـ) في ذلك مقالا».[2] وعلى هذا سار مكي بن أبي طالب فقال: «تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس».[3] وهذا ما جاء في الكشف[4]، دون تحديد الجهة اليسرى أو اليمنى. ويعلل إبراهيم أنيس إخراج الضاد من أحد الجانبين بمرور الهواء في الفم جانبيا، وهي الحالة التي انتفت في نطق الضاد الحديثة. لكنه لم يعلل صعوبة النطق بها، يقول: «ويظهر أن الضاد القديمة كانت عصية النطق على أنها في الأقطار التي فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة».[5]

وأخر الداني(ت 444هـ) الضاد إلى ما بعد اللام، إذ جعلها من حافة اللسان وليس طرفه، إذ يجعل لحافة اللسان مخرجان ينسب إليهما حرفان، والضاد من «حافة اللسان من أقصاها إلى ما يلي الأضراس مخرج الضاد».[6] كما لم يحدد مخرجه بدقة ولكن ذكر صفاته، وأوصى القراء بأن «يلّخصوا لفظه ويتعلموا بيانه»[7]، خاصة من حرف الظاء، في قوله: «أكد ما على القراء أن يلخصوه من حرف الظاء بإخراجه من موضعه وإبقائه حقه، فينبغي أن ينعم بيانه ليتميز بذلك»[8]، وكذا حرف الذال.[9]

و يوضح مكي بن أبي طالب سهولة انتقال لفظ الضاد إلى أصوات أخرى،عند التفريط في إخراجه إخراجا صحيحا، فيصبح حرفا آخر في صورة نطق الضاد، يقول: «... فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ

[1] - الرعاية ص 159.
[2] - التوضيح ص 34.
[3] - الرعاية ص 158.
[4] - ينظر الكشف 1/139.
[5] - الأصوات اللغوية ص 49.
[6] - الإدغام ص 54.
[7] - التحديد ص 163.
[8] - التحديد ص 164.
[9] - ينظر التحديد ص 165.

بها، ومتى فرّط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال، فيكون مبدلا ومغيرا».[1] فيلتقي كل من الداني(ت 444هـ) ومكي بن أبي طالب في أن الضاد قد ينحرف إلى الظاء وهذا لتشابههما في الصفات «والضاد يشبه لفظها بلفظ الظاء.. ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة، لكان لفظهما واحد، ولم يختلفا في السمع»[2]، مما يجعل الاختلاف في النطق قائم على اعتبار الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا والضاد من طرف اللسان والأضراس أي جانبية، وينبه الداني(ت 444هـ) ومكي بن أبي طالب على عدم نقل الضاد إلى الظاء أو الذال، وهذا دليل على أن الضاد قد بدأت تفقد صفة مرور الهواء على جانبي الفم.

وقد دفع هذا بعض الباحثين المحدثين إبراهيم أنيس وعبد العزيز الصيغ إلى التفريق بين الضاد القديمة والضاد الحديثة[3]، فكان الاختلاف في تحديد مخرجها دليل على تغير نطقها وتحوّل إخراجها. فقد «عدّها القدماء من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ويعدها المحدثون من الأصوات الأسنانية اللثوية، ولعل السبب في ذلك كامن في تغير نطق هذا الصوت من القديم».[4]

اللام

يجعل القرطبي(ت 461هـ) اللام «من حافة اللسان من أدناها إلى مستدق طرفه من بينها وبين يحاذيها من الحنك الأعلى مما فويق الضّاحك والنّاب والرّباعية والثنية»[5]، وقد تبنى ابن الجزري هذا التعريف.[6] أما الداني(ت 444هـ) فقد أخر الحديث عن اللام إلى آخر الحروف، فذكرها قبل الضاد، وأخر اللام مع الضاد وجعلها تخرج من «حافة اللسان من أدناها إلى ما يلي منحرفة الثنايا العليا».[7] أما مكي بن أبي طالب فيقول عن مخرجها

---

[1] - الرعاية ص 159.
[2] - الرعاية ص 158.
[3] - ينظر الأصوات اللغوية ص 48و 49، والمصطلح الصوتي ص 74.
[4] - المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د/عبد القادر مرعي الخليل(ت 175هـ) ص 72.
[5] - الموضح ص 35.
[6] - ينظر النشر 1/200.
[7] - الإدغام ص 54.

أنها «نخرج من المخرج الخامس من مخارج الفم، بعد مخرج الضاد، وهي تخرج من حافة اللسان أدناها إلى منتهى طرفه اللسان وأصول الثنايا».[1]

وعند ابن سينا (ت 427هـ) فإن اللام تحدث «بحبس من طرف اللسان رطب غير قوي جدا، ثم قلع إلى قدام قليلا، والاعتماد فيها على الجزء المتأخر من اللسان المماس لما فوق أكثر من الاعتماد على طرف اللسان، وليس الحفز للهواء بقوي»[2]، وعلاقة اللام بالطاء هو الحفز والشد القوي للهواء إذ يقول :« ولو كان الحفز والشّد قويّا خرج حرف كالطاء»[3]، مما ينفي عن اللام صفة الإطباق.

ويوضح ابن سينا (ت 427هـ) بصورة أكبر ما يحدث للسان والهواء أثناء حدوث اللام بقوله: وإن كان طرف اللسان متعرضا للموضع الذي يمسه في اللام من غير مس صادق ولا التصاق برطوبة، ثم عرض حافتاه بالعضلتين المطولتين تعريضا أقوى من تعريض الطرف نفسه، وحمل عليه بالهواء حتى نفضه وأرعده، كما تفعل الريح بكل لين متعرض له متعلق من طرف منه بشيء بحصر وبحفز قوي إلى التجويف الذي في آخر المنخر ليدور فيه ويفعل دويان ثم يطلقان معا».[4]

فاللسان يتعرض للتحريك أو النقض أو الارتعاد دون أن يكون ذلك اهتزازا لأن اللسان ليس حرا تماما لاحداث تكرار، فقد شبهه ابن سينا (ت 427هـ) بمرور ريح على شيء لين، وبما أن طرف اللسان غير طليق يمنع الهواء من المرور، فإن الهواء حسب ابن سينا (ت 427هـ) يحفز حفزا قويا إلى التجويف الذي في آخر المنخر ليدور فيه ويحدث صوتا ثم يطلق الهواء مع اللسان فيحدث اللام. وقد وصف مخرجه المبرد قائلا« وتخرج اللام من حرف اللسان، معارضا لأصول الثنايا، والرباعيات».[5] ويرى المبرد أن الطاء واللام والجيم وحروف أخرى « يخرج بعضها من مخرج بعض، إلا

[1] - الكشف 1/139.
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 123
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 123
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 123 و 124
[5] - المقتضب 1/193

أنها تختلف فـي الهيئة».[1] وقـد عبر عـن ذلـك المـبرد بقـولـه أن اللام بصـفة الانحـراف الخاصة به يشارك أكثر الحروف.[2]

النون

يقارب ابن سينا (ت 427هـ) بين النون والباء في حبس الهواء بطـرف اللسـان وما فوق الثنايا بدل الشفتين بالنسبة للباء، وتسريب جل الهواء إلـى الخيشـوم بـدل الفم، فيقول في هذا في الرواية الأولى: «وإن كان بدل الشـفتين طـرف اللسـان وعضـو آخـر حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفة يقاوم الهواء بالحبس ثـم يسـرب أكـثره إلـى ناحية الخيشوم كانت النون».[3] وهي قريبة من الباء من حيث حبس الهواء «فإن الحبس فيها أرفع قليلا من الحبس الطبيعي للباء، وبطرف اللسـان، إلا أن جـل الهـواء يصـرف فيها إلى غنة المنخر فتكون أرطب وأدخل حبس وأكـثر دويـا وغنـة».[4] لقـد قـارب بيـن النون والباء لأن هذه شديدة والنون غير ذلك كونـها«خالصة من الخياشـيم».[5] وهـي مـن الحروف المتوسطة، ورغم اشتراك الميم مع النون في تسرب الهـواء مـن الخياشـيم إلا أن ابن سينا (ت 427هـ) لم يذكر ذلك.

وعند القرطبي(ت 461هـ) تخرج النون من «طرف اللسان وبين ما فويق الثنايا».[6] ولم نجد ما يحدد مخرج النون عند الداني(ت 444هـ) في التحديد إلا من الخيشوم لتوضيح الغنة الخاصة بالنون والميم حيث يقول: «...ألا ترى أنك إذا أمسكت بأنفك ثم نطقـت بهمـا لم يجر فيهما صوت الغنة».[7] يدرك الداني(ت 444هـ) أن للسان دورا في إخـراج النـون بدليل نفي دوره في حالة إخفـاء النـون والتنـوين[8] فـي قـولـه: «...فأخفيـا فصـارا عنـدهن لا

[1] - المقتضب 1/193
[2] - المقتضب 1/193
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 83
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 83
[5] - المقتضب 1/194
[6] - الموضح ص 35.
[7] - التحديد ص 111.
[8] - التنوين هو نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظا وتفارقه في الخط والوقف، وعلامته الضمتان أو الفتحتان، أو الكسرتان، والنون الساكنة هي التي لا حركة لها. ينظر مرشد المريد إلى علم التجويد، د/ محمد سالم محيسن، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1986، دار الغد العربي القاهرة، مصر، ص 8.

مظهرين ولا مدغمين، وغنتهما مع ذلك باقية، ومخرجهما من الخيشوم خاصــة، ولا عمـل للسان فيهما».[1] فيجعل مخرج النون «من مخـرج واحـد، وهـو طـرف اللسـان ومـا يتصـل بالخياشم».[2]

أما القيسي فيرى أن «النون تخرج من المخرج السادس من مخارج الفم فـوق اللام قليلا أو تحتها قليلا على الاختلاف في ذلك».[3] وفي الكشف يفصل في ذلـك بجعلهـا تحـت اللام في قوله: «ثم النون من أسفل اللام مما يلي الثنايا»[4]، لأنهمـا متقاربتـان فـي المخـرج متحدتان في الصفات مما يجعل النون مؤاخية للام، فتنحرف هذه إلى مخرج النـون.[5] لهـذا أبدلت النون من اللام واللام من النون، مثل ما ورد عن ابن جني في قـولـه: «وأبـدلوا اللام من النون في أصـيلان، فقـالوا أصـيلال».[6] وكـذا مـا روي عـن أبـي النجم: أغـد لعنّـا فـي الرهان نرسله، أي لعلنا.[7] ويذكر ابن أبي طالب أن العرب تقول هتنت السماء، وهتلت إذا هطل المطر بقوة، كما ذكر سدن وسدل.[8]

إن الخيشوم أساسي في إخراج النون، وقد فصل إبراهيم أنيس فـي وصـف مخـرج النون من الرئتين إلى الفم حيث يقول: «ففي النطـق بـه ينـدفع الهـواء مـن الرئتيـن محركـا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، حتى إذا وصل إلى الحلق هبـط أقصـى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم، ويتسـرب الهـواء مـن التجويـف الأنفـي محـدثا فـي مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع».[9]

---

[1] - التحديد ص 117.
[2] - الإدغام ص 54.
[3] - الرعاية ص 167.
[4] - الكشف 1/139.
[5] - الرعاية ص 167.
[6] - سر الصناعة 1/321.
[7] - ينظر سر الصناعة 2/443.
[8] - ينظر الرعاية ص 167 وما بهامشها.
[9] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 66.

الرّاء

مخرج الرّاء عند القرطبي(ت 461هـ) «من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام».[1] وأورد مكي بن أبي طالب أن اللام والنون والرّاء أخوات، ومن مخرج واحد، يقول: «وقد قيل: إن اللام والنون والراء أخوات في المخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا».[2] و هذا ما توصل إليه المحدثون في كون هذه الأصوات من مخرج واحد وهو اللثة.[3] ويطابق تعريف الداني(ت 444هـ) تعريف القرطبي(ت 461هـ) فالراء عنده «من مخرج واحد، وهو طرف اللسان، غير أنه أدخل في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام».[4] وهذا ما أورده مكي بن أبي طالب إذ يقول: «وكذلك الراء تخرج من مخرج النون غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا»[5]، فيرى أن الراء حرف يؤاخي النون واللام، لأنه من مخرج النون، ولأنه ينحرف إلى مخرج اللام.[6]

الطاء

يضع ابن سينا (ت 427هـ) الطاء والتاء والدال كلها من مخرج واحد، من المقدم من السطح الممتد على الحنك، وتحدث كلها من حبسات تامة وقلع ثم إخراج الهواء دفعة.[7] وقد عبر سيبويه(ت 180هـ) عن وحدة مخرجها بقوله:« ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء».[8]

وتصدر الطاء حسب ابن سينا (ت 427هـ) بأن «تحبس في ذلك الموضع بجزء من طرف اللسان أعظم، ووراءه بضلعي اللسان وتقعر وسط اللسان خلف ذلك المحبس ليحدث هناك للهواء دوي عند الإفراج ثم يقلع ويكون الحبس بشد قوي».[9] ولقد

---

[1] - الموضح ص 35.
[2] - الرعاية ص 139.
[3] - ينظر المصطلح الصوتي عند علماء العربية ص 72.
[4] - الإدغام ص 54.
[5] - الكشف 1/139.
[6] - ينظر الرعاية ص 169.
[7] -ينظر-أسباب حدوث الحروف ص 121
[8] - الكتاب 4/433
[9] - الكتاب 4/433

وصف ابن سينا (ت 427هـ) الطاء بالقلع بعد الحبس، فهي شديدة ويصف الإطباق فيها، والذي يحدث في اللسان وعبر عنه بالدوي.

كما ورد عنده أيضا في الرواية الأولى من أسباب حدوث الحروف «وأما الطاء فهي من الحروف الحادثة عن القلع دون القرع أو مع القرع، وإنما تحدث عن انطباق سطح اللسان أكثر مع سطح الحنك والشجر، وقد يبرأ منها عن صاحبه وبينهما رطوبة فإذا انقلع عنه وانضغط الهواء الكثير سمع الطاء».[1]

ويجمع القرطبي(ت 461هـ) كذلك الطاء مع الدال والتاء ويجعلها من مخرج واحد، وهو«مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العلى مصعدا إلى الحنك».[2] وعلى هذا الرأي يذهب الداني(ت 444هـ)، فيقول: «الطاء والدال والتاء من مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا».[3] ويخص الطاء بالزامية «إنعام بيانه وبسط اللسان به».[4] وهذا وصف لصفة الإطباق التي تخص بها الطاء دون الدال والتاء. ويقف مكي بن أبي طالب مع القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ) في مخرج الطاء ولا يختلف معهم فيقول أنها «تخرج من المخرج الثامن من مخارج الفم، تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا».[5]

الدال

هي عند القرطبي(ت 461هـ) مع الطاء والتاء من المخرج عينه، وإلي ذلك ذهب الداني(ت 444هـ)،\ ولم يختلف معهما مكي بن أبي طالب القيسي فقال: «تخرج من مخرج الطاء المذكور».[6]

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 79
[2] - الموضح ص 35.
[3] - الإدغام ص 54.
[4] - التحديد ص 139.
[5] - الرعاية ص 172.
[6] - الرعاية ص 175.

والطاء والدال متفقان في المخرج وكذا في صفة الجهر لكنهما يختلفان في الإطباق ولولا ذلك لكانت الدال طاء والعكس كذلك، فلولا «التسفل والانفتاح اللذان في الدال لكانت طاء، كذلك لولا الأطباق والاستعلاء اللذان في الطاء لكانت دالا فإنما فرق بينهما في السمع اختلاف بعض الصفات لا غير».[1]

ويتفق هذا مع ما جاء عند ابن سينا (ت 427هـ) إذ تناقض الدال الطاء في الإطباق، وتختلف عنها وعن التاء في احتباس الهواء من حيث الكم مقارنة مع التاء، وتشترك الدال والطاء والتاء «في أن القلع بجرم رطب لين عن جرم صلب».[2] يقول : «أما الدال فتفارق الطاء إذ لا إطباق فيها وتخالف الطاء والتاء إذ الحبس فيه غير قوي، وعساه أن يكون في الكم أقل قليلا من حبس التاء».[3] أما في الرواية الأولى فيجعل حبس الهواء في التاء والدال متماثلان والكيف هو صانع الدال يقول:« وإن كان بحبس مثل حبس التاء في الكم وأضعف منه في الكيف سمع الدال».[4]

التاء

عند ابن سينا (ت 427هـ) فإن التاء كالطاء «إلا أن الحبس بطرف اللسان... وبجزء أقل ولكن مثل الطاء في الشدة».[5] وكذا عند القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ) فهي من مخرج الطاء والدال، وهو رأي مكي بن أبي طالب، إذ يقول: «التاء تخرج من مخرج الطاء والدال المذكور، وهو المخرج الثاني من مخارج الفم».[6] ولم يختلف الأمر لمن جاء بعدهم، فابن الجزري مثلا يقول: «الطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك».[7] وينسب هذه الأصوات الثلاثة إلى قطع الغار الأعلى، فوصفها بالنطقية.[8]

---

[1] - الرعاية ص 175.
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 122
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 79
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 79
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 79
[6] - الرعاية ص 178.
[7] - النشر 1/200.
[8] - ينظر النشر 1/200.

ويبدل الدال من التاء لقربهما من بعضهما البعض وذلك في صيغة افتعل، يقول ابن جني: «وأما البدل فإن فاء افتعل إذا كانت زايا قلبت التاء دالا، وذلك نحو ازدجر وازدهر... وأصل هذا كله ازتجر، وازتهى».[1] ويعلل ذلك مكي بن أبي طالب أنه لما وقعت التاء وهي حرف ضعيف مهموس بين حرفين مجهورين قويين أبدلت التاء دالا حتى توازن بين قوة لما قبلها وما بعدها، وأقرب الحروف إليها الدال إذ الفرق بينهما هو الجهر، إذ لولا الهمس الذي في التاء لكانت دالا والعكس أيضا، كما أن المخرج واحد.[2] وأورد ابن جني أن العرب قالت: «ناقة تربوت، وأصلها دربوت، وهي فعلوت من الدربة أي: هي مذللة، فالتاء بدل من الدال».[3]

كما تبدل التاء من الطاء، جاء عن ابن جني ذلك في قوله: «وأما قولهم في فسطاط، فستاط، فالتاء فيه بدل من الطاء لقولهم في الجمع فساطيط، ولم يقولوا: فساتيط، فالطاء أتمم تصرفا»[4]، وإلى هذا خلص مكي بن أبي طالب، إذ يقول: «وإذا لقيت التاء الساكنة طاء، أبدل منها طاء».[5]

الصاد

تشبه السين إلا أن تسرب الهواء « يأخذ من اللسان جزءا أعظم طولا وعرضا، ويحدث في اللسان كالتقعير حتى يكون لانفلات الهواء كالدّويّ».[6] وقد يكون ذلك صفة الإطباق للصاد دون السين، وفي الرواية الأولى يقارن ابن سينا (ت 427هـ) بين مخرج السين والصاد فيحدد الفروق قائلا:« وأما الصاد فيفعله حبس غير تام أضيق من حبس السين وأيبس، وأكثر أجزاء حابس طولا إلى داخل مخرج السين وإلى خارجه، حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي السطح المفروق تحت الحنك

[1] - سر الصناعة 1/185.
[2] - ينظر الرعاية ص 178 وسر الصناعة 1/183 و 186.
[3] - سر الصناعة 1/157.
[4] - سر الصناعة 1/157.
[5] - الرعاية ص 178.
[6] - الرعاية ص 120

والشجر، ويتسرب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء كثير منه من وراء، ويخرج من خلل الأسنان».[1]

وخروج الهواء من خلال الأسنان هي صفة ذكرها ابن سينا (ت 427هـ) في الصاد والسين مما يعطي للصوتين صفة الصفير لتسرب الهواء خلال الأسنان. ويجمع ابن سينا (ت 427هـ) بين السين والصاد والضاد بأن ليس فيها «تهزيز رطوبات ولا تهزيز سطح».[2]

وتنتمي الصاد إلى كل من السين والزاي، فهي من مخرج واحد حسب القرطبي(ت 461هـ): «مما بين طرف الثنايا السفلى وطرف اللسان».[3] وهذا أيضا ما أورده الداني(ت444هـ) يقول: «والصاد والسين والزاي من مخرج واحد حسب القرطبي(ت 461هـ) وهو«مما بين طرف الثنايا السفلى».[4] وأخر مكي بن أبي طالب الصاد بعد الزاي والسين ويجعلها أيضا من مخرج واحد، فالصاد: «تخرج من مخرج الزاي والسين، وهو المخرج التاسع من مخارج الفم المذكورة».[5]

وأخر مكي بن أبي طالب الصاد في الترتيب بعد السين والزاي، يقول: «ثم الزاي والصاد والسين أخوات، يخرجن مما بين طرف اللسان و فويق الثنايا السفلى»[6]، وفي الرعاية يجعل الصاد بعد الزاي والسين. وأبرز المحدثون كإبراهيم أنيس دور اللسان في إخراج الصاد فوصفوا وضعيته حين النطق بها، يقول إبراهيم أنيس: «فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعا مخالفا لوضعه مع السين، إذ يكون مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى، مع تصعد أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك ومع رجوع اللسان إلى الوراء قليلا ككل الأصوات المطبقة».[7]

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 77
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 120
[3] - الموضح ص 35.
[4] - الإدغام ص 54.
[5] - الرعاية ص 189.
[6] - الكشف 1/139.
[7] - الأصوات اللغوية ص 76.

والصاد أقرب الحروف إلى السين «فاللسان لا ينزع من لفظ الصاد إلا إلى لفظ السين، ولا من لفظ السين إلا إلى لفظ الصاد».[1] فأثبت ابن جني جواز إبدال الصاد من السين كما في سلهب وصلهب.[2] وأثبت الأصمعي الحرفين معا مما يدل على أنهما لغتان اثنتان وليس إبدال.[3]

السين

يذكر ابن سينا (ت 427هـ) أن مخرجها كمخرج الضاد والجيم ولكن «الاعتماد فيها على الفرج التي بين الأسنان بتمامها، وحبسها غير تام، ولا يعرض لهوائها رطوبة تتفرقع».[4] فيرى في الرواية الأولى أن السين كالصاد والتي جعلها قبل السين، والفرق بينهما اعتماده على طرف اللسان في اللسان لما في إخراجها، يقول: «وأما السين فتحدث مثل حدوث الصاد إلا أن الجزء الحابس من اللسان فيه أقل طولا وعرضا وكأنها تحبس العضلات التي في طرف اللسان لا بكليتها بل بأطرافها».[5]

وهي الثانية من حيث الترتيب بعد الصاد، ومن مخرج واحد عند القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ) أما عند مكي بن أبي طالب فيجعلها الثانية قبل الصاد وبعد الزاي وهي من مخرج الزاي والصاد، يقول: «السين تخرج من مخرج الزاي، وهو المخرج التاسع من مخارج الفم، فهي أخت الزاي في المخرج والصفة».[6]

ويرى إبراهيم أنيس أن اتصال اللسان يكون بالثنايا السفلى أو العليا على حدّ سواء، ويوضح طريقة إنتاج السين من خروج الهواء من الرئتين ومروره بالحنجرة دون إحداث اهتزاز ظاهر بالوترين الصوتيين، ثم بالحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو: «التقاء

---

[1] - الرعاية ص 189.
[2] - ينظر سر الصناعة 1/209.
[3] - سر الصناعة 1/210.
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 119و 120
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 77
[6] - الرعاية ص 185.

اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدّا يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصفير العالي، هذا إلى اقتراب الأسنان العليا من السفلى في حالة النطق بهذا الصوت».[1]

والسين كما ذكر سابقا في الصاد متقاربين بل متحدين في المخرج والصفة ولا فرق بينهما إلا في الإطباق والاستعلاء، يقول مكي بن أبي طالب القيسي: «فاعرف من أين اختلف السمع في هذه الحروف والمخرج واحد، والصفات متفقة».[2]

الزاي

يجعلها مكي بن أبي طالب على رأس المجموعة إذ بدأ بالزاي ثم السين ثم الصاد، في حين ذكرت الزاي عند القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ) في آخر المجموعة. تخرج الزاي «من المخرج التاسع من مخارج الفم، من ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى».[3] والزاي والسين متآخيان فلا فرق بينهما إلا في الجهر والهمس.

وورد عند ابن سينا (ت 427هـ) الزاء وذكر أنها قريبة من مخرج السين والصاد «ولكن يكون طرف اللسان فيها أخفض، وما بعده أقرب وأرفع من سطح الحنك كالمماس بالعرض أجزاء دون أجزاء، ولكنها أقل أخذا في الطول مما يأخذه المقرب من سطح الشجر والحنك في الشين والغرض في ذلك أن يحدث هناك اهتزاز على سطح اللسان وسطح الحنك»[4].

ومن صفات هذا الصوت اجتماع الصفير مع الاهتزاز الذي كالتكرار الواقع في صوت الراء،يقول ابن سينا (ت 427هـ): «...ليجتمع ذلك الاهتزاز مع الصفير الذي يكون مع تسرب الهواء في خلل الأسنان».[5] والزاي خلاف ذلك يشبه السين فيكتسب صفة الصفير،أما الاهتزاز فيحدث على نحو التكرار في الراء « إلا أن الذي

[1] - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 76.
[2] - الرعاية ص 185.
[3] - الرعاية ص 183.
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 120
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 120

في الراء إنما يقع ارتعاد سطح اللسان في الطول، وهاهنا في العرض، فيكون إذن هاهنا ما يوجبه الاهتزاز من اختلاف المسموع معا، وهناك واحدا بعد آخر فيتكرر».[1]

وقد أعطى المبرد لصفة الصفير في الحروف الثلاثة السين والصاد والزاي لفظ الانسلال، ولا بد أن ذلك صفة لخروج الهواء، فيأخذ بهذا صفة التسريب، يقول: «وهي حروف تنسل انسلالا وهي السين، والصاد، والزاي».[2]

الظاء

يشركها القرطبي(ت 461هـ) مع الذال والثاء في مخرج واحد وهو «مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى».[3] وهو ما ذكره الداني(ت 444هـ) في قوله: «والظاء والثاء والذال من مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا».[4] والأمر عينه عند مكي بن أبي طالب الذي اعتبر الظاء والذال أخوات في المخرج وهو «من طرف اللسان وأصول الثنايا»[5]، دون أن يحدد العليا أو السفلى. لكنه أفرد الظاء بقوله أنها «أمكن مماسه للثنايا للأطباق والاستعلاء الذين فيهما».[6] فلا بد أن تكون هذه الثنايا هي العليا، فالظاء حسب مكي بن أبي طالب «تخرج من المخرج العاشر من مخارج الفم، وذلك ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى».[7]

وتختلف الظاء عن الضاد في المخرج لكن يتحدان في الصفات خاصة الإطباق والاستعلاء ما عدا الرخاوة، ويعزو مكي بن أبي طالب أن التقارب في الصفات بين الظاء والضاد يجعل الضاد تخرج وتنحرف إلى الضاء أو حتى الذال.[8] فالطاء يمكن أن تكون ضادا لولا اختلاف المخرجين وزيادة الاستطالة في الضاد.[9]

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 120
[2] - المقتضب 1/193
[3] - الموضح ص 36.
[4] -الإدغام ص 54.
[5] - الكشف 1/139.
[6] - الكشف 1/139.
[7] - الرعاية ص 194.
[8]- ينظر الرعاية ص 194.
[9] - ينظر الرعاية ص 194.

لهذا وجب توضيح وتبيان الحرف عند نطقه خاصة حين مجاورته للذال لاتحاد مخرجيهما والافتراق في صفتي الأطباق والاستعلاء فحسب. وأثبت ابن جني أن الظاء تبدل من الذال لما رواه عن قول بعضهم، تركته وقيذا ووقيظا، يقول ابن جني: «والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه: "والموقوذة" بالذال، ولقولهم وقذه، يقذه، و لم أسمع وقظه ولا موقوظة، فالذال إذن أعم تصرفا، ولذلك قضينا بأنها هي الأصل».[1]

لم يتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن حرف الظاء مع الضاد، لكن ابن سنان فعل ذلك، فذكر الظاء باعتبارها حرفا من الحروف الخاصة بلغة العرب ويقول: «...مما اختصت به لغة العرب من الحروف وليس هو في غيرها حرف الظاء، وقال آخرون :حرف الظاء والضاد».[2] وقد أشار إليها سيبويه(ت 180هـ) ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[3] كما أشار إلى الضاد الضعيفة، والتي يحددها سيبويه(ت 180هـ) بقوله :« الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف».[4]

والمؤكد أن صوتي الضاد والظاء قد أثبتا في السلسلة الصوتية للغة العربية والحديث عنها ومقارنتها كان مثبتا بدليل ما ذكره ابن سنان:«...على حد تشابه الظاء والضاد في لغة العرب، فإن هذين الحرفين متقاربان، لأجل ذلك احتاج الناس إلى تصنيف الكتب في الفرق بينهما».[5] والظاء هي في المخرج قبل الذال حسب ابن سينا (ت 427هـ) وهي «ليست عن حبس تام مثل الإشمام بجزء صغير من وسط اللسان يتوخى به أن يكون أصل اللسان».[6]

---

[1] - سر الصناعة 1/228.
[2] - سر الفصاحة لابن سنان ص 47
[3] - الكتاب 4/433
[4] - الكتاب 4/432
[5] - سر الفصاحة ص 47
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 122و 123

وقد جاءت في الرواية الثانية بعد الذال، وفي الأولى قبلها. فالظاء حسب ابن سينا (ت 427هـ) تسبق الذال في المخرج، ويحدد مخرجها من طرف اللسان عن حبس غير تام دون مرور الهواء من خلل الأسنان، ورغم سماع صفير خفي إلا أنه لا يجعلها من الأصوات الصفيرية. وتتضح صورة حدوث الظاء بصورة أيسر حين يقول: «وإن كان حبس كالإشمام بجزء صغير من طرف اللسان، وإمرار الهواء المطلق بعد الحبس على سائر سطح اللسان على رطوبته، وحفز له جملة، سمع الظاء».[1]

الذال

يؤخر مكي بن أبي طالب الذال عن الظاء والثاء في الرعاية عكس ما أورده في الكشف وكذا ما أورده القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ)، والذال «تخرج من مخرج الظاء والثاء المذكور، وهو المخرج العاشر من مخارج الفم».[2] والذال قريبة من الظاء والثاء على حدّ سواء، فهي جميعا من مخرج واحد، مما يجعلها متقاربة، و يبقى الاختلاف فقط في الصفات، ويوضح مكي بن أبي طالب ذلك في قوله: «لولا الرخاوة التي في الذال مع الجهر لكانت ثاء، كذلك لولا الهمس الذي في الثاء مع الشدة لكانت ذالا، كذلك لولا الانفتاح الذي في الذال لكانت ظاء».[3]

ورغم التقارب الواضح بين الذال والثاء فلا إبدال بينهما لأنها لغات، يذكر ابن جني: «وأما قولهم جذوت وجثوت، إذا قمت على أطراف أصابعك فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه، بل هما لغتان».[4]

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 80

[2] - الرعاية ص 198.

[3] - الرعاية ص 198.

[4] - سر صناعة الإعراب 1/189و 180.

ويرى ابن سينا (ت 427هـ) أن الذال تفرق عن الثاء «بالاهتزاز إلا أن الحبس يقصر منه ومن الصفير»[1]، ونسبتها إلى الزاي نسبة الثاء إلى السين[2]، وذلك لوجود اهتزاز يصاحب الذال عند محاولة خروج الهواء من خلال الأسنان الذي يسد في الذال بمقدار أقل من الزاي فقد جاء في الرواية الأولى «... وهو أنه لا يمكّن هواؤه حتى يستمر جيدا في خلل الأسنان بل يسد مجراه من تحت، ويمكّن من شمه من أعاليه، ولكن يكون في الذال قريبا من الاهتزاز الذي يكون في الزاي».[3]

الثاء

يعد ابن سينا (ت 427هـ) الثاء قريبة من التاء إذ تخرج من موضعها «فتخرج باعتماد من الهواء عند موضع التاء بلا حبس، وبحبس عند طرف الأسنان، ليصير الخلل أضيق، فيكون صفير قليل مع القلع»[4]، وهي قريبة من السين، بل يذهب ابن سينا (ت 427هـ) إلى أن الثاء «سين تلوفيت بحبس وتضييق فرج مسلك هوائها إصفارّ».[5] فالثاء تاء غير أن حبس الهواء غير تام وإطلاقه يصاحبه صفير أضعف من صفير السين لأن «طرف اللسان يكون أرفع وأحبس للهواء من أن يستمر في خلل الأسنان جيدا، وكأنه ما بين أطراف الأسنان سمع الثاء».[6] فطرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الثاء، وطرف اللسان وأصول الثنايا مخرج التاء.

وهي عند القيسي من مخرج الظاء، وهو المخرج العاشر من مخارج الفم[7]، وأخرت في الترتيب عند القرطبي(ت 461هـ) والداني(ت 444هـ)، لكن مكي بن أبي طالب جعلها بين الظاء والذال في كتابه الرعاية.

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 80
[2] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 80
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 81
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 81
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 79
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 80
[7] - الرعاية ص 197.

وتبدل الثاء من الفاء: يقول ابن جني: «...يقال: هي فروغ الدلو وثروغها... فالثاء إذن بدل من الفاء لأنه من التفريغ».[1] كما تبدل الفاء من الثاء يقول ابن جني: «فأما قولهم في أثاف أثاث بالثاء...فالثاء الثانية في أثاث بدل من الفاء...فجائز أن تكون الثاء بدلا من الفاء».[2]

الفاء

تخرج الفاء عند القرطبي(ت 461هـ) «من باطن الشّفة السفلى وأطراف الثنايا العليا».[3] فهي أولى حروف الشفاه خروجا، وهي عند الداني(ت 444هـ) ما ذكره القرطبي(ت 461هـ)[4]، ولم يختلف معهما مكي بن أبي طالب فالفاء عنده «تخرج من المخرج الحادي عشر من مخارج الفم، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا».[5] وعدّ مكي بن أبي طالب حروف الشفاه أربعة، لكنه خصّ الفاء بقوله: «الفاء منفردة»[6]، وعبر الداني(ت 444هـ) عن ذلك بقوله: «فالفاء من مخرج واحد»[7]، لأنها صوت جمع في مخرجه الأسنان إلى الشفاه، ويتفق بهذا المحدثون مع هذا الرأي إذ يعتبرونه شفوي أسناني[8]، ويستعمل إبراهيم أنيس تعريف الفاء نفسه الوارد عند القدامى وهو، «بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا».[9]

ويجمع ابن سينا (ت 427هـ) بين الفاء والباء مميزا بينهما، فهما حرفان شفويان، لكن الفرق بينهما هو في حبس الهواء. ففي الباء يكون تاما، وفي الفاء غير تام، مما يجعل الأولى شديدة والثانية رخوة. فهما متقاربان كتقارب الهمزة والهاء، يقول

[1] - سر الصناعة 1/173.
[2] - سر الصناعة 1/173.
[3] - الموضح ص 36.
[4] - ينظر الإدغام ص 78.
[5] - الرعاية ص 201.
[6] - الكشف 1/139.
[7] - الإدغام ص 78.
[8] - ينظر الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص 46 والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 84.
[9] - الأصوات اللغوية ص 46.

ابن سينا (ت 427هـ): «ونسبة الفاء إلى الباء نسبة الهاء إلـى الهمـزة».[1] كمـا ذكـر ابـن سينا (ت 427هـ) أن الحبس فيها غير تام.[2]

أما كيفية صدور صوت الباء فيكون «بحبس تام قوي لالتقاء جرمين لينيـن ثـم انقلاعهما، وانحفاز الهواء المصوت دفعة إلى الخارج».[3] أما الفاء « فيكون الحبس فيها غير تام بل بأجزاء من الشفة مضـيقة غيـر متلاقيـة، ومعـه إطلاق مسـتمر فـي الوسـط فيفعل حبس أطراف المخرج باهتزازه وبمجازه كالصفير الخفي».[4]

ويعد القيسي صوت الفاء قريب من الثاء لقرب مخرجيهما، وتقاربهما في الصـفات عدّا الشدّة، ولهذا تبدل الفاء من الثاء والثاء من الفاء أيضا، نحو:جدث، وجدف.[5] وقد يقـول ابن جنـي: «...إن العـرب تقـول فـي العطـف: قـام زيـد فـمّ عمـرو، وكـذلك قـولهم: جـدف وجدث:والوجد أن تكون الفاء بدلا من الثاء، لأنهم قد أجمعها فـي الجمـع علـى أجـداث، لـم يقولوا أجداف».[6]

الباء

يجعل القرطبي(ت 461هـ) مخـرج البـاء مـع الميم والـواو«ممـا بيـن الشـفتين».[7] ويختلف الواو عن الياء والميم فـي كـون الشـفتين لا تطبقـان مـع الـواو، وتطبـق مـع البـاء والميم.[8] ولا يفصل في ذلك الداني(ت 444هـ)، ويكتفـي بنسـب مخـرج هـذه الصـفات إلـى الشفتين بقوله: «والياء والميم والواو من مخرج واحد وهو ما بين الشفتين».[9]

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 125
[2] - ينظر أسباب حدوث الحروف ص 72.
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 125
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 125.
[5] - ينظر الرعاية ص 201.
[6] - سر الصناعة 1/248.
[7] - الموضح ص 36.
[8] - ينظر الموضح ص 36.
[9] - الإدغام ص 78.

أما مكي بن أبي طالب فيوضح انطباق الشفتين هو أيضا عند إخراج الباء حيث يقول: «الباء تخرج من المخرج الثاني عشر من مخارج الفم، مما بين الشفتين مع تلاصقهما»[1]، وقد جمع الباء مع الميم والواو في المخرج وقال إنها أخوات ناسبا إياها إلى الشفتين.[2]

وتبدل الباء من الميم لاشتراكها في الصفات وهما من مخرج واحد أيضا، فالفارق بينهما الغنة الموجودة في الميم «فلولا الغنة التي في الميم وجريان النفس معها لكانت باء»[3]، يروى عن الأصمعي أنه ذكر من يقول: با سمك؟، يريد: ما اسمك، فالباء بدل من الميم.[4] ويذكر ابن جني أيضا أن بعض العرب قالت بعكوكة وأصلها معكوكة، فالباء بدل من الميم، لأنها من الشدّة، وهي من المعك أي الدلك.[5]

الميم

ذكرت الميم مع الباء لأنهما من مخرج واحد، فيقول مكي بن أبي طالب: «تخرج من مخرج الياء، وهو المخرج الثاني من مخارج الفم».[6] والميم مؤاخية للباء كما ذكرنا آنفا، وأيضا مؤاخية للنون بسبب الغنة الموجودة فيهما، إذ كلا من الميم و النون تخرجان من الخيشوم.[7] لذا تبدل الميم نونا والنون ميما على نحو ما قالت العرب: «مجر الرجل من الماء،ونجر إذا أكثر من شربه»[8]، والميم يبدل من حروف أربع هي: الواو، والنون واللام والياء.[9] ولابن جني قول في إبدال الميم من الواو كما في فم إذ الأصل فوه.[10] ومن اللام ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس امبّر امصيام في امسفر)، ويرى ابن جني أن هذا شاد لا يجوز القياس عليه.[11]

---

[1] - الرعاية ص 203.
[2] - ينظر الكشف 1/139.
[3] - الرعاية ص 203.
[4] - ينظر سر الصناعة ص 119.
[5] - ينظر سر الصناعة 1/119.
[6] - الرعاية ص 206.
[7] - ينظر الرعاية ص 206.
[8] - الرعاية ص 206.
[9] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/413.
[10] - ينظر سر صناعة الإعراب 1/413
[11] - ينظر سر الصناعة 1/423.

وإن استثنينا اللام، فإن الياء والواو قريبان من الميم من حيث الصفات، وهنّ جميعا من مخرج واحد، فلولا ذلك «لم يختلف السمع بهّن، ولكن في السمع صنفا واحدا».[1]

وتحدث الميم حسب ابن سينا (ت 427هـ) بحبس الهواء فيها حبسا تاما ويكون ذلك بإعانة من الشفتين، ولكن تصريف الهواء على إثر ذلك دفعة واحدة خارج الفم، يقول ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك« وليس تسريب الهواء من القلع إلى خارج الفم كله بل يصرف بعضه قلع دفعة بمقدار الحبس».[2] وفي الرواية الأولى يحدد ابن سينا (ت 427هـ) تصريف الهواء المحبوس فيقول انه ينصرف إلى جزأين أهمهما ذاك المنصرف إلى الخيشوم حيث يحدث صدى لدورانه فتكون الميم مما يجعل الميم قريبة من النون في تسرب بعض الهواء إلى الأنف، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «وأما إذا كان حبس تام غير قوي، وكان ليس الحبس كله عند المخرج بين الشفتين، ولكن بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم حتى يحدث الهواء عند اجتيازه بالخيشوم والفضاء الذي في داخله دويا حدث الميم».[3]

الواو

---

[1] - الرعاية ص 207.

[2] - أسباب حدوث الحروف ص 83.

[3] - أسباب حدوث الحروف 83

الواو صوت شفوي، ويجعله القرطبي(ت 461هـ) من مخرج واحد مع الميم والياء.[1] وهذا ما نجده عند الداني(ت 444هـ)[2]، وكذا مكي بن أبي طالب الذي يقول: «الواو تخرج من مخرج الياء والميم، من المخرج الثاني عشر من بين الشفتين».[3]

ويسميها ابن سينا (ت 427هـ) الواو الصامتة، وهي تحدث حيث الفاء مما يجعلها شفوية، «لكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا ينافس في انضغاطه سطح الشفة، ثم يتم هيئته بقلع أيضا للمقدار المنطبق من الشفة في الفاء».[4] ويذكر ذلك لأنه يرى وجود واو صائتة ضمن المصوتات.

حرفا الغنة

حرفا الغنة عند مكي بن أبي طالب هما «النون والميم الساكنتان».[5] وأما القرطبي(ت 461هـ) فحروف الغنة عنده هي نون ساكنة ومتحركة والميم.[6] ويستعمل الداني(ت 444هـ) حرفا الغنة هما الميم والنون «لأنهما غنة في الخيشوم»[7]، مما يوضح طبيعة الغنة المتحلية في كونها الصوت الخارج من الأنف أو الخيشوم سواء أكانت خالصة أم لا، ويتضح لنا الفرق بين الغنة التي قصدها القرطبي(ت 461هـ) والتي يقصدها القيسي.

أما الأول فقصد بالغنة الصوت المصاحب لصدور النون والميم بدليل قوله: «...الميم أقوى من النون، لأن لفظها لا يزول ولفظ النون قد يزول، فلا يبقى منها إلا غنة».[8] والثاني عدها صفة زائدة لقوله : «...فهي زائدة فيهما [النون والميم الساكنتين]، كالإطباق الزائد في حروف الإطباق، وكالصفير الزائد في حروف الصفير»[9]، وتابعة

[1] - الموضح ص 36.
[2] - ينظر الإدغام ص 78.
[3] - الرعاية ص 209.
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 124
[5] - الرعاية ص 106.
[6] - ينظر الموضح ص 56.
[7] - التحديد ص 111.
[8] - الموضح ص 56.
[9] - الرعاية ص 107.

إذا اعتبر الغنة صوتا غير خالص بل تـابع «والغنـة صـوت يخـرج مـن الخياشـيم تابعـا لصوت الميم والنون الساكنتين، وهي في النون أقوى وأبين».[1]

وصوت الغنة عند ابن سـينا همـا الميم والنـون، فيقـول: «قـد يكـون منهمـا مـا يقصر فيه على الدّويّ الحادث في غنة المنخر».[2]

إن للغنة طابعا مميزا مائعا، فأفرد لها مكي بن أبي طالب بابا جعلها فيه صوتا، مخرجه من المخرج الثالث عشر من مخارج الفم[3]، وهي مـن الخيشـوم ويحـدده بقـوله: «والخيشوم الذي تخرج منه هـذه الغنـة، هـو المركـب فـوق غـار الحلـق الأعلـى، فهـي صوت يخرج من ذلك الموضع».[4]

ويلتقي القيسي مع ابن جني فـي تمييـز الغنـة عـن المتحركـة، حيـث يقـول ابـن جنـي: «...وبذلك على أن النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم، أنـك لـو أمسـكت بأنفك، ثم نطقت بها، لوجدتها مختلة، وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كمـا قـدمنا، إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف».[5] ويأتي في هـذا السـياق نـص القيسـي أكـثر تفسـيرا لطبيعة الغنة، فيقول: «وتعرف صحة ذلك لـو أردت للفـظ بـالنون الخفيفـة، أو التنـوين، وأمسكت أنفك لو يمكن خروج الغنة التي في النون، وخرجت النون بغير غنة مع تغيـر الصوت بالنون عند عدم الغنة».[6]

وأبسط من هذا ما جاء به في التبصرة في قوله: «وأنـت تعـرف الغنـة أنـك لـو أمسكت أنفك عند لفظ النون لم يمكن خروجها، فذلك الذي يخـرج مـن الأنـف عنـد ذلـك الإمساك هو الغنة».[7] وبالطريقة نفسها يشرح الداني(ت 444هـ) الغنـة وخروجهـا لكنـه

[1] - التبصرة ص 117.
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 132
[3] - ينظر الرعاية ص 214.
[4] - الرعاية ص 214.
[5] -سر صناعة الإعراب 1/48.
[6] -الرعاية ص 214.
[7] - التبصرة ص 117.

يرى ذلك في الميم والنون، إذ يقول: «...ألا ترى أنك إذا أمسكت بأنفك ثم نطقت بهما لم يجر فيهما صوت الغنة».[1] والسبب أن إغلاق الأنف بالإمساك به، يحول دون خروج صويت، يتمثل في الغنة.

ويقرر مكي بن أبي طالب أن هناك فرقا بين مخرج الغنة في النون والنون المتحركة في قوله: «مخرج النون الخفيفة التي هي غنة في النون والتنوين من الخياشيم، ومخرج النون المتحركة قد تقدم ذكره».[2] ونلمس غير ذلك حين ينسب تساوي الغنة والنون الخفيفة لغيره حين يقول: «وهي عند قوم نون خفيفة».[3]
وهذا رأي المبرد من قبل إذ يفصل في كون الغنة من الخياشيم[4]، وأن الميم راجعة إلى الخياشيم لما فيها من غنة[5]، ويخلص في الأخير إلى رأيه القائل: «النون الخفيفة خالصة من الخياشيم، وإنما سميت باسم واحد لاشتباه الصوتين، وإلا فإنهما ليسا من مخرج».[6]
وهذا رأي سيبويه(ت 180هـ) أيضا: «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة».[7]

وهكذا فإن النون الخفيفة هي الغنة، وهذا ما ذهب إليه القيسي[8]، لكن يضيف أن هذه النون هي ساكنة خفيفة، مما يجعله يفرق بينها وبين النون الخالصة السكون بل ويجعلها تبعا لها، ويميز بينهما بصفة غير المخفاة، يقول: «الغنة، نون ساكنة خفيفة...وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون، غير المخفاة، وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة، وللتنوين لأنه نون ساكنة، وللميم الساكنة».[9]

وعند المحدثين يرى كمال بشر مخرج النون الساكنة من الخياشيم، ويصطلح عليها بالنون الخفيفة وكذا الخفية، لكنه يرى أن هذا مخرج إضافي ينسبه إلى ابن جني،

[1] - التحديد ص 111.
[2] - الرعاية ص 215.
[3] - التبصرة ص 117.
[4] - ينظر المقتضب 1/194.
[5] - المقتضب 1/194.
[6] - المقتضب 1/194.
[7] - الكتاب 4/434.
[8] - الرعاية ص 214.
[9] - الرعاية ص 214.

ويمكن الاستغناء عنه، والاكتفاء بمخرج النون الأصلي من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا، ويصنفه مع الأصوات الأسنانية اللثوية.[1] من جانب آخر يثبت كمال بشر هذا المخرج ويصفه بالأنفية.[2] وهذا يطابق صفة التوسط في النون إذ تنتج مع الميم عن وقفات وامتداد، ويشرح ذلك بقوله: «...ومن الأنف في حال الأصوات الأنفية».[3]

وهذا رأي سيبويه(ت 180هـ) الذي جعل الغنة متوسطة مع اللام في الانحراف، وغيرها. ولا يستعمل التوسط وإنما الشدة مع جريان الصوت، يقول: «ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر مع الصوت، وهو النون، وكذلك الميم».[4]

المؤكد أن الشدة هنا ليس المقصود بها الصفة المقابلة للرخوة، وإنما شدة الإسماع وقوتها، فسيبويه(ت 180هـ) لم يذكرها مع الشديدة وإنما مع ما بين الشدة والرخوة.[5] وهذا المعنى الذي نجده عند القيسي في قوله: «النون، وهي متوسطة القوة، وفيها إذا سكنت غنة تخرج من الخياشيم، فذلك مما يزيد في قوتها».[6] فطبيعة الغنة تمنع عنها صفة الشدة، فهي «تكييف رنيني يميز الصوت الكلامي على مستوى الإفراد، ويلونه على مستوى الأداء، وتشبه أصوات الهمهمة».[7] فالرنين والهمهمة صفتان تدلان على شبه التكرر في الصوت مما يعني عدم انسداد الممر، فالمعروف «أن الصوت يوصف بالشدة حينما ينغلق الممر انغلاقا تاما أمام الهواء، وهذا في تصوري لا يحدث مع الغنة، فإن الهواء يمر من الفراغ الأنفي وحده دون أن ينغلق».[8]

---

[1] - ينظر علم الأصوات كمال بشر ص 188.
[2] - ينظر علم الأصوات كمال بشر ص 199.
[3] - علم الأصوات كمال بشر ص 199 و 200.
[4] - الكتاب 4/435.
[5] - ينظر الكتاب 4/435.
[6] - الرعاية ص 167.
[7] - الغنة بين القديم والحديث مع تحقيق اللطائف المحسنة في مباحث الغنة للشيخ إبراهيم بن عبد الغفار الدسوقي (1226هـ-1300هـ) ط 1 (1411هـ-1991م) مط الأمانة، القاهرة، مصر. د/ أبو سعود الفخراني، ص 20.
[8] - الغنة بين القديم والحديث ص 34.

إن القوة المقصودة في الغنة ليس في نطقها وإنما في إسماعها، إذ «جعلوا قوة الصوت - بهذا المعنى- مترتبة على شكل الممر الصوتي وتكيفه مع الصوت أي أنهم ربطوا بين ما نسميه بالجانبين الفسيلوجي والسمعي في الحكم بقوة الصوت أو ضعفه».[1] وهذا التصور ينسب إلى المرعشي في جهد المقل، يقول: «معنى قوة الحرف ظهور صوته، وذلك قد يكون بقوة الاعتماد على مخرجه، وقد يكون بنبرة زائدة عليه تصحبه والغنة نبرة زائدة على الحرف فيظهر صوته بتلك الزيادة».[2]

لكن الغنة عند مكي بن أبي طالب «حرف مجهور شديد لا عمل للسان فيها».[3] والنون في الأصل ليست كذلك، فناقض بعض العلماء رأيه وأنكروه على نحو الجعبري.[4] على اعتبار أن صوت الغنة عند معاصريه متوسط من حيث المخرج لاشديد ولا رخو، أمثال القرطبي(ت 461هـ)[5]، وكذا الداني(ت 444هـ).[6] والغنة عينها تحمل صفة الرخاوة من استمرار، من هنا أعتقد أن عبد العزيز الصيغ قد نجح في تفسير مقصود القيسي في قوله: «ومكي يقصد في عبارته هذه، الغنة عند الإدغام وهي تكون غير خالصة وتابعة لصوت الميم أو النون المدغمتين، أما الغنة حال الإخفاء فهي خالصة، ولذلك فهي صوت رخو».[7]

إن المتعارف عليه في الغنة هو التوسط عند المحدثين أيضا، فكمال بشر يضفي عليها صفة الأنفية التي خص بها بعض الأصوات كالنون التي ينسبها إلى الوقفات، وإلى الأصوات الممتدة معا. ويفسر هذان المصطلحان بقوله: «أما أنها وقفات فذلك لأن الهواء عند النطق بها يقف وقوفا تاما في موضع النطق المحدد...وأما أنها امتداديات، فذلك لأن الهواء في أثناء الوقوف يخرج حرا طليقا...من الأنف في

[1] - الغنة بين القديم والحديث ص 39.
[2] - جهد المقل نقلا عن الغنة بين القديم والحديث ص 39.
[3] - الرعاية ص 214.
[4] - ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 313.
[5] - ينظر الموضح ص 48.
[6] - ينظر التحديد ص 108.
[7] - المصطلح الصوتي ص 166.

الأصوات الأنفية».[1] ويوافق هذا ما فسره عبد العزيز الصيغ في كون الغنة رخوة فهي خروج حر للصويت المرافق للنون. ونجد هذا التصور عند إبراهيم أنيس أيضا حين اعتبر الغنة إطالة لصوت النون وبالتالي فهو امتداد لها، يقول في ذلك «وليست الغنة إلا إطالة لصوت النون مع تردد موسيقي محبب فيها، فالزمن الذي يستغرقه النطق بالغنة هي في معظم الأحيان ضعف ما تحتاج إليه النون المظهرة».[2]

لكن هذا لا يوافق تصور الغنة كما أراده القيسي الذي قصد بها ذاك الخارج من الخيشوم، فإن شارك اللسان فهي ليست الغنة المقصودة، وقد وافق هذا التصور رأي أبو عبد الله الفاسي (656هـ)، وهو متأخر بالنسبة للقيسي الذي وضح وجود الغنة، وذكر شرطين لذلك وهما السكون وعدم الظهور. فإن تحركت النون عمل فيها اللسان، يقول: «وإذا نطق بهذه الحروف خالية من الشرطين المذكورين لم يكن بد فيها من صوت يخرج من الخياشيم أيضا، مخالط لما يخرج من اللسان لأن طبعها يقتضي بذلك دون غيرها من الحروف».[3]

إن الغنة تخرج من الخياشيم فحسب، وهي علامة عن حالة خفوت لحروف النون لمجاورتها لأصوات معينة قد تفنى معها، مما يستلزم من الغنة الظهور. ويتطلب ذلك صفات القوة، كالجهر والشدة، فأما الجهر في الغنة لأن حرفا النون والميم مجهوران، أما الشدة فهي كون الغنة تخرج من الخيشوم دون اللسان.

ويتفق صاحب كتاب الغنة بين القديم والحديث مع القيسي في كون صفة الجهر موجودة في الغنة «لأن الهواء يهتز حين يحتك في أثناء خروجه من الرئتين بالأوتار الصوتية».[4] كما أن للجهر ودرجته دور في وضوح الصوت في السمع، لأن «الاهتزازات الحنجرية التي يحملها الهواء الخارج هي التي تنتج حجم الصوت، وذلك

[1] - علم الأصوات ص 199 و 200.
[2] - الأصوات اللغوية ص 70.
[3] - اللآلئ الفريدة نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 311.
[4] - الغنة بين القديم والحديث ص 39.

راجع إلى أن النغمة الأساسية تعززه وتقوى خلال فراغات ما فوق الحنجرة بتأثير الهواء المهتز».[1]

الغنة صفة أم حرف:

وجعل القيسي للغنة بابا، ووضع لها مخرجا مستقلا[2]، وجعلها صفة في حديثه عن حرفا الغنة حين عرضه لصفات الحروف وألقابها، وقال بأن الغنة كالإطباق والصفير زائدة في الحرف.[3] ومثله القرطبي(ت 461هـ).[4] أما الداني(ت 444هـ) فيعتبر الغنة إعطاء النون بعض حقها الصوتي، وهي ضرورة عند القراء للحيلولة من فناء النون في أصوات أخرى، يقول الداني(ت 444هـ): «ولفظ النون قد يزول عنها، فلا يبقى منها إلا الغنة».[5]

ويبعث هذا على التساؤل حول الفرق بين الغنة والنون، والتعرف على ما قصده القيسي، ولبحث ذلك نتوقف عند قول المرعشي في إثباته للفرق بينهما حيث يقول: «إن قلت ما الفرق بين النون المخفاة وبين الغنة، قلت هما متحدتان ذاتا، لأن كلا منهما صوت يخرج من الخيشوم، لكن ذلك الصوت صفة في الأصل للنون والميم الساكنتين، كما في عن ولم، ويسمى حينئذ غنة، وقد تخفى النون الساكنة، ومعناه أن يعدم ذاتها وتبقى صفتها التي هي الغنة كما في عنك، وسميت النون نونا مخفاة».[6] وعدت النون المخفاة حرفا حسبه في قوله أيضا: «النون المخفاة عدت حرفا لاستقلالها بحرف الغنة فإنها قائمة بالحرف وصفة له فلم تعد حرفا».[7] وعد عمر المسعدي[8] أن الغنة صفة وليست حرفا «لأن حروف الهجاء بالإجماع تسع وعشرون حرفا وليست الغنة واحدا منها».[9]

---

[1] - الغنة بين القديم والحديث ص 40.
[2] - الرعاية ص 214.
[3] - الرعاية ص 106.
[4] - الموضح ص 56 و 109.
[5] - التحديد ص 111.
[6] - جهد المقل للمرعشي نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 313 و 314.
[7] - جهد المقل نقلا عن الغنة بين القديم والحديث ص 16.
[8] - وهو من علماء القراءة للقرن العاشر للهجرة.
[9] - الغنة بين القديم والحديث ص 18.

وبين هذا وذاك جعل إبراهيم الدسوقي «الغنة اجتمع فيها شبهان: شبه الحرف، وشبه الصفة، وإن كانت صفة لا غير، لكنها تزيد على باقي الصفات بهذه المزية، فشبهها بالحرف اختصاصها بمخرج مغاير لمخرج موصوفها، وكانت صفة لا غير، لقيامها بغيرها وعدم استقلالها بنفسها، فمن عرفها بأنها شكل أو صوت راعى حقيقتها، فلا منافاة بين التعريفين لأن القائل بأحدهما لا يقطع النظر عن الآخر».[1]

وتوصل في الأخير إلى تعريف جامع ومفسر للغنة وطبيعتها في قوله: «شكل دال على غيره».[2] وهذا رأي أهل التجويد عامة وأولهم القيسي الذي يجعلها مرة صفة ومرة حرفا حيث يقول: «النون:...، وفيها إذا سكنت غنة تخرج من الخياشيم، فذلك مما يزيد في قوتها، والخفيفة منها مخرجها من الخياشيم من غير مخرج المتحركة».[3] ويصفها القرطبي(ت 461هـ) بالصوت لقوله: «...الغنة صوت من الخيشوم يتبع الحرف، وإن كان خروجه من الفم».[4]

إن الاختلاف حول الغنة هو اختلاف بين مفهومي اللغة واصطلاح أهل الأداء مما يثبت التنوع في طبيعة الغنة واختصاصها. «إن الغنة تتصف بالعمومية حين تطلق في اللغة على الصوت الخارج من الخيشوم، بينما تختص في اصطلاح أهل الأداء بما قام بحرفي النون والميم، فهي صفة لهما، ومخرجهما غير مخرجهما، ولذا يمكن التلفظ بها وحدها بخلاف سائر الأصوات».[5] وقد أدرك القيسي هذا كله كما سبق ذكره، ومعه العديد من علماء التجويد كالقرطبي(ت 461هـ) مثلا.

المصوتات

---

[1] - اللطائف المحسنة نقلا عن الغنة بين القديم والحديث ص 19.
[2]- اللطائف المحسنة نقلا عن الغنة بين القديم والحديث ص 18.
[3]- الرعاية ص 167.
[4] - الموضح ص 108.
[5] - الغنة بين القديم والحديث ص 19.

المصوتات ويقابلها عند النحاة واللغويين الأوائل مثل سيبويه(ت 180هـ) وابن جني مصطلح الحركات، ويعرفها الفارابي الذي يقول: «والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات».[1] ويسميها ابن سينا (ت 427هـ) المصوتات أو المصوتة.[2] ويصرح بأنها تطرح إشكالا من حيث مخرجها، لعدم وضوح عمل جهاز النطق فيها وتم وضوح مخارجها حيث يقول:« وأما المصوتات فأمرها وتأثيرها علي كالمشكل، لكني أظن أن الألف الصغرى والكبرى مخرجهما من إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم».[3]

ولا تكون المصوتات إلا بعد الحروف، لأنها تتممها في الزمن حين النطق بها، يقول ابن سينا (ت 427هـ): « والمصوتة هي الحروف التي إنما تقع بعد وقوع الحروف الأولى لتملأ الأزمنة التي تتلوها».[4] والنص يحتوي رأيين مهمين:

1-الأول كون المصوتات حروفا بشقيها المدات والحركات، إذ المقياس هو سماع الصوت، يقول:« ونعني بالحروف كل ما يسمع بالصوت حتى الحركات».[5]

2-أما الثاني فهو وقوع المصوتات بعد الصوامت لقوله « ولا يمكن أن يبتدأ لا بالمقصورة ولا بالممدودة منها».[6]

وإذا كان ابن سينا (ت 427هـ) قد فسر وقوع الحركات بعد الحروف بالزمن واستحالة نطقها، فإن ابن جني علل استحالة ذلك كون الحرف كالمحل للحركة.[7] ويتفق ابن سينا (ت 427هـ) مع ابن جني في كون إشباع الحركة دليل على أن حركة الحرف بعده لا قبله ولا معه، يقول ابن جني: « ودلالة أخرى تدل على أن حركة الحرف بعده،

[1] - كتاب الموسيقى الكبير 1072
[2] - ينظر جوامع علم الموسيقى ص 123
[3] - جوامع علم الموسيقى ص 123
[4] - جوامع علم الموسيقى ص 124
[5] - جوامع علم الموسيقى ص 124
[6] - جوامع علم الموسيقى ص 124
[7] - ينظر سر صناعة الإعراب ص 1/28

وهي أنك إذا أشبعت الحركة تممتها حرف مد... نحو ضرب وقتل، إذا أشبعت حركة الفاء قلت: ضارب وقاتل ...».[1]

أما ابن سينا (ت 427هـ) فيوضح ذلك بالزمن حيث يقول: « والدليل على أن الحركة تسمع بالحقيقة بعدها لا معها، أن الحركة إذا مدت وطولت، حتى انقلبت ببعض ما يعرف بمده، ويعرف بحرف المد واللين، أعني إن كانت فتحة فانقلبت ألفا مدية، أو كانت كسرة فانقلبت ياء مدية، أو كانت ضمة فانقلبت واوا مدية، أمكن حينئذ أن يوقف على أن تلك الحركة تسمع ولا يسمع الحرف المنسوب إليه تلك الهيئة، ولو كانت الحركة هيئة عارضة لحرف لما كانت تمتد دونه، فإن ما كان عارضا لشيء فإنه لا يقبل الزيادة إلا مع ذلك الشيء».[2]

الواوان

يقول ابن سينا (ت 427هـ) عن مخرجهما أنه « مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين واعتماد في الإخراج على ما يلي فوق اعتمادا يسيرا».[3]

الياءان

يقول ابن سينا (ت 427هـ) عنهما:« تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلا».[4] وفي الرواية الأولى يتبع مصطلحات الأوائل في تسمية المصوتات فيقول:« وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم. وأما الواو المصوتة وأختها الهمزة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق. وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل».[5]

---

[1] - سر صناعة الإعراب 1/30

[2] - جوامع علم الموسيقى ص 87

[3] - جوامع علم الموسيقى ص 87

[4] - أسباب حدوث الحروف ص 125

[5] - أسباب حدوث الحروف ص 84 و 85

إن ابن سينا (ت 427هـ) قد جعل الصوائت على شقين، الكبرى والصغرى، أو حركات ومد أو مقصورة وممدودة، يقول: «وعلمت أنها إما مقصورة أي الحركات، وإما ممدودة، وهي المدات».[1] فنجد الألف والفتحة، والياء والكسرة، والواو والضمة. والفارق المميز بين الكبرى والصغرى الاستغراق الزمني فيرى أن الألف ضعف الفتحة، وأن هذه تقع في أقصر الأزمنة. والأمر عينه بالنسبة للياء والكسرة، وللواو والضمة. ونجد هذا في قوله: «وكل صغرى فهي واقعة في أصغر الأزمنة، وكل كبرى ففي أضعافها».[2]

ويوضح أصغر الأزمنة لأنه المناسب للكمية التي تجعل نطق الحروف المتتابعة بيسر ووضوح دون خلل في النطق والإفهام فيقول:« ثم أمر هذه الثلاثة على مشكل، ولكني أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف. وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، والياء المصوتة إلى الكسرة».[3] لكنه يدرك علاقة الألف بالفتحة والواو بالضمة والياء بالكسرة، ويجعل الاختلاف بينهما في الكمية فحسب فيسمي الفتحة بالألف الصغرى، والضمة واوا صغرى والكسرة ياء صغرى وهذا في حد ذاته فهم واضح لطبيعة المصوتات.

إن صورة المصوتات والمصطلح نفسه كان موجودا عند القدامى، يقول ابن جني: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة الضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان النحويون الأوائل يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، «

[1] - جوامع علم الموسيقى ص 123
[2] - جوامع علم الموسيقى ص 123
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 85

وكان متقدمو النحويين الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة».[1]

ويخلص غالب فاضل المطلبي إلى الفرق بين نظرة ابن سينا (ت 427هـ) للمصوتات ومن سبقه من اللغويين بقوله: « وهي نظرة قد تختلف بعض الاختلاف عن نظرة سابقيه، الذين وإن كانوا قد نظروا إلى أصوات المد القصيرة، أو ما تسمى بالحركات على أنها أجزاء من الألف والياء والواو، إلا أنهم فرقوا بينهما في تقسيماتهم الصوتية، فوضعوا الألف والواو في الأصول، ووضعوا الحركات في الزوائد، ولم يشيروا إلى وحدة الألف والواو والياء في حالة المد المحض وأصوات المد القصيرة في الوظيفة اللغوية».[2]

إن ابن سينا (ت 427هـ) اعتبر الألف والواو والياء المدية حروفا مستقلة غير تابعة للحرف التي قبلها وإنما للحركة، وهي نظرة الأوائل من النحاة، «...ذهبوا إلى القول بسكون أصوات المد الطويلة، إذ هي متألفة عندهم من الألف والواو والياء في حالة سكون، سبق كل منها حركة من جنسه، وكأن ما يحدث من تأثير لهذا الصوت في الصامت الذي يسبقه في أثناء التأليف بينهما إنما يرجع إلى تلك الحركة المجانسة، وقد يكون لنظرتهم هذه مسوغ من الناحية الصوتية، بيد أنه من الناحية الصوتية خطأ واضح».[3]

في حين اعتبر ابن سينا (ت 427هـ) غير ذلك، معتمدا على السماع، قال: «...أو كانت ضمة فانقلبت واوا مدية، أمكن حينئذ أن يوقف على أن تلك الحركة تسمع ولا يسمع الحرف المنسوب إلى تلك الهيئة، ولو كانت الحركة هيئة عارضة لحرف لما كانت تمتد دونه، فإن ما كان عارضا لشيء فإنه لا يقبل الزيادة إلا مع ذلك الشيء».[4]

---

[1] - سر صناعة الإعراب 1/17

[2] - في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، ص 93

[3] - في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، ص 93 و 94

[4] - جوامع علم الموسيقى ص 87

الفصل الخامس

الصوت واللفظ بين الإفراد والتركيب

- التبدلات النطقية للصوت الواحد.
- الدلالة الصوتية وأساس التواصل اللغوي.
- المقطع.
- النبر والتنغيم.

التبدلات النطقية للصوت الواحد

كان المجتمع الإسلامي في القرن الخامس للهجرة، قد تنوع وغذي من مختلف الأعراق والأجناس لاتساع الدولة الإسلامية، فامتزجت أعرافها وتداخلت لغاتها، وإن لم يكن ذلك واسعا واضحا على المستوى اللفظي والتركيبي، فإنه كان كبيرا على المستوى الصوتي، مما دفع الدراسات اللغوية في القرن الخامس الهجريإلى أن تهتم بهذا الجانب، خاصة الفنولوجي، ومدى دلالاته على المستوى اللفظي وحتى التركيبي.

وقد تنبه بعض العلماء لذلك فبحثوا فيه فاتحين عهدا جديدا من الدراسات اللغوية في تلك الفترة. ومن هؤلاء نجد ابن سينا (ت 427هـ) الذي كانت دراسته في هذا المجال مكملة لأعماله في إطار الدراسة الفزيولوجية الصوتية وكذا الفيزيائية.

ولعل أهم ما قام به ابن سينا (ت 427هـ) هو تمييزه بين الأصوات من الناحية الفيزيائية النطقية، والجانب الصوتي السمعي الأكوستيكي، إذ جمع بين وصف النطق في المخارج، ووصفه للصوت على أساس المسموع، وإن لم يحدد لكل صوت تلك الصفات الفارقة، وقد تميز عما سبقه وعاصره بمقارنته للصوت الواحد وإسقاطه على أصوات أخرى قريبة منها.

وكان هذا بداية لما سماه "بالحروف الشبيهة بهذه الحروف"، إذ يعد ما قدمه ابن سينا (ت 427هـ) في هذا المجال دراسة للصوت المجرد الذي يمكنه أن يتغير أو يتحقق في صور قريبة من أصوات أخرى حسب السياق الصوتي الذي يرد فيه. وهذا ما يصطلح عليه المحدثون بالفونيم والألوفونات phonème,allophone . ويعرف ابن سينا (ت 427هـ) هذا بقوله: «وهاهنا حروف غير هذه الحروف تحدث بين حرفين فيما يجانس كل واحد منهما بشركه في مسببه».[1]

ويقع ما قدمه ابن سينا (ت 427هـ) بين الدراسة المقطعية المحضة أو الألفونات التامة، أي الصوت ليس بمجاورته لأصوات أخرى، وإنما الصوت وصوره في النطق حيث استعان بأصوات أجنبية غير عربية في ذلك، وهذا يعكس مدى التأثر والتأثير الواضح للصوت العربي مع أصوات مشابهة في لغات أخرى. ولم يتحدث ابن سينا (ت 427هـ) في ذات السياق عن مجاورة الأصوات لصوامت أخرى أو صوائت.

[1] -أسباب حدوث الحروف ص 127

وإذا عدنا إلى سيبويه(ت 180هـ) فإننا نجده يذكر أصواتا لا تمتلك صورا خطية، سمى بعضها مستحسنة وأخرى مستهجنة، يقول «وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة».[1] أما المبرد فقد أدرك أن بعض تلك الحروف « ليست لها صور».[2] أما الجاحظ فقد تنبه إلى وجود بعض الأصوات اللثغية التي لا يمكن مطابقتها أوتقريبها لصورة أي حرف من الحروف حيث يقول: «وأما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء ولسليمان بن يزيد العدوي الشاعر، فليس إلى تصويرها سبيل، وكذلك اللثغة التي تعرض في السين كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج، فإن تلك أيضا ليست لها صورة في الخط تروى بالعين، وإنما يصورها اللسان وتتأذى إلى السمع».[3]

وغير بعيد عن تقابل الحروف ومقارنة الصفات نجد قانون القوة والضعف عند علماء التجويد. فقد صنف هؤلاء صفات الحروف بين القوة والضعف، ويدخل هذا في إطار التقابل بين الصفات، وينسب غانم قدوري فضل السبق في هذا إلى صاحب الرعاية، وتبعه في ذلك الكثير من جاء بعده إذ «لا نجد في كلام علماء العربية شيئا واضحا ومفصلا عن موضوع قوة الصوت وضعفه، ويبدو أن علماء التجويد هم أول من بحث هذا الموضوع على نحو مفصل، وربما كان مكي بن أبي طالب هو واضع نظرية قوة الحروف وضعفها لدى علماء التجويد...ويكاد كلام الذين جاءوا من بعده يكون اقتباسا منه».[4] فلم يضيفوا أشياء ذات أهمية لنظرية القوة والضعف في الصوت، والتي تفسر مسائل تركيبية كثيرة في الأصوات وتجانسها في البنيات اللفظية، «وغاية ما أضافوه تقسيم الصفات إلى قوية وضعيفة ومتوسطة».[5]

إن التجاور بين الأصوات في البنيات اللفظية يظهر قيمة الأصوات، فيوضح ذلك مكي بن أبي طالب بإبراز الأصوات ذات التأثير الأكبر على ما يجاورها من

---

[1] - الكتاب 4/432
[2] - المقتضب 1/195
[3] - البيان والتبيين 1/36.
[4]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 328.
[5]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 330.

أصوات في حالة قوتها، كما تتأثر بها في حالة الضعف. وقد استند مكي بن أبـي طـالب على هذه الفكرة في شرح الإدغام خاصة في كتابه الكشف.

كما يوضح نظرية القوة والضعف في الحرف نفسه من خلال تجمـع مجموعـة صفات قوة أو ضعف في الحرف حيث يقول: «والشدة من علامـات قـوة الحـرف، فـإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء فذلك غاية القوة في الحرف، لأن كـل واحـدة مـن هذه الصفات، تدل على القوة في الحرف، فإذا اجتمع اثنان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة كالطاء. فعلى قدر مـا فـي الحـرف مـن الصـفات القويـة، كـذلك قوته وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضعفه».[1] إنه يربط قوة الحرف بقوة صفاته، ويمثل لذلك مثلا بحرف الطاء، فهي غاية في القـوة، لكونـهـا مجهـورة ومطبقـة ومستعلية وشديدة.[2]

لقد أعطى مكي بن أبي طالب أهمية قصوى لتوضيح صفات الحـروف، ولعـل الغاية من ذلك الإبانة عن سر القوة والضعف. ونعتقد أن قوة الحـرف فـي قـوة إسـماعه وضعفه عكس ذلك. إن إدراك الضعف والقوة في الحروف منفردة كانت أم مركبة يعين على حسن إخراج هذه الأصوات ومن تم حسن وإتقان تجويـدها إذ يقـول: «فـافهم هـذا، لتعطي كل حرف في قراءتـك حقـه مـن القـوة، ولتتحفظ ببيـان الضـعيف فـي قراءتـك. فالجهر والشدة، والصفير والإطباق، والاسـتعلاء مـن علامـات قـوة الحـرف، والهمـس والرخاوة والخفاء، من علامات ضعف الحرف. فاعرف هذه المقدمـة».[3] ويـذهب غـانم قدوري إلى أن القوة والضعف المقصود يكمن في الإسماع ولا علاقة لذلك بقوة الحرف وضعفه. عند علماء التجويد حيث يقول: «ولم يحدد علماء التجويد المراد بقـوة الحـرف وضعفه، ولكني أرجح أن يكون ذلك متعلقا بقوة رفع الصوت ووضوحه».[4]

[1] ـ الرعاية ص 99.
[2] ـ ينظر الرعاية ص 93.
[3] ـ الرعاية ص 93 و 94.
[4] ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 332.

وإذا عدنا إلى بعض الدراسات اللغوية القديمة، فسنجد بعض الإشارات إلى القوة والضعف، ولو أن الحديث عنها والخوض فيها، أخذ مسارا آخر وغاية أخرى، إلا أنه في النهاية أعان على تبلور فكرة القوة في اللفظ لكن لتقوية المعنى. وقد أثار حسام الدين النعيمي هذه الفكرة عند ابن جني تحت عنوان الصوت والمعنى، ومن ذلك حركة الحرف في البنية، إذ يرى ابن جني أن العرب فرقت بين معنيين بتغيير حركة الحرف في البنية «ويختارون صوت الحركة الأقوى، والصوت الأضعف للمعنى الأضعف. فمن ذلك أنهم وضعوا الذال واللام للتعبير عن وصف في الدابة ووصف في الإنسان، فكسروا الذال للدابة إذا أرادوا ضد الصعوبة، فقالوا: ذِل، وضموا الذال للإنسان إذا أرادوا ضد العز، فقالوا: ذُل، ولا شك أن الذي ينال الإنسان أكبر خطرا مما ينال الدابة...».[1]

هذا عن الحركة أما عن الحرف، فيرى مثلا أن الهمزة أقوى من الهاء رغم مخرجهما الواحد، ومن ذلك ما استعملته العرب في الأز والهز، كقوله تعالى: «ألم تر أنَّ أرسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم أزا».[2] فالمعنى الذي تؤديه الهمزة في الأز «أعظم في النفوس من الهز لأن هذا الأخير قد يتناول ما لا قيمة له كالجدع وساق شجرة».[3]

إن صورة الأقوى والأضعف عند ابن جني لم تكن واضحة المعالم بما يكفي، ولا متبلورة، ولا ذات هدف معين، مما جعلها لا تأخذ حيزا مهما في أبحاث الدارسين من جهة، ومن جهة أخرى غموض مقصد ابن جني من إثارته لصفة الحرف الأقوى. لذا نجد إبراهيم أنيس مثلا قد خلص إلى استنتاج قد لا يرقى إلى مستوى عالم كابن جني يتمثل في عدم القدرة على تعليل صفات القوة في الحروف عند ابن جني تحت ضوء القوانين الصوتية.[4]

[1] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 286 و 287.
[2] - مريم:83
[3] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 288.
[4] - ينظر موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس ، ط 4 ، 1972م ، القاهرة – مصر.ص 23.

لكن النعيمي استطاع تلمس ما ابتغاه ابن جني وتوصل إلى أن القوة في الحرف عند ابن جني لا يرمي بها صفة مطلقة، «فالقوة إذن نسبية عنده، وقد وجدته يفسرها أحيانا بحصر الصوت الذي في الحرف، وأحيانا بالاستعلاء الذي فيه، وأحيانا بأنه حرف صلب، ويكون الحرف الثاني يحمل الصفة المعاكسة».[1]

انطلاقا مما سبق نرى أن ابن جني قد طرح فكرة المقابلة بين الأصوات والتي أخذت تنضج عند المجودين فأدركوا أن قيمة الصوت ولفظه وحسن بيان صفاته، تظهر بصورة أفضل في قيمتها الإيجابية داخل الكلمة أو البنية، إذ قد يتحول معنى اللفظ بأكمله بسبب انتقال صوت منها إلى صوت آخر، يقول غانم قدوري: «وكان علماء التجويد مدركين لظاهرة التقابل بين الأصوات، ودور الصفات في التمييز بينها ».[2]

فالمقابلة تظهر قيمة الصوت داخل البنية اللفظية، فيثبت المعنى أو يحوله، في هذا مثلا يقول مكي بن أبي طالب: «وإذا وقعت الظاء في كلمة، تشبه كلمة أخرى بالذال بمعنى آخر، وجب البيان للظاء لئلا ينتقل إلى معنى آخر، وذلك نحو قوله تعالى: (وما كان عطاء ربك محظورا)، أي ممنوعا، فهو بالظاء، فيبينه لئلا يشتبه في اللفظ بقوله: فإن عذاب ربك كان محذورا، فهذا بالذال من الحذر».[3] والأمر عينه عند الداني(ت 444هـ) الذي يرى أنه يجب التفريق بين بعض الأصوات المتضادة في صفة أو أكثر حتى لا يختلط المعنى خاصة إذا تعلق ذلك بكتاب الله العزيز، فيضرب في هذا مثلا قائلا: «وكذلك يلزم تلخيص الصاد من السين فيما يتفق لفظه ويختلف معناه، بما تقدم، وذلك في نحو قوله: (وكم قصمنا من قرية) و(نحن قسمنا بينهم معيشتهم)...».[4]

---

[1] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 289.
[2] - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 232.
[3] - الرعاية ص 195 و 196.
[4] - التحديد ص 147

ويتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن سبب التقارب بين الصفتين، أو بالأحرى سبب اصطباغ الصوت بصفات أخرى، ورأى أن ذلك يكمن في اشتراكهما في مسببات الصوت خاصة في المخرج. وقد تحدث عن التصورات التي يمكن أن تتحقق للصوت الواحد مفهوما أو مدلولا دون الخط أو اللفظ إن صح تسميت شكل الحرف باللفظ أو هوما يصطلح عليه حديثا بالدال.

ويكون ابن سينا (ت 427هـ) قد أقام دراسة صوتية ميدانية لمجموعة من الأصوات المنطوقة والمسموعة في عصره، وهي أصوات لا تمتلك صورا خطية، فقد عرض كيف تتداخل بعض العادات النطقية الأصيلة عند الأعاجم مع الأصوات العربية الفصيحة، فيوضح بذلك «لكنات الأعاجم المختلفة، وكيف كانوا يحققون بعض أصوات اللغة العربية بنطق غير عربي وبأصوات غير عربية، بها آثار من خلفيتهم اللغوية».[1] ومن بين ما يذكره مثلا:

صوت الكاف

الكاف الخفيفة : ويتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن صوت القاف المعاصر له، إذ القاف العربية تحولت في عصره إلى كاف خفيفة كما يسميها، ويذكر سبب تحول القاف إلى كاف، ويقول في هذا :« فمن ذلك الكاف الخفيفة التي تسميها العرب في عصرنا هذا بدل القاف، وهي تحدث حيث تحدث الكاف،ولكن أدخل وبحبس أضعف».[2]

صوت الجيم

الحرف الشبيه بالجيم : ويمثل ابن سينا (ت 427هـ) لهذا الصوت الذي ليس بالجيم لكن يشبهه كأنه صوت (چاه) بالفارسية ويرى ابن سينا (ت 427هـ) أن «نسبة هذه الجيم إلى الجيم العربية كنسبة الكاف العربية إلى الكاف غير العربية».[3] ويحدد ابن سينا (ت4

[1] - علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع، ص 79
[2] - 'أسباب حدوث الحروف ص 127
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 127

27هـ) سبب ذلك في مخرج الصوت قائلا:« لأنها تحدث عن شد عند الحبس قوي، وبجزء من اللسان أكبر، وبقلع وحفز للهواء أشد».[1]

هناك حروف ثلاثة تشبه الجيم أيضا وهي ليست من الأصوات العربية، ولا تلك الحروف الموجودة في الفارسية كالصوت السابق، وإنما هي ثلاثة تشترك فيما يراه ابن سينا (ت 427هـ) « تبتر عنها الفرقعة التي في الجيم، ويزول جرسها إلى الهمس والصفير اليابس»[2]، وهي:

أ- شبه الزاي: « يحدث عن الهواء المولد للهمس هز الهز الذي في الزاي».[3]

ب- شبه السين :« أن يسرب الهواء الفاعل لهيئة الجيم يابسا في خلل الأسنان من دون تعرضه لهز شيء».[4]

ج- شبه الصاد:« وهي مثل السين لكن فيها "زيادة في الإطباق».[5]

فيكون الجيم صوتا واحدا يتفرع عنه عدة أصوات تناسب كل واحدة السياق الصوتي الوارد فيه، وقد نميز بين هذه الألوفونات بفارق بسيط، إن ابن سينا (ت 427هـ) استطاع التمييز بين أصوات، قد تكون في الأصل متداخلة فيما بينها، ويمكن التمثيل لصوت الجيم بما يأتي: - ج عربية

صوت الجيم -
- چ الفارسية
- شبه الزاي
- شبه السين
- شبه الصاد

صوت السين

أ- سين صادية: يقول ابن سينا (ت 427هـ) عن وصفها « سين صادية تحدث من استعمال جزء من اللسان أعرض وأطول إلى داخل».[6]

ب- سين زائية: يقول ابن سينا (ت 427هـ) وهي تكثر في لغة أهل خوارزم، وهي كالسين الصادية لكن الاختلاف فيما « يحدث في العضلة الباطحة للسان ارتعاد،كما

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 128
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 125
[3] - أسباب حدوث الحروف 128
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 127
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 127
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 29

يحدث فبالزاي، فتضرب إلى مشابهة الزاي».[1] فيمكن تصنيف السين إلى ثلاثة أصوات:

شين زائية: ويتحدث هنا ابن سينا (ت 427هـ) عن صوت يسمع في الفارسية "عند قولهم [زرف]، وهي شين تحدث عن تقريب اللسان من سطح الشجر، وتهزيز سطحه، وإحداث الهمس فيه.[2] فعند النطق تكون شينا ثم تصبح زايا عند طرف اللسان، و« لذلك نتسمع عند غليان الرطوبات اللزجة كالدهن».[3] الشين العربية هي صوت فارسي وهي شين زائية.

- السين العربية
صوت السين ـــ - السين الصادية
- سين خوارزم (سين زائية)
شين زائية

صوت الراء

راء غينية: يرى أن هذا الصوت قريب من الراء والغين كعلاقة السين الرائية بالزاي والشين.أما كيفية حدوث الراء الغينية « بأن يتغرغر بالهواء التغرغر الفاعل للغين، ثم يرعد اللسان أو يحدث في صفاق المنخر، الداخل ذلك الارتعاد، فتحدث راء غينية».[4]

أ- راء لامية: يرى ابن سينا (ت 427هـ) أنه إضافة لما يحدث لصوت الراء من ارتعاد طرف اللسان المحدث للتكرار فإنه لا ترخى العضلات المتوسطة للسان وتشنج الطرفية، حتى يحدث تقبيب، ويرسل الهواء معتما على ذلك التقبيب في الرطوبة.[5]

ب- راء مطبقة: يرعد فيها إضافة لطرف اللسان، وسطه أيضا.[6]

ويمكن تمييز ثلاثة أصوات من الراء إضافة للراء العربية.

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 129
[2] -ينظر أسباب حدوث الحروف ص 125
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 129
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 129 و 130
[5] - أسباب حدوث الحروف ص 130
[6] - أسباب حدوث الحروف ص 130

- الراء العربية

- الراء الغينية

صوت الراء ـــ - راء لامية

- راء مطبقة

صوت الزاي

زاء ظائية: « يكون وسط اللسان فيها أرفع، و الاهتزاز في طرف اللسان خفي جدا، كأنه في سطحه».[1] فنميز صوت الزاي العربية وزاي ظائية.

صوت الزاي ـــ - الزاي العربية

- زاء ظائية

صوت اللام

لام مطبقة: يرى ابن سينا (ت 427هـ) أن نسبة هذا الصوت إلى اللام الأصلية نسبة الطاء إلى التاء إذ الفرق بينهما في الإطباق فحسب. وهذه اللام المطبقة تركية موجودة في مجموع أصواتهم المنطوقة إذ يقول «... وتكثر في لغة الترك، مأخوذة على أنها حرف آخر، ويستعملها المتفيهق في لغة العرب على أنها اللام المعروفة بعينها».[2] وهنا أيضا نجد فونيم للام صوتان، الأول اللام العربية والثانية المطبقة أو اللام التركية.

اللام ـــ - لام عربية

- لام مطبقة(لام تركية)

صوت الباء

فاء تكاد تشبه الباء: وحسب ابن سينا (ت 427هـ) فهي موجودة في لغة الفرس، ويمثل لذلك بلفظة "ڤزون"، ويرى أن هذا الصوت تختلف عن الباء بأنه ليس فيها حبس تام[3]،

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 130 و 131

[2] - أسباب حدوث الحروف ص 131

[3] - أسباب حدوث الحروف ص 131

و«تفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر، ضغط الهواء أشد، حتى يكاد يحدث منه في السطح اللين من باطن الشفة ارتعاد».[1] فتكون هده الصوت أقرب للباء منها للفاء.

الباء المشددة: وهي تقع حسب ابن سينا (ت 427هـ) في لغة الفرس كقولهم"پيروزي" وهي تحدث بشد قوي للشفتين عند الحبس، وقلع بعنف وضغط للهواء بعنف.[2]

فيمكن أن نميز من الباء ثلاثة أصوات، إثنان منها للفرس وواحدة عربية.

الباء ـــ
- باء عربية
- الفاء الشبيهة بالباء
- الباء المشددة

وإذا تمعنا جيدا فيما قدمه ابن سينا (ت 427هـ) وتفرد به، في الواقع يكون قد توصل وابتدع ما لم يقم به أحد قبله في تمييز الصوت، ومقابلته مع بقية الأصوات المشابهة له، خاصة في لغات أو لهجات أخرى، وقد استطاع التمييز بين الفونيم والألوفونات، فتحدث عن تلك الأصوات التي لم توجد في العربية القحة لكن أوجدت فيما بعد بسبب العادات اللكنية والنطقية للأعاجم، إذ لم يتمكنوا من التخلص منها بعد دخول الإسلام لوجودها في لغاتهم الأم، وقد حصر ابن سينا (ت 427هـ) جلهم في كل من الأتراك والفرس، وأهل خوارزم.

لقد حاول ابن سينا (ت 427هـ) استغلال معارفه العلمية في المجال الصوتي، فاستعان بالعلاقة التناسبية للأصوات في توضيحه لطبيعة الأصوات غير العربية أصلا والدخيلة عليها. وقد مثلها بعض علماء اللغة المحدثين بالاستعانة بالكسور الرياضية.[3] إذ يقابل كل صوت بصوت آخر يخالفه في صفة معينة، فكل مجموعات المقام تمثل

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 131
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 131
[3] - ينظر علوم الصوتيات عند ابن سينا، محمد صالح الضالع ص 80

مجموعة معينة متحدة في صفة واحدة، وكل مجموعات البسط كذلك، على نحو ما يأتي على سبيل التمثيل:

ت ، د ، س ، ز
ط ض ص ظ

فإذا أخذنا كل كسر على حدة فسنجد أن الفرق مثلا بين ت و ط هو الإطباق وكذلك بين كل ثنائية، ومن حيث المجموعة فإن أصوات البسط تقابل أصوات المقام في كون هذه مطبقة أما البسط فمنفتحة.

فهذا التناسب الذي توصل إليه محمد صالح الضالع قد أدركه ابن سينا (ت 427هـ) جيدا، واستغله في توضيح الأصوات، وتوضيح العلاقات بينها خاصة داخل السياق الصوتي الواقعة فيه، وما لها من أبعاد دلالية لذلك. فنجده مثلا يقول مثلا: «وهاهنا لام مطبقة نسبتها إلى اللام المعروفة نسبة الطاء إلى التاء».[1] وينسب ابن سينا (ت 427هـ) اللام المطبقة إلى لغة الترك « مأخوذة على أنها حرف آخر، ويستعملها المتفيهق في لغة العرب على أنها اللام المعروفة بعينها».[2]

كما نجده يناسب بين صوتين أو أكثر لتوضيح صفة الصوت الدخيل وسببه، وكذا مخرجه، ونمثل لذلك بما ورد عنده في قوله:« ومن ذلك راء غينية، نسبتها إلى الراء والغين نسبة الحرف المذكور قبلها إلى الزاي والشين».[3]

وإن كان لابن سينا (ت 427هـ) بعض المآخذ، لأنه لم يتحدث ولم يستعمل بعض المصطلحات المعروفة قبله في وصف الحروف والأصوات، فيمكن القول أنه استعان بالمصطلحات السائدة في عصره، ثم استعان بمعارفه في توضيح ما أراد، وقد نجح إلى حد ما خاصة وأنه انتهج منهجا علميا دقيقا في الوصف والتشريح .

---

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 131
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 131
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 129

ولعل تطرقه لدراسة الصوت داخل البنية اللفظية قد وسع آفاق الدراسة الدلالية في عصره، ويتضح ذلك من خلال ما توصل إليه كل من ابن سينا (ت 427هـ) وابن سنان في هذا المجال. وهذا ظاهر من إدراكهم أن للصوت خصائص تواصلية أكثر من غيرها، فهو يستعمل بيسر وسهولة منفردا دون الاستعانة بحواس أخرى.

فالصوت يصل دون البصر حين وجود حواجز كحائط وغيره مثلا. وإن السمات المكتسبة للإشارة الصوتية، وما تكتسبه من خصائص لسانية محضة كالتنوع والتضام والاختلاف والتتابع، جعلها طيعة سهلة الاستعمال في إفراغ مختلف التعابير الشعورية أو الأفكار العلمية، «ولو استعان البشر بوسائل أخرى غير صوتية في تواصلهم لتعقد النظام الرمزي الذي يصعب عليهم اكتسابه واستخدامه في سهولة ويسر».[1]

إن الصوت عند ابن سينا (ت 427هـ) هو البنية الأساسية في الكلام البشري، وبالطبع «...فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل بها على ما في النفس من أثر».[2] وإن كان رأى في الصوت علامة التواصل الأولى بين البشر، فإن ابن سنان أيضا رأى ذلك لكنه ركز على جانب التأليف الصوتي للبنية فاهتم بالتآلف والتناغم والتنافر باعتبار ذلك كله السر في فصاحة العربية وبلاغة معانيها. فيرى أن تأليف الحروف يكون على ثلاثة أقسام [3]:

أ – فالأول: تأليف الحروف المتباعدة، وهو الحسن المختار.

ب – والثاني: تضعيف هذا الحرف نفسي، وهو يلي هذا القسم في الحسن.

[1] - علوم الصوتيات عند ابن سينا د. محمد صالح الضالع ص 39

[2] - العبارة البن سينا، تحقيق محمود الخضري، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، إيران، ص 2

[3] - سر الفصاحة ص 48

ج – والثالث: تأليف الحروف المتجاورة، وهو إما قليل في كلامهم، أو منبوذا رأسا، والشاهد على ما ذكرناه الحس، فإن الكلفة في تأليف المتجاور ظاهرة يجدها الإنسان في نفسه في حال التلفظ.

أما ما قدمه ابن سنان كان نتيجة لما رآه في الحروف العربية، ونظيرها في لغات أخرى كالأرمن وغيرهم. إذ يرى مثلا أن بعض الأصوات العربية منعدمة في لغات أخرى مما يصعب النطق بها، وهذا ما حلله ابن سينا (ت 427هـ) عمليا حين تحدث عن أصوات تشبه أو قريبة من الصوت الأصلي في العربية، يقول ابن سنان: « وأما العين و الصاد و الطاء و التاء و القاف فقد تكلم بها غير العرب إلا أنها قليل».[1] وقوله هذا تصريح بوجود حروف أخرى قد نجدها عند الأعاجم وهي قريبة من الأصوات العربية، لكنه لم يتوسع في ذلك كما فعل ابن سينا (ت 427هـ) حين كان يقول مثلا: «الباء المشددة في لغة الفرس عند قولهم پيروزي».[2]

ويذهب ابن سنان في مقارنته أصوات المنظومة العربية بغيرها، فوجدها تخلو من أصوات لغات أخرى كما في لغة الأرمن، يقول:« فإنها على ما قيل ستة وثلاثون حرفا، إلا أنك إذا تأملتها وجدت بعض الحروف التي فيها يتشابه ببعض كثيرا، على حد تشابه الظاء والضاد في لغة العرب».[3] كما ينفي انفراد اللغة العربية بحرف الحاء، مما يؤكد حسن اطلاعه على لغات غير عربية حيث يقول: «وقد ذهب قوم إلى أن الحاء من جملة ما تفردت به لغة العرب وليس الأمر كذلك، لأني وجدتها في اللغة السريانية كثيرا، وحكي أ،ها في الحبشية والعبرانية..».[4]

ولعل أهم ما أشار إليه ابن سنان وأغفله ابن سينا (ت 427هـ) هو ميوعة نطق بعض الأصوات عند بعض الأعراب المعاصرة لهم مما يزيد من فقدان بعض

[1] -سر الفصاحة ص 47
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 131
[3] - سر الفصاحة ص 47
[4] - سر الفصاحة ص 47

الأصوات لطابعها الأصلي. وكذا فساد اللسان العربـي، وفقدانه لفصـاحته، وأهم عيـب يركز عليه ابن سنان: «فأما الأعـراب فقل مـن رأيـت مـن فصـحائهم اليوم مـن يفـرق بينهما في كلامه، وهذا يدلك على شدة التشابه، وقوة التماثل، ولست أقول هذا على وجه الاحتجاج بكلامهم».[1]

ويركز ابن سنان على أن طبيعـة الـتركيب الصـوتي للغـة العـرب تعتمـد علـى تناغم أصواتها اعتبارا لمخارجها وصفاتها وهذا لا ينفي وجود بعض الأبنية المطروحة وغير المستعملة في النظام التواصلي فـي إطـار لغـة العـرب، وهـو مـا يصـطلح عليـه علماء اللغة بالمهمل، يقول ابن سنان:« ووقوع المهمل من هذه اللغة ...فـي الأكـثر مـن اطراح الأبنية التي يصعب النطق بها لضرب من التقارب في الحروف».[2]

ويبين ابن سنان طبيعة الأبنية المهملة في كلام العرب، وسـبب ذلـك كمـا ذكـر صعوبة نطقها لتجاور مخارجهـا «فلا يكـاد يجيء فـي كلام العـرب ثلاثـة أحـرف مـن جنس واحد فبكلمة واحدة، لحزونة ذلك على ألسـنتهم وثقلـه».[3] ويمثـل لـذلك ابـن سـنان مستقرءا اللغة العربية، ومستشهدا بكلام العرب وآراء علماء اللغـة الأوائل كالخليـل(ت 175هـ)، الذي يروى عنه انه لم يستسغ كلمة "الهعخع" ووصفها بالشنعاء، وأن الأصل في اللغة "الخعنع" ويرى ابن سنان أن هذا أقرب إلـى تـأليفهم لأنـه يتشـكل مـن حرفيـن فقط.

ويعـرض ابـن سـنان بعـض المقـاييس المستسـاغة والمسـتهجنة فـي التـأليف الصوتي العربي، ويضع ذلك كله في إطار الفصاحة الخاصة باللغـة العربيـة، وأن ذلـك كله مما درج عليه العرب القدامى أنفسهم، وما تحدث فيه علماء اللغة أيضـا أمثـال ابـن جني.[4]

---

[1] - سر الفصاحة ص 47
[2] - سر الفصاحة ص 47 و 48
[3] - سر الفصاحة ص 47
[4] - ينظر سر صناعة الإعراب 2/212 وما بعدها

ومن بين ما وضعه ما يأتي:

ما جاء في حروف الحلق من أنه نادرا ما يؤلف بها كلام العرب، فهي لا تقع متجاورة دون الفصل بينها بأصوات أخرى مختلفة المخارج، والغاية من ذلك الميل لخفة والنطق وتجنب الثقل الذي قد ينم عن توالي حروف حلقية في بنية واحدة. يقول ابن سنان: «...ولحروف الحلق مزية من القبح إذا كان التأليف منها فقط، وأنت تدرك هذا وتستقبحه كما يقبح عندك بعض الأمزجة من الألوان، وبعض النغم من الأصوات».[1] كما يرى ابن سنان أن القاف والكاف والجيم أصوات لم تتجاور في كلام العرب، ولم يتم التأليف بينها في بنية لفظية واحدة دون الفصل بينها بأصوات من مخارج مخالفة، يقول في ذلك: «...فلم يأت منهم "فج"، ولا"جق"، ولا"كج"، ولا"جك"، ولا"قك"، ولا "كق"، وكل ذلك فرارا مما ذكرناه».[2] لكن هذا لا ينفي وجود حالات شذة وقعت في كلام العرب.

ويذكر أيضا ما جاء في بعض الحروف التي تتألف منها أبنية الكلام العربي، لكن لا تتجاور منفردة بالبناء الصوتي أو البنية اللفظية، يقول ابن سنان في هذا :« ومن الحروف التي يتركب في كلامهم بعضها مع بعض، الصاد والسين، والزاي ليست في كلام العرب مثل: "سص"، ولا"سز"، ولا"زص"، ولا"صز"، والعلة واحدة في كل هذا».[3] ولعل العلة ظاهرة وهي التقارب في المخرج الصوت بين هذه الحروف كلها.

ويتحدث كذلك عن حسن التأليف والتناغم الصوتي في الأبنية الذي قد لا يكون له علاقة بتباعد مخارج الحروف، بل قد يكون لحسن استساغة اللفظ عند السماع، وما لذلك من أثر في النفس أساسه الذوق العام الموجود عند الناطق والمستمع، يقول في ذلك: «... أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة... وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن

[1] - سر الفصاحة ص 55
[2] - سر الفصاحة ص 48
[3] - سر الفصاحة ص 49

غصنا أو فننا أحسن من تسميته عسلوجا، وأن أغصان البان أحسن من عسالج الشومط في السمع».[1] يعكس هذا حسن التأليف الصوتي في البناء اللغوي ويبين بشكل جيد العلاقة بين النطق والسمع، ومن ثم وضوح طبيعة التواصل البشري بواسطة الكلام أو اللغة، فغاية حسن النطق هو حسن الإسماع. مما تقدم يخلص ابن سنان إلى أن الصوت يقابل الكلام لأنه مؤلف منه حيث يعرفه: «هو الصوت الواقع على بعض الوجوه».[2]

الدلالة الصوتية وأساس التواصل اللغوي

دلالة المنطوق

إن الغاية من حسن التأليف الصوتي ومن ثم اللفظي حسن إيصال من الدلالات والمعاني، وفي هذا الإطار نجد من يربط النطق بالفهم إذ يروى عن أرسطو أنه يقابله بالفهم مادام النطق خاص بالإنسان، وأنه يكون بإقامة المعاني الموجودة في النفس في أصوات متآلفة، يقول ابن سنان في هذا: «وقد ثبت أن الفرق الواضح بين الحيوانات الناطق والصامت هو النطق».[3]

---

[1] - سر الفصاحة ص 55
[2] - سر الفصاحة ص 55
[3] - سر الفصاحة ص 51

وقد لا نجد أفضل مما قدمه الراغب الأصفهاني (ت 365هـ) في تعريف النطق إذ يقول:« النطق في المتعارف: الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الأذن».[1] فهو خاص بالبشر، وخاصية إنسانية على اعتبار ما تقدم، ويفصل في هذا الأصفهاني حين يرى أن القرآن الكريم جعل النطق للإنسان وغيره بدليل قوله : «ولا يكاد يقال إلا للإنسان، ولا يقال لغيره إلا على سبيل اتبع نحو الناطق والصامت، فيراد بالناطق ما له صوت، وبالصامت ما ليس له صوت، ويسمى المنطقيون القوة التي منها النطق، نطقا وإياها عنوا حيث حدوا الإنسان فقالوا: هو الحي الناطق المائت».[2]

ويجمع الكلام بين النطق والمعنى لأن النطق القدرة الإنسانية الدافعة لإصدار الكلام. والكلام هو الأصوات الظاهرة المسموعة تحمل معنى ، لذلك يرى الأصفهاني أن حقيقة النطق « اللفظ الذي هو كالنطاق للمعنى في ضمه وحصره».[3] ولابد أنه هو كل صوت يحمل معنى ليطلق عليه الكلام، وفي هذا يقول ابن سنان:«...لئلا يلزم عليه أن يكون ما يستمع من بعض الطيور كالببغاء وغيرها كلاما».[4] فليس كل منطوق كلاما، وإنما كل ما يحمل معنى كلاما.

وتوسع ابن سينا (ت 427هـ) في فهم الدلالات وقسمها، ثم راح يربطها باللفظ وأنواعه، ومدى مطابقته هذا لما في النفس، ثم لما في الواقع، وكذا علاقة الواقع بالمعنى المتصور في النفس إذ يقول: «ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم...». وقد أجاد ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك كله، وهذا لتعمقه وفهمه لفلسفة أرسطو خاصة، وكذا قراءته واستيعابه لأساسيات الدراسات الفلسفية دون محاولة الإتباع وإنما محاولة الفهم والتحليل، والإبداع. وفي هذا الإطار يتحدث ابن سينا (ت

[1] - المفردات في غريب القرآن ص 226
[2] - المفردات في غريب القرآن ص 757
[3] - المفردات في غريب القرآن ص 757
[4] - سر الفصاحة ص 23

427هـ) عن نوع من التجهيز النفسي والعقلي والترتيب الإرادي أو اللاإرادي للمعاني التي تستوجب فيما بعد نوعا من الألفاظ أو بالأحرى أصواتا.

يرى ابن سينا (ت 427هـ) أن التصور القائم في الذهن يتم بمراحل وينتج عنه أيضا مراحل أخرى، ويستوجب في ذلك قوة الذاكرة المسجلة للصور التي ترتسم في النفس لأول مرة، والمؤسسة للتجارب المحسوسة للشخص، هذه الصور التي تكون مرجعا حسيا لكل ما يتبادر إلى الأسماع ومن ثم الأذهان.

هذه المرحلة التي أدركها وأسس لها ابن سينا (ت 427هـ) يقول فيها: «إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدى عنها إلى النفس فترتسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا، وإن غاب عن الحس، ثم ربما ارتسم بعد ذلك في النفس أمور على نحو ما أداه الحس، فإما أن تكون هذه المرتسمات في الحس، ولكنها انقلبت عن هيئاتها المحسوسة إلى التجريد، أو تكون قد ارتسمت من جنبة أخرى لا حاجة في المنطق إلى بيانها».[1]

و قد حدد ابن سينا (ت 427هـ) ارتسام الصور الموجودة في الواقع وتحولها إلى تجربة ثابتة عند الإنسان بقوله:« فللأمور وجود في الأعيان ووجود في النفس يكون آثارا في النفس».[2]

الصورة الموجودة في الأعيان ← ترتسم في النفس ← أثر في النفس

والعلاقة بين الشيء المحسوس والذاكرة إنما تضفي دوما تلك التجارب الحياتية والنفسية في ذهن المرء كلما ورد ذكره، فغياب الشيء المرئي أمر وارد مع تقدم السن، وتغيير المكان، لكن يستحيل غياب الصورة التي ارتسمت في الذهن، وأخذت مكانا معتبرا في تجارب الإنسان، فالمرء قد يرى آلاف البيوت، ويحيا في

[1] - العبارة ص 1 و 2
[2] - العبارة ص 2

زمرة منها لكن بمجرد ذكر البيت فإنه يتبادر إلى ذهنه بيت معين خلاف ما يراه أخ لـه أو صديق أو أي شخص آخر، وذلك لسبب بسيط وهو الحالـة الـتي فيهـا الصـورة فيهـا عند المرء لأول مرة. فالأول قد ترسخ لديه صورة البيت الذي تقطنـه، والثـاني صـورة بيت يحلم أن يعيش فيه، والثالث قد ترتسم لديه صورة بيت الطفولة الذي ترعرع فيه.

يتبين لنا مما سبق مراحل انتقال الواقع إلى مفـاهيم وتجـارب خاصـة ومتميـزة بكل فرد. كما يتبين أن الواقع هو المساهم الأول في بنـاء تجـارب الإنسـان الخاصـة بـه والتي قد تصاحبه طيلة حياته، والمساهمة في بناء الشخصية ثم طبيعـة الجـانب النفسـي والاجتماعي. فقبل التصور وجـب وجـود أشـياء سـابقة حاصـلة فـي أوهامنـا، ولابـد أن يقصد بذلك مرحلة ما قبل التصور والتمثيل ويربط ابن سينا (ت 427هـ) بين ضـرورة الشيء الحادث في الوهم، وضرورة تصوره في الذهن، ولا يولي أهمية لهذه المرحلـة، فهي كما تظهر حالة لا إرادية لكن شعورية إلى حد ما ويمكن تجليتها بسماع الشـيء ثـم إدراكه في الذهن، فهي تحدث تلقائيا، لكن الأمر أو المرحلـة الإراديـة والـتي تتـم تحـت وعي كامل هو مصاحبة التصور التصديق أو لا تصاحبه.

فيرى ابن سينا (ت 427هـ) أن تصور المعنى قد لا يصحبه معنـى قـول القـائل "إنسان"... وقولنا"هل نمشي؟[1] هذا الكلام لا يحتاج إلى تدليل لأنه لا يحتاج إلى برهان، فهي ممثلة في الواقع، ولا يختلف حولها إثنان. وهنا تأكيد على أسبقية التصور الحاصل في الذهن على التصديق، فالتصور موجود دوما لكن التصديق هو الغائب أو الحاضـر، ويقول ابن سينا (ت 427هـ) في هذا:« فيحصـل مـن جميـع مـا اقتصصـناه أن المعـاني التي نتصورها قد يتعدى فـي بعضـها التصـور إلـى التصـديق، وقـد يتعـدى إلـى أنحـاء أخرى».[2]

ويحدد انطلاقا من هذا النص ابن سينا (ت 427هـ) الأشياء المراد عنها، وهـي مكنونة في أربعة أوجه: "أوهام"، وهي ما قبل التصور، أو الذهن، أو العقل، أو النفس،

[1] - ينظر منطق الشرقيين لابن سينا، قدم له شكري النجار، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 1، 1982، ص 29
[2] - منطق الشرقيين لابن سينا ، ص 29

وأن اللفظ المعبر عن هذه الأربعة قد تكون مجرد تصور أو يكون هناك تصور وتصديق. ويميز ابن سينا (ت 427هـ) بين حصول التصور وحصول التصديق في محاولة كشف ما في النفس يقول:« فإذا أردنا أن نبين كيف نطلب ما نستحصله في نفوسنا فإما أن نبين كيف نستحصل تصورا أو كيف نستحصل تصديقا».[1]

لقد سبر ابن سينا (ت 427هـ) غور الصوت ليصل به إلى أعماق النفس والفكر، وهذا انعكاس واضح لرؤيته الفلسفية والمنطقية للأشياء مما يجعلنا نعتقد بانتقاله من كلام اللغويين إلى كلام المنطقيين، وهو يدرك حدود كل منهما في قوله« فأما النفس كيف تتصور صور الأمور، وكيف يحصل فيها ذلك، وما الذي يعرض للصور وهي في النفس، وما الذي يعرض لها وهي من خارج، وما الفاعل الذي هو سبب إخراج قوة التصور إلى الفعل، فليس من هذه الصناعة، بل من علم آخر، و أيضا فإن النظر في أنه أي لفظ هو موضوع دالا على معنى كذا، وأي كتابة هي موضوعة دالة على معنى كذا واثر كذا، فذلك لصناعة اللغويين والكتاب، ولا يتكلم فيها المنطقي غلا بالعرض، بل الذي يجب على المنطقي أن يعرفه من حال اللفظ هو أن يعرف حاله من جهة الدلالة على المعاني المفردة والمؤلفة ليتوصل بذلك إلى حال المعاني أنفسها من حيث يتألف عنها شيء يفيد علما بمجهول، فهذا هو صناعة المنطقيين».[2]

هذا كله للحاجة إلى نقل التجارب والصور إلى الآخرين، لأن طبيعة الإنسان الاجتماعية تجعل التواصل بين البشر ضرورة لتكتمل شروط الحياة الاجتماعية، والكلام أهم وسيلة لنجاح ذلك، يقول ابن سينا (ت 427هـ) « ولما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك، ولم يكن أخف من أن يكون فعلا، ولم يكن أخف من أن يكون بالتصويت».[3] وسبب اختيار الصوت والكلام أداة تواصلية تجلي المشاركة، وتفصح عما في النفس من مكونات مختلفة، يذكره ابن سينا (ت 427هـ)

[1] - منطق الشرقيين لابن سينا ، ص 29
[2] - العبارة لابن سينا ص 5
[3] - العبارة ص 2

بإيجاز«...والصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم، فتكون فيه مع خفته فائدة وجود الإعلام به مع فائدة انمحائه، إذ كان مستغنيا عن الدلالة به بعد زوال الحاجة عنه، أو كان يتصور بدلالته بعده، فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، وقد وفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل على ما في النفس من أثر».[1]

إن الصوت كان ولازال الاختيار الأنسب للتعبير عن مجالات التشارك والتواصل بين البشر في وقت ومكان واحد، لكن التواصل قد يكون بين أزمنة متباعدة، فيكون المرسل واحدا أو جماعة محددة معروفة، لكن المرسل إليه يبقى مبهم العدد والزمن، حيث يتم نقل التجارب والأفكار والاستفادة منها. وما الاهتمام بالتاريخ وفروعه إلا من هذا القبيل، لأجل هذا تمت الاستعانة بالخط أو الكتابة لتعويض الصوت الذي ساهم في حفظ الكثير من الآثار الأدبية وكذا الدينية، والرواية أحد هذه الصور الواضحة، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «ثم وقع اضطرار ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان أو من المستقبلين إعلاما بتدوين ما علم، إما لينضاف إليه ما يعلم في المستقبل فتكمل المصلحة أو الحكمة الإنسانية بالتشارك فإن أكثر الصنائع إنما تمت بتلاحق الأفكار فيها والاستنباطات من قوانينها واقتفاء المتأخر بالمتقدم واقتدائه به، أو لينتفع به الآتون من بعد، فاخترعت أشكال الكتابة، وكله بهداية إلهية وإلهام إلهي».[2]

ونجد ابن سنان من جانب آخر يدلي بدلوه في المعاني الكامنة في النفس، وعلاقتها بالنطق و الكلام، ويتفق في الكثير من النقاط مع ابن سينا (ت 427هـ). فالكلام صوت مسموع وأصوات متقطعة وأيضا معنى قائم في النفس. فالصوت المسموع شرط وطريق لإثبات الكلام القائم في النفس، وإلا انعدمت صفة الكلام. غير أن ابن سنان يرى أن في ذلك بعض الزلل إذ اشتراط الصوت المسموع لاثبات صفة الكلام فيه بعض المآخذ. فالصوت دليل على القدرة على إخراج المعنى في شكل

[1] - العبارة ص 2
[2] - العبارة ص 2.

أصوات متتابعة تؤلف كلاما، ولكن الكلام معنى قائم في النفس يتحلى باللفظ اللازم وإن لم نتلفظ به. وهنا يقول: «وذلك أن الإنسان يفعل كلاما خفيا في صدره ويقطعه بالنفس فيكون كلاما بالحقيقة، وإن كان غير مسموع».[1]

وهذا ما توصل إليه المحدثون فأكدوه أمثال دو سوسير في الأثر القائم في النفس. ويطرح ابن سينا (ت 427هـ) مصطلحات متداخلة في هذا الإطار، وهي الصوت والآثار الواقعة في النفس أو المقاصد، ثم المعاني ثم الألفاظ. فالصوت يكشف الآثار النفسية التي تقود إلى المعاني القائمة في النفس، وقد تتطابق الآثار مع المعاني حين يتعلق الأمر باللفظ.

ويميز ابن سنان بين المعنى القائم في النفس، ونية فعل الشيء، وتحقيقه في الواقع فيقول:« ثم إن أحدنا قد يحدث نفسه بنسج ثوب أو بناء دار فيظن أن ذلك مصور في نفسه قبل الفعل، وليس يجب أن يكون البناء أو النساجة معنى في النفس، بل ذلك علم بكيفية إيقاع كل واحد منهما حسبما بيناه في الكلام».[2]

لقد أثار ابن سنان قضية مهمة في تحليله للمعنى والكلام و المنطق و الصوت، وهي اللفظ لأنه الحاوي للدلالات المختلفة المعبر عن مختلف التصورات. وقد أدرك ابن سينا (ت 427هـ) أهمية اللفظ واعتبره طريق من طرق المعرفة، كما اعتبره أحد أدوات علم المنطق الذي تعمق فيه. فدرس اللفظ باعتباره موضوع التصور، وجعله قسمين:

أ- الجزئي: مالا يحتمل أكثر من معنى واحد، كأسماء الأعلام، نحو عمرو وزيد.

ب- الكلي: ما يدل على الكثرة من جنسه، نحو إنسان وحيوان.

[1] - سر الفصاحة ص 32

[2] - سر الفصاحة ص 32

ولابد وأن ابن سينا (ت 427هـ) أدرك مثل باقي الفلاسفة دور اللفظ خاصة في علم المنطق، لأن علاقته باللغة علاقة جدلية ووثيقة، لا انفصالية. إذ كيف يمكن للإنسان أن يفكر دون لغة، ودون أن تكون المعاني المتصورة مقرونة بألفاظها المناسبة، وإن تمت العملية داخليا دون إصدار أصوات منطوقة ومسموعة.

فالمعنى واحد وقد اصطلح عليه بالدلالة الطبيعية، يقول: «وأما دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا تختلف، لا الدال ولا المدلول عليهن كما في الدلالة التي بين اللفظ والأثر النفساني»[1] ، فيساوي ابن سينا (ت 427هـ) بين الصوت واللفظ باعتبار أن كلا منهما يدل على معاني قائمة في النفس، إلا أن الأول مسموع، والثاني مسموع مرتسم ومتوارد في النفس، يقول ابن سينا (ت 427هـ)« فما يخرج بالصوت يدل على ما في النفس، وهي التي تسمى آثارا، والتي في النفس تدل على الأمور وهي التي تسمى معاني، أي مقاصد للنفس. كما أن الآثار أيضا بالقياس إلى الألفاظ معان».[2] ويقودنا هذا إلى علاقة المفهوم بالمسموع واللفظ، ويوضح ذلك كله في قوله:« ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى. فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه».[3]

من هنا حدد ابن سينا (ت 427هـ) المصطلحات الخاصة بما يحصل به التصديق و التصور فسمى ما نصل به أو ما يتم به التصور: قولا، أو حدا، أو رسما، أو قولا شارحا. وما يحصل به التصديق: حجة، أو قياسا، أو استقراء، أو غير ذلك. وقوله في هذا:« ومن عادة الناس أن يسموا ما يحصل به التصور "قولا شارحا" أو قولا بحسب الاسم. فمنه ما يسمونه حدا ومنه ما يسمونه رسما، ومن عادتهم أن يسموا ما يحصل من التصديق"حجة" فمنه ما يسمونه قياسا، ومنه ما يسمونه استقراء أو غير

[1] - العبارة ص 5
[2] - العبارة ص 2 و 3
[3] - العبارة ص 4

ذلك».[1] ورغم أنه يميز بين الحجة والقول ، من حيث الإدراك و التعلم، وكيف أن التصور أو القول أسبق بالضرورة في ذلك من القول، إلا أنهما يشتركان في اللفظ الحامل لمعاني ، فيقول في ذلك:« ولأن كل قول شارح وكل حجة فهو مؤلف من معان وألفاظ».[2]

ونحن نتحدث عن المعاني لابد وأنها تشكل مجموعات من التراكيب حتى تتمكن معا من إسفار التصورات أو التصديق عليها، وهنا يتحدث ابن سينا (ت 427هـ) عن ضرورة تركيب ليس اللفظ الحامل للمعاني وإنما بين التصور و التصديق وأهميته خاصة إن علمنا أن المعاني وهي محمولة في مجموع اللفظ المتاح تصير موصلة إلى تحصيل شيء في أذهاننا.[3] وهنا يؤكد ابن سينا (ت 427هـ) أن «بين اللفظ والمعنى علاقة ما، وربما أثر أحوال في اللفظ في أحوال المعنى».[4]

ويثير هذا القول أمرا آخر هو طبيعة الأشياء المتصورة هل هي موجودة في الواقع أم لا، وكيف يمكن الاستفادة من هذه الأعيان كما يسميها ابن سينا (ت 427هـ)، وفي هذا يقول :« فإن التفتنا إلى كونها جواهر أو كميات أو كيفيات أو غير ذلك فإنما يكون ذلك ـ إذا كان لكونها أشياء من ذلك ـ أثرا وحكما من الجهة التي لها يصلح أن يكون جزءا من قول شارح أو حجة».[5] ولابد أن ابن سينا (ت 427هـ) مدرك أن طبيعة الأشياء لها وجود في الأعيان ثم وجود في الأذهان، ووجود في اللفظ أو العبارة، ووجود في الخط أو الكتابة. فأما هذه فإنها تعكس وتدل على اللفظ، و تدل هذه على المعنى المتصور في الذهن.

والدلالة الذهنية والصورة اللفظية الصوتية هما مدار الحديث عند ابن سينا (ت 427هـ) لأنهما موضوعان، فيمكن لأحدهما أن يتغير وهذا إثبات بأن العلاقة بينهما

[1] - منطق الشرقيين ص 30
[2] - منطق الشرقيين ص 30
[3] -ينظر منطق الشرقيين ص 31
[4] - الإشارات والتنبيهات لابن سينا، شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق سليمان دينا، دار المعارف، مصر، ص 180و 181
[5] - منطق الشرقيين ص 31

علاقة غير طبيعية، وإنما العلاقة الحقيقية أو الطبيعية هي بالفعل بين المعنى والأعيان أو الأشياء، فما علاقة اللفظ بالمعنى ؟، وما مدى التطابق و التلازم بينهما؟. ولتحديد ذلك وطبيعتهما فإن ابن سينا (ت 427هـ) حدد طبيعة اللفظ والمعنى من حيث الإفراد و التركيب.

اللفظ المفرد والمعنى المفرد

فأما اللفظ الدال المفرد هو «اللفظ الذي لا يريد الدال به على معناه أن يدل بجزء منه البتة على شيء، وإن كان قد يجوز أن يدل بجزء منه على معنى مثل قولنا الإنسان فإنه إذا أريد أن يدل به على معنى الحيوان الناطق لم يدل حينئذ بشيء من أجزائه على شيء».[1]

فدلالة الإنسان تقابل دلالة الحيوان الناطق، فيكون جزء دلالة الحيوان الناطق لا تدل على الإنسان، فيكون اللفظ مفردا بإفراد المعنى. ويضيف ابن سينا (ت 427هـ) النية المقصودة في جمع المعنى بإفراد اللفظ المراد، فيقول: «... ومثل قولنا عبد شمس فإنه إذ أريد أن يدل به على شخص معين من حيث هو شخص معين لا من حيث يراد أن يقال فيه عبد الشمس،لا يكون حينئذ دلالة يراد بعبد و شمس، بل لم يلتفت إلى ما يدل عليه عبد و شمس في حالة أخرى».[2] و يعين ابن سينا (ت 427هـ) موقع الدلالة فيرى أنها موجودة في السياق الوارد فيه، فاللفظ بالنسبة إليه ليس دالا في نفسه بل اللفظ اصطلاح يحمل من المعنى ما يحتاج إليه المخاطب، فيحدد أن اللفظ لا يحمل أي دلالة في نفسه حقا حين يقول: «وإذا لم يرد باللفظ دلالة لم يكن دالا، لأن معنى قولنا لفظ دال هو أنه يراد به الدلالة، لا أن له في نفسه حقا من الدلالة».[3]

أما المعنى المفرد فهو ذاك التصور المنفرد في ذهن المتحدث، ويعبر عنه ابن سينا (ت 427هـ) كونه المعنى الذي يلتفت إليه الذهن دون غيره، وهو ما يمكن تسميته

[1] - منطق الشرقيين ص 31و 32
[2] - منطق الشرقيين ص 32
[3] - منطق الشرقيين ص 32

بالانتقاء. فالذهن ينتقي معنى يوليه أهمية وتصورا دون غيره من المعاني المرافقة، وإن كان الذهن قد قام بمجموعة إجراءات انتقائية على مجموع المعاني الممكن تصورها، يقول في هذا: «والمعنى المفرد هو المعين من حيث يلتفت إليه الذهن كما هو، ولا يلتفت إلى شيء منه يقوم أو معه يحصل، وإن كان للذهن أن التفت وقتا آخر إلى معان أخرى فيه ومعه أو لم يكن».[1]

المعنى الكلي والمعنى الجزئي

من المفرد يمكن أن يتحدد المعنى الكلي وكذا الجزئي، ويقصد ابن سينا (ت 427هـ) بذلك التصور الكلي الذي قد يحتمل عدة تصورات وأما الجزئي فذاك الذي يحتمل تصورا واحدا قد يكون مطابقا لتصور واقعي معين يقصده. فيعرف المعنى الكلي بقوله:« إذا كان نفس تصور المعنى المفرد لا يمنع الذهن إلا بسبب خارج من نفس تصوره إن اتفق ، عن أن يقال ويعتذر لكل واحد من كثرة أنه هو ــ فهو كلي».[2]
والمعنى الجزئي فيقول عنه :« وأما إذا كان نفس التصور مانعا من ذلك، فهو الجزئي كتصورنا معنى قولنا زيد أي شخص بعينه مشارا إليه، أو هذا الشكل العشريني أو هذه الشمس كان نفس التصور مانعا من ذلك، فإن هذا المشار إليه لا يكون إلا ذلك المعين وكذلك في الشكل أو الشمس».[3]
وأنواع دلالات اللفظ على المعنى، يحددها ابن سينا (ت 427هـ) في ثلاثة أصناف وهي:

1- دلالة المطابقة ويقول ابن سينا (ت 427هـ) فيها أنها:« مثلما تدل لفظة الإنسان على الحيوان الناطق».[4]

2-دلالة التضمن وهي أن تدل لفظة الإنسان على الحيوان وعلى الناطق، فإن كل واحد منهما جزء ما يدل عليه الإنسان دلالة المطابقة.[5]

[1] - منطق الشرقيين ص 32
[2] - منطق الشرقيين ص 32
[3] - منطق الشرقيين ص 32
[4] - منطق الشرقيين ص 32
[5] - منطق الشرقيين ص 32

فتشترك دلالة المطابقة على دلالة التضمن أن المعنى فيها ينحصران في الشيء المعبر عنه فحسب إذ لا ينتقل الذهن إلى معاني ثانية أو رابطة غير ظاهرة مثلما يحدث في دلالة الالتزام.

3-دلالة الالتزام ويمثل ابن سينا (ت 427هـ) لذلك بقوله:« دلالة الالتزام مثل دلالة المخلوق على الخلق والأب على الإبن والسقف على الحائط والإنسان على الضاحك، وذلك أن يدل أولا دلالة المطابقة على المعنى الذي يدل عليه أولا، ويكون ذلك المعنى يصحبه معنى آخر، فينتقل الذهن إلى ذلك المعنى الثاني الذي يوافق المعنى الأول ويصحبه».[1] وتكون دلالة الالتزام مرتبطة هنا بالدلالة الأولى أو دلالة المطابقة، وهذه الدلالات المذكورة قد فسرها ابن سينا (ت 427هـ) على أساس وجودي أو واقعي إذ استعان في تحديد ذلك كله بالتمثيل لها بوجود ما يطابقها في الواقع، لكن المعاني المتصورة لا يكون لها في جميع حالاتها ما يعكسها في الواقع، رغم ذلك فإن هذه التصورات لها وجود في الذهن، والمعنى يستقر في النفس، ونجد ابن سينا (ت 427هـ) يتحدث عن هذا و يشير إليه في قوله :« وليس من شأن المعنى المتصور أن يكون له في الوجود مثال يوجد...مثل كثير من مفهومات ألفاظ لا يمكن وجود معانيها مثل مفهوم لفظ الخلاء ومفهوم لفظ غيرالمتناهي في المقادير فإن مفهومات هذه الألفاظ تتصور مع استحالة وجودها».[2]

والمعنى والتصور يبقى دون اللفظ قاصرا، ويبقى مقره النفس دون العبارة والنطق. فالمعنى يتحدد لحظة نطق اللفظ وإجادة العبارة فيكون اللفظ حدا للمعنى والعبارة مستقر اللفظ فيه، يقول ابن سينا (ت 427هـ)في ذلك:« وكل من تلفظ بلفظ فإليه تحديده إذا أجاد العبارة لما يقصد إليه من المعنى، ولا مناقشة معه البتة إلا إذا كان قد زاغ عما قصده بشيء مما يقوله».[3] فعلاقة اللفظ بالمعنى ظاهرة أما علاقة المعنى بالمعنى، وعلاقة اللفظ باللفظ في إطار التركيب فيستلزم بحثا في أبعاد أخرى.

[1] - منطق الشرقيين ص 97
[2] - منطق الشرقيين ص 97
[3] - منطق الشرقيين ص 97

المقطع

مفهوم المقطع:

يعد المقطع مصطلحا متأخرا رغم قدمه يعرض لمفهوم قد يتجلى في تتابع مجموعة أصوات محددة. ولعل مصطلح المقطع قد جاء من فكرة تجزئة وتقطيع الكلام الذي تبناه العرب إذ نجد « حروف المقطع والحروف المقطعة»[1] مثل ما ورد عند القراء « إذا ذكرن متواليات دللن على أن: أ ب ت ث بعينها مقطعة، إذا لم يأتن متواليات دللن على الكلام المتصل لا المقطع ».[2]

وهذا قريب مما فهمه بعض علماء الغرب حول مفهوم الحرف الذي يراه المستشرق الروسي أ. غابوتشان واستشهد به د. دك الباب أنه كمقولة جاء نتيجة للتجريد، ويرى أن التسمية العربية لأي حرف تفيد أشكاله الأربعة «الحرف المضموم، والمفتوح، والمكسور، والساكن أي أشكاله مع الحركات المختلفة ودون الحركة ويعني ذلك أن الحركات تعتبر عناصر صائتة تدخل في تكوين الحرف وليست صوائت تضاف إلى الحرف، والحرف المؤلف من عنصرين صامت وصائت يعتبر وحدة لا تتجزأ في بناء الكلمة».[3]

ويعد ما اعتبره غابوتشان حرفا مقطعا بالنسبة لبعض العلماء أمثال الفارابي الذي يعده البعض أول من استخدم المقطع بمفهومه العلمي والصوتي الحديث.[4] إذ يرى مثلا أن المقطع القصير يتكون من صامت وصائت لقوله« كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به، فإنه يسمى المقطع القصير».[5]

[1] -ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه دولة في اللغة، إعداد المهدي بوروبة، جامعة تلمسان، ص 272

[2] - معاني القرآن الفراء يحي بن زياد تحق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ط 2 عالم الكتب بيروت لبنان 1955

[3] - ينظر مقال الصوامت والصوائت د جعفر دك الباب ، مجلة اللسان العربي، عدد 19.

[4] - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 277

[5] - الموسيقى الكبير ص 1072

وقد عرض د. عبد القادر عبد الجليل مجموعة من التعريفات لعلماء لغة أجانب وعرب للمقطع والتي تصب جميعها في كون المقطع يمثل« أحد ظواهر الكلام، وتنوعا للفونيمات فوق التركيبية supra-segmental phonemes إلـى جـانب النـبر stress والتنغيم intonation والمفصل juncture ».[1]

ويرى أن أفضل من قدم للمقطع صورة واضحة صاحب النظرية البنوية فرديناند دو سوسير الذي وصفه بقوله «الوحدة الأساسية التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم».[2] على اعتبار أن الفونيم هو الوحدات الأساسية للسلسلة الكلامية ومن ثم للمقاطع المختلفة لأية لغة من اللغات حيث لا يمكن دراستها انطلاقا من دراسة أصواتها منعزلة إلا من خلال ما تكون عليه تراكيب معينة «... وهذا يعني فقط أن الأصوات اللغوية لا توجد مستقلة وأنها لا تحلل على انفراد إلا بنوع من التجريد، إذ أنها في كل لغة تكون نظاما مترابطا، لكن بمعنى ذلك أيضا أنها لا تستعمل على انفراد إلا بمركبات من الأصوات اللغوية. فأقل جملة وأقل كلمة تفترض سلسلة من الحركات النطقية المعقدة وقد تركبت فيما بينها».[3] وهي بهذا شبيهة بالعناصر الكيماوية المكونة لوحدات عضوية.[4]

فالفونيمات إذا هي مجموعة محددة خاصة بكل لغة ، فلا نكاد نجد تشابها أو تطابقا بين لغة وأخرى خاصة حين النطق بها، وإن اعتقدنا في البداية عكس ذلك لهذا فإن المستمع للغة أخرى لا يكاد يسمع أكثر من جلبة صوتية دون تمييز صوت عن آخر في لغة لا نفهمها.[5]

---

[1] - هندسة المقاطع الصوتية ص 47

[2] - Stetson Basis of Phonology نقلا عن الهندسة الصوتية ص 48

[3] - اللغة ، فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1950 ص 83

[4] - Introduction à la Linguistique, par H.A Gleason: Il y a dans tout idiome un nombre précis et généralement peu élevé de phonèmes. C'est sur ce stock limité d'unités qu'est construit tout le système d'expression. Par certains côtés, les phonèmes sont semblables aux éléments chimiques (90 environ à partir desquels sont constitués tous les corps), p 12

[5] - Introduction à la Linguistique, par H.A Gleason: Les phénomènes de langues différentes sont différents, et souvent ils sont incommensurables. C'est pour cette raison que l'étranger n'entend qu'un_magma qu'il ne peut répéter, les sons d'une autre langue ne correspondent pas à son système phonologique et il ne saisit aucun ordre dans un énoncé simple. Si ce que l'on dit à propos des phonèmes d'une langues trouve aussi son application pour les phonèmes d'une autre langue. C'est une pure coïncidence. P 13

وهنا وجب توضيح الاختلاف بين لغة وأخرى ليس في الفونيم نفسه وإنما في المقاطع حيث يكون للفونيم دوران «أما الأولى فحين تساعد على تجريد معنى الكلمة التي تحتوي عليه، وأما الثانية فحين تحتفظ بالفرق بين الكلمة والكلمات الأخرى».[1] وفي مقدمتها المقاطع الصغيرة المؤسسة للخطاب مما يجعل استيعابها وفهمها بالنسبة للأجنبي طبعا صعبة.

وتتدخل هنا طبيعة عمل الجهاز النطقي والمتجلي في تحقيق أصوات معينة داخل خطاب معين وكذا معلومات خاصة حول المتكلم الذي يصدر الخطاب بتأثيرات مختلفة والتي لا تكون إلا عند النطق أو الحديث الشفهي كالنبر والتنغيم واللذان يتعلقان حتما بالمقاطع أكثر من الفونيمات وحدها.[2]

وتطالعنا مصادر اللغة العربية باستعمال علمائها مصطلح المقاطع، وهو قريب من المفهوم الحديث له، مثل الفراء في كتابه معاني القرآن حين قال: «ا ب ت ث بعينها مقطعة، وإذا لم يأتن متواليات دللن على الكلام المتصل لا المقطع».[3] وابن قتيبة في قوله: «يجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها فقال : ألم وهو يريد جميع الحروف المقطعة».[4] أما الجاحظ « فقد استعمل لفظة "التقطيع" قريبة من دلالتها الفنية المعهودة اليوم. فهي تعني عنده تجزئة الكلام».[5] لقوله: «ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف». [6]

---

[1] - الكلمة:دراسة لغوية ومعجمية، د/ حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، طبعة 1980، ص 49

[2] - Quand nous entendons une personne qui parle notre langue, non seulement nous entendons ce qui est dit mais nous apprenons également d'autre choses sur le locuteur lui-même, si nous le connaissions auparavant nous le reconnaissons; si nous ne le connaissons pas nous l'identifions comme homme ou femme, et nous pouvons peut-être nous faire une idée de son âge, et de son éducation et de son milieu social. La voix du locuteur a au moins deux fonctions dans la communication l'une est linguistique. La voix est le véhicule du système d'expression de la langue, l'autre est non linguistique: la voix donne des informations d'une toute autre nature concernant le locuteur. P 12

[3] - معاني القرآن، الفراء يحي بن زياد، تحق/ محمد علي النجار، ط 2 عالم الكتب بيروت لبنان 1955 ، 1/319

[4] - تأويل مشكل القرآن مسلم بن قتيبة شرحه ونشره السيد أحمد صقر ، ط 3 دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان 1981 ص 300

[5] - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 273

[6] - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص 273

وليس بعيدا عن اللغويين نجد أهل العروض، ويمكن إجمال ما ذكروه في كونهم اتفقوا مع أهل الدراسات اللسانية الحديثة في اعتماد المشافهة في ضبط الأصوات، والتغاضي عن المرسوم من الكلام غير المنطوق، مما جعل التطابق فيما توصلوا إليه ثابت « وكل ما يمكن تسجيله بين التناولين يكمن في اختلاف تسمية الأنساق الناتجة عن التقطيع، فهي في القديم أسباب وأوتاد وفواصل، وفي الحديث مقاطع تتباين طولا وقصرا و فتحا وإقفالا».[1] حيث اتفق العروضيون وأهل اللغة في فهم المقاطع انطلاقا من تحليلها باستعمال الحركة والسكون فدلوا على الحركة بشرطة)- (وعلة السكون بدائرة) 0 (.

وقد علم علماء اللغة الأوائل سر الاختلاف بين المنطوق والمكتوب، وأنهما نظامان متمايزان رغم ما يشاع عنهما من تطابق كاذب، يقول الزمخشري في مجال التقطيع العروضي «أن تتبع اللفظ وما يؤديه اللسان من أصداء الحروف، وتنكب عن اصطلاحات الخط جانبا ، فلا يلغى التنوين، ولا الحرف المدغم، ولا واو الإطلاق، ولا ألفه ولا ياؤه، لأنها أشياء ثابتة في اللفظ، وتلغى ألفات الوصل الواقعة في الدرج وألف التثنية التي لاقاها ساكن بعدها وغير ذلك مما لا يلفظ به، وأن تنظر إلى نفوس الحركات مطلقة دون أحوالها».[2]

وهذا يبين وضوح المقطع في المنطوق أكثر من المكتوب وهذا يؤكد أن حياة اللغات فعلا مرتبطة بالصوت والنطق «حيث ماتت لغات كثيرة عندما جهلت طريقة النطق فيها»[3]، لأن التطابق بين المنطوق والمكتوب غير تام، فهناك أصوات منطوقة غير مضبوطة كتابة، والعكس أيضا يوجد صور حروف لا يضبط نطقها في الكلمات، وهذا وارد بكثرة ومعروف في لغات أجنبية كالإنجليزية وغيرها. وتبقى العربية أقرب اللغات من حيث تطابق صور حروفها الخطية والنطقية.

[1] - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص 274
[2] - القسطاس في علم العروض، الزمخشري تحق د فخر الدين قباوة المكتبة العربية حلب سوريا ط 1 1977 ص 53
[3] - أصوات اللغة العربية، د عبد الغفار حامد هلال مط الجبلاوي مصر ط 2 1988 ص 8

وارتبط مفهوم مصطلح المقطع بمخارج الأصوات حيث يتنوع ويختلف صوت عن آخر، وقد استعمل ابن جني ذلك في أكثر من موضع في حديثه عن الصوت والحرف والفرق بينهما، إذ يصبح الصوت حرفا عند مقطع معين محدد. فيقول ابن جني في الصوت أنه «عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا».[1]

ومن هنا ارتبط المقطع بأعضاء النطق محددا بذلك أصغر جزء يمكن النطق به فيلتقي مع ابن سينا (ت 427هـ) في تحديده للمقطع بقدرة الحرف الصامت على الظهور بالنطق، فيقول« والحرف الصامت إذا صار بحيث يمكن أن ينطق به على الاتصال الطبيعي، سمي مقطعا».[2] ، ويلتقي ابن جني فيما ذهب إليه في مفهوم المقطع الصوتي مع كثير من تعاريف المحدثين، نحو عبد الصبور شاهين من حيث إنه «مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي».[3] ويأتي هذا الأخير عن ضغط من الحجاب الحاجز عن الرئتين فينتج « إيقاعا يعبر عنه مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت وحركة».[4]

ولعل الظاهر من القول يجعل القارئ يعتقد أن ابن جني جعل المقطع مرادفا للحرف، وهذا ليس كذلك إذ حقيقة النفس تبدي أن الصوت يصبح حرفا حيث كان وما يؤكد ذلك ما ورد أيضا عن ابن جني في توضيحه لصورة الصوت الذي يتغير جرس حرفه بسبب اختلاف مخارجه يقول: «وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها... ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت فيه راجعا عنه، أو متجاوزا له ... سمعت هناك صدى

---

[1] - سر صناعة الإعراب، 1/6

[2] - جوامع علم الموسيقى، ص 123

[3] - المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1400 هـ، 1980 م ص 38

[4] - - المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي ص 171

ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين».[1]

ويعطي محمد رشاد الحمزاوي صورة واضحة ومبسطة لمفهوم المقطع جامعا بعض التعريفات المتقاربة في التصور الخاص بالمقطع، إذ يعرفه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنه «جزء الكلمة المشتمل على صوت لين أو ما يشبهه».[2] ويبقى هذا التعريف عاما ومفتوحا غير محدد لطبيعة المقاطع النطقية، في حين يأتي تعريف كل من جون كونتينو والطيب بكوش للمقطع متقاربان إلى حد بعيد يشبه التطابق، فالمقطع بالنسبة لهما هو « الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق التصويت) سواء أكان الغلق كاملا أم جزئيا(هي التي تمثل المقطع».[3] هذا التعريف يطابق قول ابن سينا (ت427هـ) «... سمي مقطعا، وهو الحرف الصامت الذي شحن الزمان الذي بينه وبين صامت آخر يليه بنغمة مسموعة».[4]

وتكون كيفية حدوث المقطع كما يصفها جون كونتينو «ويبتدئ المقطع بصوت واحد أو عدة أصوات فاتحة أو منفجرة ذات انفتاح متزايد ويمر بمقدار أعلى من الانفتاح تمثله عادة حركة من الحركات ينتهي بصوت أو عدة أصوات غالقة أو حاجزة للهواء ذات انفتاح متناقض»[5]، وهذا ما يعبر عنه الطيب بكوش بكونه «أبسط وحدة نطقية».[6]

والمقاطع أنواع صغيرة وكبيرة. فأما الأصغر فيتكون من حرف وحركة وهما يمثلان صوتين اثنين وهنا يجدر بنا الحديث عن تداخل مصطلحات الحرف والصوت والحركة إذ يغيب عن المقطع الصوت ويثبت الحرف والحركة، إذ الحرف صوت اعترضه عارض في الجهاز، فيكون ذلك أقرب إلى الصوت اللغوي ويكون ساعتها الحرف «حد منقطع الصوت».[7]

[1] - سر صناعة الإعراب 1/6
[2] - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي د محمد رشاد الحمزاوي الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1987 ص 157
[3] - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 157
[4] - جوامع علم الموسيقى، ص 123
[5] - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 157
[6] - المصدر نفسه ، ص 157
[7] - سر الفصاحة ص 13

وبين الصوت والحرف يضع ابن سينا (ت 427هـ) تصورا واضحا يفرق فيه الصوت عن الحرف، فيقول عن الأول الذي هو الصوت: «تقديري أن السبب القريب للصوت تموج الهواء دفعة واحدة بسرعة وقوة من أي سبب كان»[1]، فالصوت كل ما يمكن سماعه بغض النظر عن مسببه. أما الحرف فهو صوت يستفيد من مخارج ومحابس، يقول: «وأما المتموج من جهة الهيئة التي يستفيدها من المخارج والمحابس في طريقه فمنه تظهر الحروف».[2] فتكون العلاقة بين الصوت والحرف علاقة استمرارية فلولا الأول لما كان الثاني.

فالصوت واحد يصفه ابن سينا (ت 427هـ) بأنه التموج، أما الحروف فهو ما يعترض ذاك المتموج من حبس. وقد أدرك ابن سينا (ت 427هـ) وابن سنان ذلك، فأما الأول فيقول:« والحرف هيئة للصوت تظهر فيه، تميزه من صوت آخر مثله في الحدة والثقل، إذا ظهر في المسموع تميز من غيره».[1]

لقد وضح صفات الصوت أكثر من تميزه للحرف نفسه، فحين قال الحرف هيئة للصوت فكأن الصوت أمر واحد، وما الحروف إلا لباس للصوت يميزه في كل مرة فيدركه السامع. ولم يذكر عند الناطق لأنه أدرى بما صدر عنه، ولعل هذا ما قصده ابن جني عن أجراس الحروف التي تختلف باختلاف مقاطعها إذ يقول:«...ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت منه راجعا عنه، أو متجاوزا له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول».[2]

[1] – أسباب حدوث الحروف ص 103
[2] – أسباب حدوث الحروف ص 105
[1] - أسباب حدوث الحروف ص 105
[2] - سر الصناعة 1/6

ويتبلور مفهوم الحرف عند ابن سينا (ت 427هـ) كونه يقصد به ذاك الرمز الصوتي أي الصوت اللغوي فيكون ابن سينا (ت 427هـ) قد فرق بين المفهومين ووجد ما توصل إليه بعض الدارسين المحدثين أمثال تمام حسان في فهم الفرق بين الصوت والحرف في قوله:« والحروف وحدات من نظام وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات، والفرق واضح...بين ما هو مادي محسوس وبين ما هو معنوي مفهوم».[1]

أما ابن سنان فتحديد الحرف عنده كان انطلاقا من الصوت. والصوت ما هو إلا ذاك الهواء المار في الحنجرة، ويمكن أن نرى ذلك واضحا في قوله: «والصوت يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا».[2] وهذا مطابق لما جاء عند ابن جني في قوله: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا».[3] فالحرف عند ابن سنان كما ابن جني مقطع وعارض للصوت عند مروره إلى الشفتين. وتثير هذه المقولة تقاطعا مثيرا بين مفهوم الحرف والمقطع.

وأكبر مقطع يمثل حرفان وحركة ويمثلان ثلاثة أصوات على الأكثر. أما ميزات وخصائص المقاطع، فتحددها طبيعة الحركات التي يعتبرها ابن جني أبعاض الحروف[4]، فيستحيل أن تكون بمفردها، فتقترن دوما بالحروف، عندها لن تبدأ المقاطع بالحركات. هذا عن بداية المقطع أما نهايته فتكون إما بحركة طويلة أو قصيرة أو حرف، ويستحيل أن ينتهي بحرف مشدد أي حرفين في الوقت نفسه.

أنواع المقاطع

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1973 ص 73
[2] - سر الفصاحة لابن سنان ص 12
[3] - سر الصناعة، 1/6
[4] - ينظرسر صناعة الإعراب، 1/17

يـورد محمـد رشـاد الحمـزاوي تصـنيفات للمقطـع الصـوتي اسـتنادا للـدكتور إبراهيم أنيس فيرى أن المقاطع الصوتية نوعان متحرك وساكن.[1] ومما أورده:

- المقطع الطويل وهو الذي ينتهي بحركة طويلـة أو حـرف، فكل حـرف منغلـق يكـون طويلا وجوبا، مثل قل و نا في قتلتنا.[2]

- المقطع المنغلق «هو الذي ينتهي بصوت ساكن مثل من، كم».[3]

فالملاحظ تكرر المصطلحات وتعددها بمفاهيم متقاربة ومنفصـلة، وفـي أحـايين أخـرى تبعث على التداخل والتكرار مثل: المقطع المفتوح «هو المقطع الذي ينتهي بصوت لين مثل مو، ما، مي...».[4] وقوله كذلك: «المقطع المنفتح هو الذي ينتهي بحركة طويلـة أو قصيرة»[5]، والمقطع المنفتح «نوعان المنفتح القصير ما انتهى بحركة قصـيرة والمنفتـح الطويل»[6]، ونجد في المقابل« المقطع المغلق»[7] و«المقطع المنغلق».[8] ويدل هذا دلالــة واضــحة علــى تعــدد التعــاريف الخاصــة بــالمقطع، فبـدل توضـيحها زادتهـا تعـدد المصـطلحات تعقيـدا وغموضـا.[9] ويمكـن تعريـف المقطـع ببسـاطة علـى أنـه «عـدد الأصوات التي يمكن أن يخرجها الإنسان في دفعة واحدة من دفعات الزفير».[10] ولـو أن صاحبها يفضل تعريف أستاذه النعيمي ويصفه بالجامع المانع وهـو« مجموعـة صـوتية تبدأ بصامت، يتبعـه صـائت، وتنتهـي قبـل أول صـامت يـرد متبوعـا بصـائت، أو عنـد انتهاء الكلام قبل مجيء القيد».[11]

أما ابن سينا (ت 427هـ) فإن مفهوم المقطع عنده قد ارتبط بالحروف ويجعلهـا أحـد أقسـام الألفـاظ، يقـول: «...فأمـا الألفـاظ الناقصــة الـدلالات، أو العديمـة الـدلالات كالأدوات والحروف الـتي هـي مقـاطع القـول».[12] ويحـدد أنـواع المقـاطع بـاثنين وهمـا

---

[1] - ينظر المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ص 158.
[2] - ينظر المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ص 158.
[3] -المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 158
[4] - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 158 ص 159
[5] - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 158 ص 159
[6] - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ص 159
[7] - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 158 ص 158
[8] - ا المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 158 ص 158
[9] - المصطلح الصوتي عبد العزيز الصيغ ص 287
[10] - المصطلح الصوتي عبد العزيز الصيغ ص 287
[11] - المصطلح الصوتي عبد العزيز الصيغ ص 287
[12] - الشعر لابن سينا، حققه وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس القاهرة 1996م، ص 26.

الأساسيان. المقطع الممدود والمقطع المقصور وتحتهما صنف سبعة أجزاء، وهي كما ذكرها ابن سينا (ت 427هـ): «وأما اللفظ والمقالة فإن أجزاءه سبعة: المقطع الممدود والمقصور، كما علمت ويؤلف من الحروف الصامتة، وهي التي لا تقبل المد البتة، مثل الطاء والباء، والتي لها نصف صوت، وهي التي تقبل المد مثل السين والراء، والمصوتات الممدودة التي يسميها مدات، والمقصورة وهي التي الحركات وحروف العلة ».[1]

ويشترك المقطع الممدود والمقصور في الحروف الصامتة، ويوضحها في كونها نوعان« ولا يمكن أن يزاد على مستحقه من الزمان».[2]

1- التي لا تقبل المد البتة، مثل الطاء والباء وهي حروف حبسية كالكاف، وهي حروف لها نصف صوت.[3] ويجعل ابن سينا (ت 427هـ) من الحروف الحبسية مقياسا لأزمنة الحروف خاصة التسريبية الممدودة، يقول: « فلنجعل عيار أزمنة الحروف سماع الحروف الحبسية».[4]

2- التي تقبل المد مثل السين والراء.[5] وهي حروف تسريبية، وتحدد مفهوم ذلك بسهولة تمديدها فيتكون المقطع الممدود« إذا وقعت في أواخر الحروف أو اتخذ منها مقطع ممدود».[6]

وهذه نظرة أخرى لتوضيح نوع الحروف الصامتة في كون الحروف شديدة ورخوة، وعلى هذا الأساس اعتمد ابن سينا (ت 427هـ) أساس الصفات في الحروف فقد اكتشف المتأخرون أن الأصوات الشديدة تنعدم فيها صفة الغنائية القائمة على «التردد بين الانقطاعية المرمزة ...هذه السمة تكاد حصرا، تسجل مع الأصوات

[1] - الشعر ص 65 .
[2] - الشعر ص 65
[3] - الشعر، 65
[4] - جوامع علم الموسيقى، ص 86
[5] - الشعر ص 65
[6] - جوامع علم الموسيقى، ص 86

الرخوة (الاحتكاكية)، لما تتميز بـه مـن قابليـة التواصـل، والإفـادة فـي تلونـات نطقيـة، طالما أن هناك كمية من الهواء ممتدة بين المصدر ونقطة الإنتاج».[1]

والحروف الحبسية أو الشديدة هـي الحادثـة عـن الحبسـات التامـة وهـي : البـاء، والتاء، والجيم، والدال، والطاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون».[2] وقد اعتمد زمـن حبسـها وإطلاقهـا الوحـدة الأساسـية فـي قيـاس الزمـن فـي الحـروف والمقـاطع الممدودة لأنها واحدة لا يوجد تفاوت زمني في نطقها، يقول« والحروف التسـريبية لـك أن تمدها كما شئت، وأقصد أزمنة التسريبية مثل زمان الحبسـية».[3] ويوضـح ابـن سـينا (ت 427هـ) هذه الوحدة والتي يربطها بـالحرف الحبسـي، فيقـول: «والحـرف الحبسـي يسمع ساكنا، ويسمع متحركا، ويسمع الحـرف سـاكنا فـي نصـف الزمـان الـذي جعلنـاه عيارا».[4] وهو الذي قصده بقوله : نصف صوت.[5] إذا المعيار هو زمن الصوت الحبسي لقوله: «وإذا سمع متحركا سمع في الزمان الذي هو العيار».[6]

كما نتصور أن ابن سينا (ت 427هـ) قد قسم المقـاطع انطلاقـا مـن حـدوثها أو نطقها بحيث يجعلها ثلاثة أقسام انطلاقا من الحـروف الصـامتة. والصـامتة هنـا أخـذت أبعاد عدم قدرتها على تحمل المد في التصويت بهـا أو نطقهـا، فهـي منغلقـة مـن حيـث النطق مثل) إظ ، إب (ويصفها بالتي لا تقبل المد مطلقا. أما القسم الثاني فيحتمـل المـد في النطق او التصويت بها مثل) السين والراء فنقول حين إخراجها او النطق بها) إس س (أو) إزز(ويصفها ابن سينا (ت 427هـ) بالتي لها نصف صوت.

والمصوتات وهي أيضا يجعلها:

1-الممدودة، وهي المدات

-**2**المقصورة وهي الحركات

---

[1] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 149

[2] - جوامع علم الموسيقى، ص 86

[3] - جوامع علم الموسيقى ، ص 86

[4] - جوامع علم الموسيقى ، ص 87

[5] - الشعر ص 65

[6] - جوامع علم الموسيقى، ص 87

3-وحروف العلة

من هنا يمكن القول أن ابن سينا (ت 427هـ) قد وضح مفهوم المقاطع انطلاقا من معرفة مكوناته وتفصيلها استنادا لما ينطق لا لما يكتب، على اعتبار أن ما تناوله في قسمة الألفاظ في مقالته تعتمد على تحديد المعاني انطلاقا من صدورها ومشافهتها لا كتابتها. لأنه أدرك أن «نظام المقاطع لا يعمل على مستوى الصوت الواحد، بل على نظامه التركيبي في مجامع الوحدات اللغوية، معتمدا خصائص الصوت الوظيفية، باعتباره يمثل نقطة الارتكاز في عمود الإيقاع».[1]

وبتحديده لنوعي المقاطع الأساسية المقطع القصير والطويل، فإنه قد جعل ذلك مفتوحا على كل أنواع المقاطع الممكن تواردها في الكلام، بحيث تصبح للمقاطع دلالات معينة حين نطقها في السلسلة الكلامية الواردة فيها، وهذا ما تنبه له ابن رشد أيضا من أن توارد المقاطع في الذهن تحمل معاني معينة لما لها من أهمية في مجال النطق والكلام، ويقول ابن رشد في ذلك: «...إذا وردت مشافهة في الذهن لم يتمكن الذهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر».[2]

وهذا ما أكد عليه ابن سينا (ت 427هـ) وتنبه إليه في قيمة الزمن وأهميته في تحديد توارد المقاطع، يقول«... سمي مقطعا، وهو الحرف الصامت الذي شحن الزمان الذي بينه وبين صامت آخر يليه بنغمة مسموعة».[3] لقد فهم ابن سينا (ت 427هـ) الحركة والحرف وأدرك العلاقة الكمية والزمنية بين الصامت والصائت، والفارق بينهما، على عكس ما كان يبدو عند بعض الدارسين من هشاشة فهم القدامى لنظام المقاطع الصوتية، لاضطراب فهم الصوائت والصوامت.[4] ويرجع السبب إلى عدم تطابق الصور الخطية مع النطقية، «وتأثرهم بالصورة المكتوبة، دون صورة الصوت النطقية، أوقعهم في متاهات التبيين، وهم يقعدون القواعد... ويبدو الأمر جليا، حين

[1] - هندسة المقاطع الصوتية، ص 28
[2] - تلخيص الخطابة ابن رشد، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الناشر وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم بيروت لبنان ص 284
[3] - جوامع علم الموسيقى ص 123
[4] - ينظر الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل، ص 227 و 228

يتحدثون على الصوامت، وبمرور الكرام، عابرا سطحيا، وعلاجا لا يمس إلا العـرض دون الجوهر، وهم يذكرون الصوائت».[1]

لقد أدرك ابن سينا (ت 427هـ) طبيعة الصـوائت فـي المقـاطع، وتحـدث عنهـا باستقلالية تامـة بـدليل قـوله: «أن الحركـة تسمع فـي النصـف الآخـر لـذلك الزمـان».[2] وبالتالي فالحركة تسمع منفصلة ووحدها، لكن «وإن كان لا يجـوز الابتـداء بهـا، لكنهـا لملاصقتها بزمانهاـ زمان الحرف الحسي ـ تظن أنها تسمع معها».[3] وبفهم ابن سينا (ت 427هـ) للزمن وتحديد زمن العيار في الحروف يحدد انـواع المقـاطع، يقـول ابـن سـينا (ت 427هـ) «ولنا كلام في الحروف ومخارجها وأحوالها، لتطلب، ولتعلم هذه الأحوال منه، فلنسم زمان /ت / وزمان / تن/ ثقيل الخفيف، وزمان /تـان/ خفيـف الثقيـل وزمـان /تارن/ ثقيلا مطلقا».[4] وباعتبار ذلك تكون المقاطع عند ابن سينا (ت 427هـ) كالآتي:

1- خفيف وهو ما يقابله المقطع القصير
2- ثقيل الخفيف ويقابله المقطع المتوسط
3- خفيف الثقيل ويقابله المقطع الطويل أو الكبير
4- ثقيلا مطلقا ويقابله أيضا المقطع الطويل أو الكبير

وهذه أربعة مقاطع تقابل ما توصل إليه المحدثون في كون الشـائع مـن المقـاطع خمسـة وهي:

1- س ع ← م/ن/ ت
2- س ع ع ←ما/ نا/تا
3- س ع ع ←مل/ سل
4- س ع ع س←صام/ قام
5- س ع س س←نهر/ علم[5]

---

[1] - الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل، ص 227 و 228
[2] - جوامع علم الموسيقى، ص 87
[3] - جوامع علم الموسيقى ص 87
[4] - جوامع علم الموسيقى ص 88
[5] - ينظر هندسة المقاطع الصوتية، ص 57 ، و ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص 289و 290 فقد توسع في توضيح هذه المقاطع بصورة أيسر.

فقد جمع ابن سينا بين النوع الثاني والثالث في نوع واحد وهما يحملان الرمز نفسه (س ع ع)، فذكر (تن) للتدليل على (تا) أيضا.

وبناء على تشكل المقاطع من الحروف يجعلها ابن سينا (ت 427هـ) في ثلاثة أشكال، وهي الأكثر دورانا في كلام العرب خاصة الشعر، وهي نفسها التي أثبتها عبد القادر عبد الجليل[1] في دراسة حديثة، إذ استعمل ثلاثة مقاطع:

ـ المقطع القصير المفتوح، ويقابله عند ابن سينا (ت 427هـ) المقطع المقصور، يقول: «فإن كان ذلك الزمان قصيرا سمي مقطعا مقصورا، وهو حرف صامت وحرف مصوت مقصور».[2]

ـ المقطع المتوسط المفتوح، ويقابله عند ابن سينا (ت 427هـ) المقطع الممدود، يقول: «وإن كان طويلا سمي مقطعا ممدودا، وهو حرف صامت وحرف مصوت ممدود».[3]

ـ المقطع المتوسط المغلق، ويقابله عند ابن سينا (ت 427هـ) ما يسميه بزمان دوران أقصر زمان، وهو « صامت ومصوت مقصور، وصامت».[4]

ويقابل ابن سينا (ت 427هـ) بعض هذه المقاطع مع مفاهيم عروضية، فيقول: «والمقطع الممدود يسميه العروضيون، السبب، والمقصور إذا اقترن به الممدود سموه الوتد».[5] ويوضح ابن سينا (ت 427هـ) أن المقاطع في الشعر لها إيقاع خاص إذ يسميه كلام إيقاعي أو كلام موقع.[6] وبالتالي فمقاطعها تحتاج إلى سكتات غير معتادة الارتياد في الكلام العادي، يقول ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك« ولما كان الشعر كلاما متصلا، وجب أن يكون من جنس الإيقاع الذي يستمر على الاتصال من غير حاجة فيه إلى وقفات يطول بها الزمان، فيجب أن يكون من الأزمنة الخفاف وثقال الخفاف، وأما ما وراء ذلك من الأزمنة، وهي الثقال وخفافها، فيحتاج أن ينقطع المتكلم ويسكت حتى يوفي الحرف زمانه، وذلك خلاف المعتاد من الكلام».[7]

---

[1] - ينظر هندسة المقاطع الصوتية، ص 61
[2] - علم الموسيقى، ص 124
[3] - علم الموسيقى ص 124
[4] - جوامع علم الموسيقى ص 124
[5] - جوامع علم الموسيقى ص 124
[6] - جوامع علم الموسيقى ص 122
[7] - جوامع علم الموسيقى ص 124

وإذا كان الخليل(ت 175هـ) في عمله العروضي بنى وحداته الإيقاعية على «السلوك الصوتي للرموز الإعرابية، المعتمدة في ميادين النحو، والصرف، واللغة، وهي الحركة برمز الفتحة، وترتيب السكون الصفري»[1]، فإن ابن سينا (ت 427هـ) حلل الإيقاع الشعري، انطلاقا من المقاطع اللغوية فتوصل إلى أن «الشعر مؤلف من حروف يفصل فيما بينها أزمنة لا يحتاج أن ينقطع فيها الصوت... ويراعي فيه ثقل الزمان»[2]، وقد عرفنا أن ثقل الزمان هنا له علاقة بالمقاطع الصوتية لا الأصوات المفردة، إذ على إثرها تحدد نوع وطبيعة المقاطع، وعلى إثر ذلك يحدد ابن سينا (ت 427هـ) توالي المقاطع في الشعر مبينا صور التفعيلات الواردة والمؤسسة من تلك المقاطع التي عبر عنها بالخفاف والثقال، ومضاعفات الثقال، يقول في ذلك «وإذا كان الشعر تأليفه بهذه الصفة، فهو إما من الخفاف، وإما من ثقالها، وإما من مضاعفات الثقال تضعيفا يرد ما بين الحروف المتوالية إلى النسبة المذكورة... فما كان من الشعر منظوما من أدوار خفاف تعاد بحالها مثل: مستفعلن مستفعلن ومفاعلتن مفاعلتن، أو من ثقال مضعفة مثل: مفاعلاتن مفاعلاتن، ومثل فاعلن فاعلن، وأمثال ذلك ، فإن جميعه شعر».[3]

ويستفيض ابن سينا (ت 427هـ) في ذلك ويوضح أنواع التفعيلات في الشعر عامة والمؤسسة من هذه المقاطع الخفيفة والثقيلة، وبذلك استوفى ما نجده عند العرب واستساغته هذه المقاطع الخفيفة والثقيلة، وما لا نجده عند العرب، من ذلك مثلا قوله: «ولتركب خفيف الثلاثي مع سائر الأجناس الخفيفة، بعد أن تعلم أن كثرة الحركات التي فيه تمنع أن تجعل قاعدة بسيطة في شعر العرب، ولا تمنع في غير شعر العرب».[4]

[1] - هندسة المقاطع الصوتية، ص 63
[2] - جوامع علم الموسيقى، ص 124
[3] - جوامع علم الموسيقى ، ص 124 و 125
[4] - جوامع علم الموسيقى ، ص 123

وقد استعمل ابن سينا (ت 427هـ) رموزا لتوضيح المقاطع في التفعيلات. فكان مقابل الصامت (0)، ومقابل الصائت (.) ويعبر عن المقطع المقصور بـ(ب) وهو المؤلف من صامت وصائت مثل (بَ)، ويعبر عن المقطع الممدود ب(ـــ) فمثلا [1]:

فــعــولــن
0 0 . 0 .
ب ـــ ـــ

ويكون بذلك ابن سينا (ت 427هــ) قد اعتبر المقطع المقصور والممدود لبنات أساسية في نظم الشعر، وعبر عن ذلك قائلا «...أجزاء الشعر وأولها ما علمته من المقطع الممدود والمقصور، وتسمى أرجل البيت، والدور المركب منها يسمى قاعدة البيت، والمصراع نصف البيت، والبيت يسمى ركنا».[2]

وتعد أفكار ابن سينا (ت 427هـ) هذه حول المقاطع وأهميتها من حيث أداء المعاني ونطقها زبدة الدراسات الحديثة. « إن تنظيم الأحداث الصوتية في الزمن المتمثل بهيئة المقاطع وحركتها داخل الوحدات الإيقاعية على أساس التساوي أو التقارب، يوجه ظاهرة الإيقاع نحو كشفنا لأنماط الباطنية للدلالات العميقة أو السطحية في القصيدة ...».[3] فقد أدرك ابن سينا (ت 427هـ) ذلك حين أكد على ضرورة الوصل في تقطيع الكلام لتتضح المعاني، وهذا لا يتم إلا إذا تحددت المقاطع في الألفاظ المكونة للقضايا، يقول: «وأما اللفظ المتخلخل، وهو المقطع مفردا مفردا، فهو شيء غير لذيذ لأنه لا يتبين فيه الاتصال والانفصال في الحدود التي تتناهى إليها القضايا وغير القضايا أيضا التي هي مثل النداء والتعجب والسؤال، إذا تمت فإن لكل شيء منها حدا وطرفا يجب أن يفصل عن غيره بوقفة أو نبرة فيعلم».[4]

وتحديد تلك المقاطع يحدد طبيعة الكلام، و التحكم فيه وارد كما فعلت العرب حين جعلت النثر كالنظم، وقد جعلها ابن سينا (ت 427هــ) في خمسة أحوال «أحدها معادلة ما بين مصاريع الفصول بالطول والقصر، والثاني معادلة ما بينها في عدد

[1] - ينظر جوامع علم الموسيقى ، ص 128 وما بعدها
[2] - جوامع علم الموسيقى، ص 126
[3] - هندسة المقاطع الصوتية ص 28 و 29
[4] - الخطابة ص 222

الألفاظ المفردة، والثالث معادلة ما بين الألفاظ والحروف، والرابع أن يناسب بين المقاطع الممدودة والمقصورة المعنى إذ قال: «بلاء جسيم، قال بعده مثلا نوال عظيم، ولم يقل موهب عظيم، وإن كانت الحروف متساوية العدد، والخامس أن يجعل المقاطع متشابهة، فيقال: بلاء جسيم، ثم لا يقال منيخ عظيم، بل يقال مناخ عظيم، حتى يكون المقطعان الممدودان يمتدان نحو هيئة واحدة، وهو إشباع الفتحة».[1] وهذا يحدث ما يسمى إيقاعا «والإيقاع حركة تمتد عبر مساحة زمنية ذات نسب متباينة تطول وتقصر وفق منظور العناصر الصوتية، وتشكلها في هيئاتها المقطعية».[2]

والإيقاع علم يختص بتأليف النغم.[3] فيكون الإيقاع في تأليف اللحون والموسيقى لأنها إبداع أصوات من أوتار آلات خاصة، ويكون في تأليف أصوات لفظية ذات أوزان معينة، وابن سينا (ت 427هـ) قد ذكر اختلاف طبيعة كل منهما في قوله: «واعلم أن الأوزان المنقورة تخالف الأوزان الملفوظ بها، فإن اللافظ يحتاج أن يعمل مع النقر شيئا آخر، وهو تقطيع الحروف، فيكون هناك كلفة أزيد من كلفة النقر فلذلك يتشوش عليه إيراد حركات متوالية، أو تقطيع أزمنة للسكون متباينة ما لا يتشوش على النقر... فيعرض له مع سماع حروف متحركة متتالية، تخيل مشقة... فلذلك يستنكر الخيال وزن لفظ يتوالى فيه خمس حركات وست، ولا يستنكر مثل ذلك في النقر، فلا يستطاب في الشعر، ويستطاب في الإيقاع الساذج».[4]

ومن هنا كان الإيقاع بالنقر أي الموسيقى غير الإيقاع الملفوظ أو الموزون وإن تشابها، فابن سينا (ت 427هـ) يقول أن الإيقاع بالنقر قد يحاكى باللسان.[5] ولا يكون ذلك إلا من خلال مقاطع تتوالى بانتظام يجعلها ذات إيقاع مستساغ تطرب له النفس وتستسيغه، مما يجعل السامع يتوقع توارد المقاطع لأنها على إيقاع واحد مستمر أزمانا، وعبر عن ذلك ابن سينا (ت 427هـ) في قوله: «...فما كان من أزمنة خفاف،

[1] - الخطابة ص 225
[2] - هندسة المقاطع الصوتية، ص 63
[3] - ينظر جوامع علم الموسيقى، ص 79
[4] - جوامع علم الموسيقى، ص 90
[5] - ينظر جوامع علم الموسيقى، ص 90

أو أزمنة ثقال الخفاف، تتم العبارة عنها، والمحاكاة لها بحروف متحركة، أو حروف متحركة يتخللها سواكن...».[1] وذلك في أزمنة متساوية دقيقة تطرب النفس وتنعش الخيال، فكان الشعر الوجداني الغنائي الذي أبدعه الشعراء العرب، فكانت الحروف وتناغمها وإيقاعها المعجزة الربانية المتجلية في القرآن الكريم، فكان الحرف العربي رسما وفنا في خطه وموسيقى في نغمه وتآلفه.

لهذا علل بعض علماء القرن الخامس الهجريفي تفسير الإعجاز القرآني انطلاقا من حروفه، وكان على رأسهم الباقلاني(ت 403هـ) (403 هـ) في كتابه إعجاز القرآن. إذ يرى أن الحروف أصل الإعجاز لأنها أصل نظمه، يقول متسائلا: «إن قال قائل: بينوا لنا ما الذي وقع التحدي إليه؟ أهو الحروف المنظومة؟ أو الكلام القائم بالذات؟ أو غير ذلك؟ قيل: الذي تحداهم به، أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها،...».[2] ويشير الباقلاني(ت 403هـ) إلى ضرورة انتظام الحروف، وأن سر الإعجاز في تسلسلها وحسن تواردها في تأليف المعاني، يقول: «...لأن الإعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه، وغلى مثل هذا النظم وقع التحدي،...».[3]

وإن كانت قضية الإعجاز القرآني قد تعدت انتظام الحروف إلى انتظام الألفاظ، وما تحمل من معاني وكان القرن الخامس الهجريقد حمل الإجابة عن مشكلة اللفظ والمعنى التي كانت« تتوزع العلماء وتتقاسمهم حتى يظهر الراغب الأصفهاني في القرن الخامس مناديا بأن الألفاظ ينبغي أن لا تفهم معزولة عن قرائنها، وان اللفظ المفرد ليست له دلالة مستقلة محددة تماما، إنما ينبغي أن يفهم مع غيره من الألفاظ التي تشاركه في الوظيفة اللغوية، ومن هنا يختلف مفهوم اللفظ ضيقا وسعته باختلاف موقعه من الكلام».[4]

---

[1] - جوامع علم الموسيقى ، ص 90
[2] - إعجار القرآن ص 260
[3] - إعجار القرآن ص 261
[4] - المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، السيد أحمد خليل، طبعة 1968 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 103 و 104

وفي القرن الخامس يظهر شيخ البلاغيين الجرجاني (ت 471هـ)، « فوضع نظرية متكاملة في النظم أودعها كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز».[1] فقد تعدى الجرجاني (ت 471هـ) مرحلة اللفظ والمعنى للحديث عن النظم، فيذكر أنها الغاية والمنتهى، يقول:« واعلم أنه قد آن لنا نعود إلى ماهو الأمر الأعظم والغرض الأهم، والذي كأنه هو الطلبة، وكل ما عداه ذرائع إليه. وهو المرام، وما سواه أسباب للتسلق عليه، وهو بيان العلل التي لها وجب أن يكون لنظم مزية على نظم، وأن يعظم أمر التفاضل فيه ويتناهى إلى الغايات البعيدة».[2]

النبـــــر والتنغيـــــــم

1- النبر

النبر لغة:النبر الدفع، فكل ما رفعته قد نبرته، وسمي منبر الخطيب منبرا لارتفاعه وعلوه[3]. وقد ورد في لسان العرب أن النبر هو الهمز[4]، وهو مصدر نبر، والحرف منبور أي مهموز، ومنه النبرة الهمزة[5]، والهمزة النقرة[6]، ونبر الرجل إذا تكلم بكلمة فيها علو[7]، والعلو يناسب ارتفاع الصوت، والنبر قد يقابل الصياح، إذ جاء عن اللحياني: رجل نبار صياح[8]، ومنه أيضا ما ورد عن ابن الأنباري النبر عند العرب ارتفاع الصوت[9]، فإذا رفع المغني صوته عن خفض كانت ذلك نبرة المغني.[10]

---

[1] - المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ص 105

[2] - دلائل الإعجاز، الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (471 هـ أو 474 هـ)، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط 2 ، 1410 هـ 1989 م، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ص 524 .

[3] - ينظر اللسان 7/40

[4] - ينظر اللسان 7/39

[5] - ينظر اللسان 7/40

[6] - ينظر اللسان 7/294

[7] - ينظر اللسان 7/40

[8] - ينظر اللسان 7/39

[9] - ينظر اللسان 7/40

[10] - ينظر اللسان 7/40

النبر اصطلاحا:واستنادا للمعنى اللغوي يكون النبر اصطلاحا نصاعة جزء من الكلمة كالحرف أو المقطع، وزيادة وضوحه في السماع مقارنة بما قبله أو بعده من المقاطع أو الحروف، يقول تمام حسان« والنبر ...ازدياد وضوح جزء من الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها».[1]

ولارتباط النبر بالسماع يكون النبر منطوقا ينسب للفظ دون المكتوب، ويعبر عن ذلك تمام حسان «وما دام النبر بحسب هذا التعريف وضوحا سمعيا فإن نسبته إلى الكلمات والصيغ خارج السياق... حيث لا يمكن ادعاء وضوح سمعي في كلمات وصيغ صامتة».[2] فلا يمكن إثباته أو توضيح مكانه إلا بالتدريب على اللغة المنطوقة، وهذا لطبيعة النبر نفسه لأنه نشاط مفاجيء يصاحب مقطعا معينا من مقاطع الكلام لتوضيح قيمة دلالية معينة، لهذا يعرف الأنطاكي النبر أنه «نشاط فجائي يعتري أعضاء النطق اثناء التلفظ بمقطع من مقاطع الكلمة وهذا النشاط يؤدي إلى زيادة في واحدة من أو أكثر من المقاطع ».[3]

ويعرفه عبد العزيز الصيغ بأنه «نشاط ذاتي للمتكلم ينجم عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع قياسا لما يحيط به».[4] وهذا ما يذهب إليه جون ديبوا Jean Dubois إذ النبرفي نظره «...أداة نطقية تسمح بإبراز وحدة لسانية (مقطع، مورفيم، كلمة، تركيب، جملة) لتمييزها عن باقي الوحدات اللسانية من المستوى نفسه... »[5]، فهولا يراه في الصوت أو الفونيم.

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1993م، ص 170
[2] - اللغة العربية معناها ومبناها ص 170 و 171
[3] -الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكين منشورات دار الشرق، ط 2، ص 262
[4] -ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 281
[5]2- Dictionnaire de Linguistique, Jean Dubois, p 3:" L'accent est un procédé phonique qui permet de mettre en valeur une unité linguistique supérieure au phonème (syllabe, morphème, mot, syntagme, phrase) pour la distinguer des autres unités linguistiques de même niveau."

ويعتبر عبد العزيز الصيغ مصطلح النبر نفسه أروبيا حديثا، وأن الظاهرة لم تحظ باهتمام القدماء رغم وضوحها وحضورها في اللغة العربية الفصحى.[1] ويقابل مصطلح النبر بالارتكاز يقول: «ولما كان النبر مصطلحا أجنبيا فقد ترجمه بعض الباحثين بالارتكاز».[2] ولا نعلم أي نبر يقصد الدارس، باعتبار النبر وجد في لغة العرب، وهو يقابل مصطلحات أخرى كالهمز وقد تناوله الأوائل وتعرضوا له أمثال سيبويه(ت 180هـ)، وابن جني الذي ذكر مجموعة من المصطلحات الموضحة لطابع النبر في الكلام، كقوله: «وذلك أنك تخش في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول كان والله رجلا. فتزيد في قوة اللفظ ب(الله) هذه الكلمة، وتتمك في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك... وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت:سألناه وكان إنسانا ! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو لجزا أو مبذلا أو نحو ذلك».[3]

وقد حمل الموروث المعجمي ثلاثة مصطلحات تحمل مفهوم الضغط والعلو والتطويل، وهي النبر والهمز والطرح، وقد جاءت كلها مرتبطة بمعاني صوتية كلامية لأن «ألفاظ الهمز والنبر والتطويع تعني كلها الضغط والارتكاز».[4] وهذا يوافق ما جاء عند سيبويه(ت 180هـ) في قوله: «الهمز في اللغة الغمز والهت والضغط والنبر».[5] في حين يفرق البعض بين الهمز والنبر «فالهمز، يعني الضغط، والنبر، الضغط والارتكاز».[6] رغم ذلك فإن تمام حسان لا يعتبر الضغط إلا أحد العوامل الأساسية في النبر، يقول « فالضغط بمفرده لا يسمى نبرا ولكنه يعتبر عاملا من عوامله ومع هذا يعتبر أهم هذه العوامل».[7]

---

[1] - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 281
[2] - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، ص 284
[3] - الخصائص 2/370 و 371
[4] - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 197
[5] - الكتاب 2/176، ط بولاق
[6] - الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 239
[7] - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 160

واستنادا لما ورد يكون ابن سينا (ت 427هـ) قد ميز طبيعة الهمز حين بين كيفية حدوث الهمزة فذكر أن الهمز يكون «حفز قوي، من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير».[1] لكن هذا لم يمنع الدراسات العربية من استعمال مصطلحات متعددة لمفهوم النبر عندها انطلاقا من النصوص التراثية الواردة إلينا «وقد عرفت العربية النبر وعبرت عنه بمسمياتها المختلفة، الهمز، العلو، الرفع، مطل الحركات، الارتكاز، الإشباع ، المد، التوتر، التضعيف، وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعا للسياق وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي».[2]

كيفية حدوث النبر

النبر هو وضوح سمعي مرتبط بعلو نبرة الصوت في مقطع معين، وعلو الصوت وانخفاضه يرتبط بدوره باعتراءات تحدث في جهاز النطق بدءا من « حركة الحجاب الحاجز وضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء فتؤدي كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون من ذلك علو الصوت».[3]

فالنبر يحدث نشاطا غير عادي في أعضاء النطق إذ يتطلب جهدا عضليا أكبر« إذ توتر عضلات الرئتين كبير، كما تقوى اهتزازات الوترين الصوتيين بإدناء أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتتعاظم لذلك سعة الذبذبة، مما يترتب عنه غدو الصوت أو المقطع واضحا عاليا في السمع، هذا في حال كون الصوت المنطوق ممهورا، أما إذا كان الصوت المراد إحداثه مهموما، فإن الوترين الصوتيين يأخذان هيئة مختلفة وذلك بابتعاد أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما مع الصوت

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 72
[2] - الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 241
[3] - اللغة العربية معناها ومبناها، صر 171

المهموس غير المنبور، مما ينجم عنه اندفاع أكبر قدر من الهواء، فيكـون الاحتكـاك أو الانفجار أقوى وأندى في السمع».[1]

وعلو الصوت المرتبط بمقطع معين هو زيـادة فـي « مـدة المقطـع أو شـدته أو حـدته».[2] أمـا المـدة فهـو كميـة الزمـن المضـافة فـي نطـق المقطـع مقارنـة مـع أصـله ومحيطه، ثم الشـدة أو الحـدة. فأمـا الأولـى هـو الضـغط والارتكـاز المصـاحب للمقطـع والثانية الغلظة المصاحبة للجزء المنبور.[3]

ويعبر جون ديبوا عن الزيادة في كمية المقطع بـالقوة الزفيريـة، ويسـمي النـبر النشط أو النبر الزفيري.[4] أما النبر التنغيمي accent d'intonation فيـرى جـون ديبـوا أنـه ناتج من شدة وحدة النبر والتي لها علاقة بمدى الذبذبة الناتجة عن الـوترين الصـوتيين. والنوع الأول من النبر له أهمية بالغة وبارزة في بعض اللغات كالإنجليزية حيث يمثـل النبر stress, accent عاملا أساسيا في التواصل.

ويمثل جـون ديبـوا لأهميـة النـبر فـي بعـض اللغـات كالإيطاليـة حيث يقـول: «تحوي اللغة الإيطالية العديد من أزواج لفظية دنيا[5] يفرق بينها محل النبر فقط كما في هذه الأمثلة: àncora بمعنـى مرسـاة و ancóra بمعنـى المزيـد، و débito بمعنـى ديـن و debíto بمعنى واجب، و prìncipi بمعنى مبادئ و princípi بمعنـى بـدايات».[6] مـن هنـا وضع تمام حسان نوعين من النبر أحدهما في الكلام والثاني في الصرف ويرى الفرق بينهما « هو فرق ما بين مقررات القاعدة ومطالب السياق».[7] فالسياق يحدد نـبر الكلام أو الجمل ويسميه أيضا النبر الدلالي[8]. أمـا النـبر الصـرفي الـذي يضـع لـه تمـام حسـان قواعد انطلاقا من المقاطع المعروفة فيقول عنه: «ومن هنـا يكـون النـبر علـى مسـتوى

[1] - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص 294
[2] - الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص 262
[3] - ينظر الأسلوب والأداء، دراسة صوتية تباينية في القراءات القرآنية، إعداد سيب خير الدين، 2003/2004 ، جامعة تلمسان
[4] -Dictionnaire de Linguistique, p3
[5] - هي أزواج من الكلمات شبيهة بالمشترك اللفظي يحدد معنى كل كلمة من هذه الأزواج النبر فقط.
[6] - Dictionnaire de Linguistique, p3
[7] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 170
[8] - ينظر مناهج البحث في اللغة، ص 161

الصيغة والكلمة ذا وظيفة صرفية هي تقديم القيم الخلافية التي تفرق مع الكمية بين معنى صرفي ومعنى صرفي آخر».[1]

فالمقطع له أهميته في إظهار دور الفونيمات، والتي قد تكون ألفونات في المقطع فحياتها لا تكون إلا في داخله.[2] من هنا اعتمد بعض الدارسين مثل ماريوباي المقطع في تعليم النطق بدلا من الفونيم الذي يعطي للظواهر التصويتية النطقية كالنبر والتنغيم أهمية بالغة في التعبير الكلامي. «فالتجمعات الفونيمية على هيأة مقاطع، تمنح المتكلم فرصة أفضل في التدريب والمران، إذا اعتمد النطق المقطعي المتدرج البطيء، وبالتواصل في زيادة سرعة النطق للحدث الكلامي».[3]

فعدم احترام نبر المقاطع الصوتية يذهب بالمعنى، ويبعد صاحبه عن النطق السليم للغة. وهذا يساعد على توصيل المعاني وتسلسلها عند المستمع مما نجده عند بعض علماء اللغة القدامى أمثال سيبويه(ت 180هـ) في حديثه عن نوع من أنواع النبر بقوله:« يقول الرجل إذا تذكر ولم يرد أن يقطع كلامه، قالا : فيمد قال ويقولو، فيمد يقول، ومن العامي فيمد العام، سمعناهم يتكلمون به في الكلام ويجعلونه علامة ما يتذكر به، ولم يقطع كلامه. فإذا اضطروا إلى مثل هذا في الساكن كسروا سمعناهم يقولون : إنه قدي في قد، ويقولون أي في الألف واللام يتذكر الحارث ونحوه».[4]

وهذا ما يسمى بمطل الحركات وهو أحد المصطلحات المقابلة للنبر.[5] وورد عند بعض الدارسين أنه نبر التذكر مثل ابن جني في قوله: «إنما مطلت ومدت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر من قبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكنة المدة فقلنا ضربا...لكنك لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك انك كتطاول إلى كلام تال

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 171
[2] - ينظر هندسة المقاطع اللغوية ص 48
[3] - الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 214
[4] - الكتاب، 4/216
[5] - ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 241

للأول منوط به، معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته».[1] فالإطالة هنا تأخذ مفهوم إشباع الحركات بما يناسبها فتصير مدات تشد السامع بقوة إسماعها فتحتاج إلى انتقال دون هبوط حاد في نسبة التوتر السمعي إلى مقطع آخر. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه رغم تباين الحركات القصيرة أو الطويلة إلا أنها تمتلك سمة التبادل الموقعي داخل المقاطع اللغوية.[2]

فالمد في الحركات وتحقيق النبر يوضحان الدلالات المراد إيصالها، كما تحدد أصول الناطق باللغة. فالأجنبي عن لغة ما غالبا ما يقع في فخ تحقيق النبر الصحيح في مقاطع الكلمات المنطوقة، والاستماع إليه يكشف غربته ويبرز قيمة النبر. لأنه قد يطيل الحركة ويقصر المد ويضع النبر في غير موضعه. من هنا كان النبر والتنغيم يرتبطان بالمقطع وبالنطق ويكسبان اللغة المنطوقة طابعا خاصا بها لا يشبه لغة أخرى، بل تميز الواحد عن الأخرى وتضع الفرق في المعاني.

و يقرن ابن سينا (ت 427هـ) بين النبر والتنغيم مؤكدا أنهما صفتان من صفات الكلام المنطوق ولا أثر لهما في الخط، يقول: «فلما كان السبب المحوج إلى التصويت ما ذكرناه..فإذا زين بالتأليف المتناسب والنظام المتفق، كان ذلك أهز للنفس... وخصوصا في الإنسان فإن عمدة عدده التصويت النطقي. وقد اكتسبت الطبيعة أثر صناعة الإنسان في التصويت على الطريقة الاصطلاحية هيئات تصدر عن الطبيعة، من خفض صوت عند مداراة واستكانة واستدراج، وتعرف بضعف وعجز واستحقاق للرحمة، ومن دفع وعجلة عند تهديد وتراء بالقوة، وتظاهر بالشدة، واستدراج إلى مسالمة، صار بها أعمل، وبالاستقلال بالغرض أكمل».[3] فمثلا السرعة في الكلام وارتفاعه يدل على انفعال حاد عند المتكلم، واهتمام عند المستمع، يقول أحمد

[1] - الخصائص 3/128
[2] - ينظر هندسة المقاطع اللغوية ص 40
[3] - جوامع علم الموسيقى، ص 7 و 8

عزوز: «...الصوت فيه مرتفع وشديد والدفق فيه سريع...وهذه السرعة نابعة من أن الانفعال حاد وأن المتكلم يولي الأهمية لموضوعه».[1]

والنبر عند ابن سينا (ت 427هـ) لا تضبطه قواعد معينة مضبوطة فهي في حكم العادات الكلامية حيث أن «العادات توجب في النبرات ودلائلها أمورا لا تضبط، وكذلك في تلفيق الكلام، وتصريفه، وتسجيعه، وغير ذلك».[2] ورغم ذلك يتحدث عما يمكن أن يكون فيه النبر فيجعله في المقاطع القصيرة لما ينتج عنه من الإيقاع الموزون، يقول: «للنبرات حكم في القول يجعله قريبا من الموزون...وأحوج الأقوال إلى النبرات هي القصيرة المتعادلة الأجزاء».[3]

فالإيقاع يجعل النثر كالشعر ويعبر عن ذلك أحمد عزوز بقوله: «لهذا فالإيقاع يتعدى الشعر إلى النثر، لأنه يتضمن الصوت والتساوي والتواري والتكرار والتوازن والتقسيم...».[4]

أما في التراكيب الطويلة فيرى ابن سينا أن النبر يحل محل الوقف، يقول: «فيجب أن لا تخلل هذه الأقاويل الطويلة إلا النبرات التي لا ينغم فيها، وإنما يراد بها الإمهال فقط».[5] وفي المفردات يكون النبر ضروريا للتوضيح والتمييز، كما في الشرط والجزاء مثلا، يقول: «وربما احتيج أن تخلل الألفاظ المفردة، إذا كانت في حكم القضايا، خصوصا حيث تكون على سبيل الشرط والجزاء، كقولهم: لما التمس، أعطيت، فيقول بين التمس وبين أعطيت نبرة إلى الحدة، وهو عند الشرط، ويعقب أعطيت نبرة أخرى إلى الثقل، وهي الجزاء».[6] وإذا كثر النبر في الكلام اقترب من الشعر.[7]

---

[1] - الصوت والدلالة في خطاب البشير الإبراهيمي، عيون البصائر نموذجا، رسالة ماجستير، إعداد احمد عزوز، جامعة وهران، 1991/1992، ص 50.
[2] - الخطابة، ص 224.
[3] - الخطابة، ص 223.
[4] - الصوت والدلالة في خطاب البشير الإبراهيمي ص 19
[5] - الخطابة ص 223
[6] - الخطابة ، ص 224
[7] - الخطابة ، ص 224

وبهذا يكون النبر في آخر المقاطع ووسطها وبدايتها، يقول ابن سينا: «ونوع من النبر يأتي عند خواتم الفصول، ويشتمل على هذه...ويجب أن نميز بينه وبين النبرات الأخرى المتخللة والمبتدئة».[1] ويكون النبر في بعض المقاطع الممدودة لقوله: «... بالمقطع الممدود، وليس المكتوب، مثل الألف التي تكتب في لنسفعا، ويسمع له حرف آخر، أوفي، اعلموا، ولا يسمع البتة، بل المسموع المطابق».[2]

2- التنغيـــــم

لغة: التنغيم من نغم ومنه النغمة جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها. وقيل أن النغم الكلام الخفي. والنغمة الكلام الحسن.[3] ويجمع ابن منظور بين النغمة والنغم، فالأولى للكلمة، والثانية للكلام. أما النغم عند ابن سينا (ت 427هـ) فيربطه بالموسيقى فيرى أن هذه تبحث في أحوال تآلف النغم وتنافره «وأحوال الأزمنة المتخللة بينها فيعلم بذلك كيفية تأليف اللحون».[4] والنغمة هو زمان الصوت، يقول: «واعلم أن الصوت من حيث يبقى زمانا محسوسا يسمى نغمة».[5]

ساصطلاحا: التنغيم والنغم لفظان يصطلحان بهما على معنى واحد فيتجلى في تلك الدبدبة التوترية للمقاطع الصوتية في السلسلة الكلامية المنطوقة وهو بهذا ملازم النبر« إذ التنغيم والنغم intonation and melody مصطلحان متماثلان في الدلالة على

[1] - الخطابة ، ص 224
[2] - الخطابة ، ص 224
[3] - ينظر لسان العرب، 16/70
[4] - جوامع علم الموسيقى، ص 9
[5] - جوامع علم الموسيقى ، ص 11

المنحى اللحني في سلسلة أحداث الكلام وتبدو الصلة وثيقة بينه وبين النبر، وأن العلاقة بينهما تلازمية». [1]

ويستعمل الفارابي لفظ النغم بمعنى التنغيم فيقول: «والنغم الأصوات المختلفة في المدة والثقل التي تتخيل أنها ممتدة». [2] وإن كان البعض يميزون بين النغم والتنغيم في الطرح والاستعمال، فالأول خاص باللفظ المفرد والثاني بالقول والكلام، مثل تمام حسان الذي يرى التنغيم من القرائن اللفظية السياقية، «وهو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق» [3] ، فهو كالنبر له شكل خطي خاص بالجمل إذ يقول: «فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة. فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة». [4]

وكان التنغيم عند الفارابي مقابلا للحن في قوله: « أما ترتيب النغم في أجزاء اللحن فإنه على أنحاء كثيرة، فمنها ما أجزاؤها الأول حادة النغم... ومنها ما أحد أجزائها حاد النغم والتالي له ثقيل النغم، وعلى هذا الترتيب إلى أن تنفد أجزاء اللحن». [5]

فالتنغيم هو تنوع «في درجات الصوت خفضا وارتفاعا في الوحدة الدلالية، مهما تنوعت مقاطعها، وظهورها ضمن سياق الكلام». [6] لذلك يكون التنغيم عنصرا ضروريا في الأسلوب الإنشائي من القول خاصة كالنداء، والاستفهام، والتعجب، والنفي، لهذا يرى تمام حسان أن التنغيم كان عوضا عن علامات الترقيم « والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة». [7]

---

[1] - الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 256
[2] - الموسيقى الكبير ص 109
[3] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 226
[4] - اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 226
[5] - الموسيقى الكبير ص 1168
[6] - الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 257
[7] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 226

وقد اثبت ابن سينا (ت 427هـ) ذلك حين وضح مصطلح الرباطات «والرباطات هي الحروف».[1] وبين دور التنغيم في خلو الكلام منها، فإذا استعملت «الألفاظ مجردة من الرباطات، فقال مثلا وافيت (بالوقف)، طلبت(بالوقف)، ولم يدل اللفظ على المقصود، بل الإشارة، والهيئة، والنغمة».[2] فالاستغناء عن الروابط في الكلام يفتح باب المعاني، ومن ثم فالاختصار اللفظي لا يتبعه اختصار معنوي بل العكس، يقول ابن سينا (ت 427هـ): «فإن الرباط يجعل الكلام الكثير كالواحد، وتركه يجعل الكلام متفرقا، مكثرا، فيوهم معاني كثيرة».[3] وهذا وارد في تقرير الحالات النفسية، وردات الفعل المختلفة من غضب ويأس، وفرح، وشك، وإقناع.

وقد تنبه العلماء الأوائل لذلك، وإن لم يحظ التنغيم عندهم بدراسات مكثفة واهتمام بالغ. فهاهو الجاحظ يرى من تمام الكلام ضم الحروف وتأليفها وتقطيعها وحسن التعبير عنها بتقاسيم الوجه وحركة الرأس واليدين مما يضع القول في سياق عام يساعد على توضيح دلالته وإبلاغ المقصود منه، يقول: «لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتفتل، والتثني، واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور».[4]

ونجد هذا عند ابن جني حاضرا فيثبت دور التعابير الإيمائية في الوجه التي قد تغني عن الألفاظ حيث يقول: «وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا ! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو كزا أو مبخلا أو نحو ذلك، فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة».[5] إنه يوضح دور التنغيم في توصيل المعاني وتبليغ المقاصد انطلاقا من تلك النغمات المصاحبة للقول والدالة، على

---

[1] - الخطابة، ص 213
[2] - الخطابة ص 233 و 234
[3] - الخطابة، ص 234
[4] - البيان و التبيين 1/79
[5] - الخصائص 2/371

سبيل المثال لا الحصر، على التطويع والتطريح والتفخيم والتعظيم ، لما جاء في قوله:« ... وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويع والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا ! فتزيد في قوة اللفظ بالله هذه الكلمة، وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك».[1]

لقد اقترب ابن جني من توضيح التنغيم من النبر في استعمال المصطلح وتوظيفه، فهما متقاربان في المقصد حين أراد تفخيم لفظ الله- ثم حين وضح قيمة الإسماع في هذه اللفظة فقال: «...تتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها».[2] ولم يذكر ابن جني انخفاضه أو انخفاض توتره لأن ذلك حادث منطقي بعد رفع الصوت إذ يستحيل الاستمرار فيه فمدته الزمنية محدودة.

ويحدد ابن سينا (ت 427هـ) سبب الحدة والثقل فيقول: «إن الحدة سببها القريب تلزز وقوة وملامسة سطح وتراص أجزاء من موج الهواء الناقل للصوت، وأن الثقل سببه أضداد ذلك».[3] ويكون بذلك ما تصوره القدامى قد حدده المحدثون أمثال تمام حسان حين عرف التنغيم بأنه «ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام».[4] هذا الارتفاع والانخفاض يحدد طبيعة النغمة المطابقة للمقاطع الكلامية المعنية فتتصف بها، فتكون بذلك النغمة إما صاعدة أو هابطة أو مستوية.[5]وأحسن ما جاء في وصف التنغيم وظيفيا هو اعتباره مورفيما صفريا لارتباطه بالنطق دون الكتابة و« لتنوع صوتي تبرزه إلى حيز التفريق بين المعاني قيمه الخلافية distinctive features التي تأتلف منها الدرجات التنغيمية».[6]

---

[1] - الخصائص 2/370
[2] - الخصائص 2/371.
[3] - جوامع علم الموسيقى، ص 10 .
[4] - مناهج البحث في اللغة ص 164
[5] - ينظر موسيقى الشعر العربي، شكري عياد، دار المعرفة، ط 2، 1978م، ص 192
[6] - الأصوات اللغوية عبد القادر الجليل ص 259

ولعل الفارابي قد ذكر بصورة ما ذلك حين قال: «ومن فصول النغم الفصول التي بها تصير دالة على انفعالات النفس، والانفعالات عوارض النفس مثل: الرحمة والقساوة والحزن والخوف والطرب والغضب واللذة والأذى وأشباه هذه فإن الإنسان له عند كل واحد من هذه الانفعالات نغمة تدل بواحد واحد منها على عارض عارض من عوارض نفسه، وهذه إذا استعملت خيلت إلى السامع مع تلك الأشياء التي هي دالة عليها». [1] فقد جعل تلك النغمات موحدة عند المتحدث والمستمع فيضفي عليها بالفعل طابع المورفيم الصوتي، الذي يعتبر أساسيا في توصيل وتوضيح المعاني للسامع ورفع درجة التأثير فيه وإثارة الجوانب الشاعرية النفسية وتأجيج التصورات المسقطة في الدماغ، والتي لها أثر في استقبال وتحليل الدلالات المرصودة، فيحدد الفارابي وظائف التنغيم ودوره في أربعة: « منها ما يفيد السامع اللذاذة وأنق المسموع ويكسب اللحن بهاء وزينة ومنها ما يوقع في النفس تخيلات أشياء على نحو من التخيلات... ومنها ما يكسب الإنسان انفعالات النفس، مثل: الرضا والسخط...والرابع هو الذي يكسب الإنسان جودة الفهم لما تدل عليه الأقاويل التي قرنت حروفها بنغم الألحان».[2]

أما النبر والتنغيم عند ابن سينا (ت 427هـ) فقد جاء مقترنان كما وضحنا في أغلب الأحيان وقد كان ملما «بظاهرة نبر الكلام إلماما واضحا قارب حد التبلور النهائي للمفهوم».[3] فقد جعل ابن سينا (ت 427هـ) التنغيم من التحسينات والترتيبات التابعة للألفاظ التي تتعلق بعضها باللفظ وبعضها متعلق بالترتيب، وبعضها متعلق بهيئات المتكلمين وهي أمور خارجة عن اللفظ وعن المعنى، فمنها ما يتعلق بهيئة اللفظ ونغمته.[4] فاللفظ حسب ابن سينا (ت 427هـ) ليست مجرد رصف لأصوات منطوقة فهناك عوامل مهمة تعمل على إيصال تلك المعاني المحققة في جمل مركبة على أحسن صورة، وقد سماها ابن سينا (ت 427هـ) بالتوابع والترتيبات والتحسينات.[5] والنغم

---

[1] - الموسيقى الكبير ص 1071
[2] - الموسيقى الكبير ص 1071
[3] - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 304
[4] - ينظر الخطابة ص 197
[5] - ينظر الخطابة ص 197

أحدها، ويربط ابن سينا (ت 427هـ) النغم محددا ومبرزا لبعض الحالات الانفعالية، والتغيرات العاطفية وبعض الأحاسيس المختلفة، فهو يجلي الجوانب النفسية المتعددة يقول ابن سينا (ت 427هـ) « فإن للنغم مناسبة مع الانفعالات والأخلاق فإن الغضب تنبعث منه نغمة بحال والخوف تنبعث منه نغمة بحال أخرى، وانفعال ثالث تنبعث منه نغمة ثالثة ».[1]

والنغم لا يحمل صفات محددة بل يحتمل صفات تناسب المقام المراد التعبير عنه فينتقل بين الحدة والثقل أو بينهما وبين الجهر والخفت أو بينهما، يقول: «ومنها الصنف المستعمل في النغم، مثل تثقيلها وتحديدها وتوسيطها وإجهارها والمخافتة بها أو توسيطها».[2] ويوضح ابن سينا (ت 427هـ) طبيعة الحدة والثقل في الصوت فيقول: «أما نفس التموج فإنه يفعل الصوت، وأما حال المتموج في نفسه من اتصال أجزائه تملسها أو تشظيها وتشذبها فبفعل الحدة والثقل، وأما الحدة فيفعلها الأولان، وأما الثقل فيفعله الثانيان».[3]

ويكون حال المتموج المحدد لطبيعة الصوت انطلاقا من حدوث الحرف عند مخرج من المخارج أو محبس يقول:« وأما حال المتموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من الخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف».[4] فنفس المتموج إذا المسئول عن صنع النغم في الحروف، التي قد لا تدل دلالات واضحة بمجرد تراصفها، فهي بحاجة في بعض اللغات إلى النغم والنبر. يقول في أنواع اللفظ الدال على الزينة و«اللفظة التي لا تدل بتركيب حروفها وحده، بل بما يقترن به من هيئة نغمة ونبرة».[5]

ويسترسل ابن سينا (ت 427هـ) في تحديد الطبيعة الفيزيائية للحدة الثقل انطلاقا من المسموع وليس الإصدار أو النطق، فقد تكون إذا الحدة والثقل حادثان في

---

[1] - الخطابة ص 179
[2] - الخطابة ص 197
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 59
[4] - أسباب حدوث الحروف ص 60
[5] الشعر ص 67

الطبيعة عامة وليست مقترنة بالأصوات الإنسانية وحسب، إذ يثبت أن التموج سببه القرع والقلع. يقول في سبب حدوث الصوت: «فإذن العلة القريبة ـ كما أظن ـ هي التموج، وللتموج علتان، قرع وقلع».[1]

أما سبب الحدة والثقل فقد ورد عن ابن سينا (ت 427هـ) قوله: «...وقد علمت أن الحدة سببها القريب تلزز وقوة وملاسة سطح تراص أجزاء من موج الهواء الناقل للصوت، وأن الثقل سببه أضداد ذلك، وأن أسباب سبب الحدة صلابة المقاوم المقروع أو ملاسته أو قصره أو انحرافه أو ضيقه إن كان مخلص هواء، أو قربه من المنفخ إن كان أيضا مخلص هواء وأن أسباب سبب الثقل أضداد ذلك من اللين والخشونة والطول والرخاوة والسعة والبعد».[2] والعلاقة بين سبب حدوث الحدة والثقل علاقة طردية «وان كل واحد من هذه الأسباب يعرض له الزيادة والنقصان، وان زيادتها تقتضي زيادة المسبب لها ونقصانها يقتضي نقصان المسبب لها على مناسبة متشاكلة...».[3]

ويذكر ابن سينا (ت 427هـ) أن نوع النغم وطبيعته تحددها المقام الخاص بالمخاطب والمستمع وما يترتب عن ذلك من تصور وأثر عند كليهما يقول: « فيشبه أن يكون الثقل والجهر يتبع الفخامة، والحاد المخافت فئة تتبع ضعف النفس وجميع هذا يستعمل عند المخاطب، إما لأن يتصور الإنسان بخلق تلك النغمة أم بانفعالها عند ما يتكلم، وإما لأن يتشبه نفس السامع بما يناسب تلك النغمة قساوة وغضبا أو رقة وحلما».[4] واختصر ابن سينا (ت 427هـ) العلاقة بين النبر والنغم فجعل الأولى من أحوال الثانية وجزءا منها.

وفي تصورنا فإنه قد ألم بأنواع النبر كالنبر التنغيمي والنبر المدي أو الطولي والنبر الزفيري في قوله: «وللنبرات حكم في القول يجعله قريبا من الموزون. وكذلك

---

[1] أسباب حدوث الحروف ص 58
[2] - أسباب حدوث الحروف ص 59
[3] - أسباب حدوث الحروف ص 60
[4] - الخطابة ص 198

فإن القول المنثور أيضا قد يجعل بالمدات موزونا». [1] وقوله كذلك: « فيجب أن لا تخلل هذه الأقاويل الطويلة إلا النبرات التي لا ينغم فيها، وإنما يراد بها الإمهال فقط». [2] وقوله: « وأما اللفظ المتخلخل، وهو المقطع مفردا مفردا، فهو شيء غير لذيذ، لأنه لا يتبين فيه الاتصال والانفصال في الحدود التي تتناهى إليها القضايا وغير القضايا التي هي مثل النداء والتعجب والسؤال، إذا تمت فإن لكل شيء منها حدا أو طرفا يجب أن يفصل عن غيره بوقفة، أو نبرة، فيعلم». [3]

ويكتسي التنغيم طابع المورفيم الصوتي حين يتعلق الأمر بتوضيح سياق الكلام عند السامع وهي ضرورية ومهمة في تحديد المعنى وإيصاله دون أن يكون لذلك أثر في الخط. يقول ابن سينا (ت 427هـ) « وربما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القطع، ولإمهال السامع ليتصور، ولتفخيم الكلام». [4]

وقد يتم ذلك بالنبر الذي يغير المعنى وغرض الكلام فتحوله من استفهام لخبر أو العكس يقول: «وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاما، والاستفهام تعجبا، وغير ذلك. وقد تورد للدلالة على الأوزان والمعادلة، وعلى أن هذا شرط، وهذا جزاء، وهذا محمول، وهذا موضوع». [5] فالنبر حالة من النغم إذ يقول: «ومن أحوال النغم النبرات، وهي هيئات في النغم مدية غير حرفية». [6]

لقد فهم ابن سينا (ت 427هـ) صورة النبر على أنها نغم مدي يحدث في مقطع كلامي بحيث يكون أندى وأوضح في السمع، ولابد من أنه استعمل مصطلح مدي وهو يدرك تماما أن النبر يستغرق في الزمن أكثر من المد العادي الذي يلحق المصوتات

---

[1] - الخطابة ص 223
[2] - الخطابة ص 223
[3] - الخطابة ص 222
[4] - الخطابة ص 198
[5] - الخطابة ص 198
[6] - الخطابة ص 198

فهو القائل: «...ولكني أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف».[1] كما حدد مواقع النبر في المقاطع الكلامية انطلاقا من حاجة المقام والمقال، يقول: «وأحوج الأقوال إلى النبرات هي القصيرة المتعادلة الأجزاء، وأما الطوال فتقل حاجتها إليها، فإنها تزداد بذلك طولا وأعني بالطويل من الأقاويل مثل ما تكون القضايا فيه كثيرة أجزاء الموضوع والمحمول، ومثل ذلك أيضا في سائر أقسام اللفظ المركب».[2]

ويربط بهذا النبر بالإيقاع الشعري وموسيقاه «وللنبرات حكم في القول تجعله قريبا من الموزون، وكذلك فإن القول المنثور أيضا قد يجعل بالمدات موزونا».[3] كما يقرنه بالكلام لأنه يتعلق بالمتكلم وأدائه، فيعطيه طابعا خاصا يصبغ به الحدث العام المرتبط بالسياق الكلامي من حيث توصيل المعنى، وتوضيح الغاية بطريقة خاصة بكل متحدث، فيقول أن النبر قد « يبتدئ بها تارة، وتخلل الكلام تارة، وتعقب النهاية تارة، وربما تكثر في الكلام وربما تقلل».[4]

والكثرة والقلة في نبر الكلام قد يتعلق بطبيعة اللغة عموما، وبطبيعة الفرد المتحدث الذي قد تعطي نبراته صورا عن أحواله «وربما أعطيت هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصيرها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنه متحير أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك».[5] بهذا يربط ابن سينا (ت 427هـ) بين النبر والعادات الكلامية حيث تكون دلالاتها غير مقننة ولا مضبوطة بين لغة وأخرى « وأقول : إن العادات توجب في النبرات ودلائلها أمورا لا تضبط، وكذلك في تلصيق الكلام، وتصريفه، وتسجيعه وغير ذلك».[6]

[1] - أسباب حدوث الحروف ص 85
[2] - الخطابة ص 223
[3] - الخطابة ص 223
[4] - الخطابة ص 198
[5] - الخطابة ص 198
[6] - الخطابة ص 224

إن للنبر مواقع واجبة في الكلام تعطيه النغم، فيكون أبلغ من المكتوب نفسه، وعن بعض مواضع النبر يقول ابن سينا: «فمن الأقاويل ما ينبغي أن تورد النبرات فيه عند تمام قول، وذلك عندما يكون الكلام قصيرا، ويحتاج أن يكون مع قصره فخما فتخلل أجزاؤه القولية الصغرى نبرات».[1]

ولا يقتصر الأمر على أجزاء القول الصغرى بل قد نستعين بالنبرات في الألفاظ المفردة إذا كانت تقوم مقام القضايا كالشرط والجزاء، ويساوي ابن سينا (ت 427هـ) بين الأدوات الرابطة بين الألفاظ في توصيل إبلاغ المعنى وبين النغمة وما لها من علاقة بهيئة المتحدث، حيث يقول: «وكذلك استعملت الألفاظ مجردة عن الرباطات، فقال مثلا وافيت بالوقف طلبت بالوقف، ولم يدل باللفظ على المقصود، بل الإشارة،والهيئة، والنغمة».[2]

[1] - الخطابة ص 227
[2] - الخطابة ص 233 و 234

الخــاتـــمة

بعد سبر غور مؤلفات أهم علماء القرن الخامس الهجري، تمخض البحث، عن مجموعة من الآراء يمكن إجمالها في ما يأتي:

- نضج وتنوع الدراسات اللغوية في القرن الخامس الهجري، ومن بينها الدراسة الصوتية، حيث اكتشفنا تراثا صوتيا زاخرا، وهو بالمنظور العلمي عمل متكامل حول الصوت الطبيعي واللغوي، رغم تناثره في ثنايا الأسفار القديمة بدءا بأسباب حدوث الحروف والرعاية.

- تمخض القرن الخامس الهجريعن ميلاد علم التجويد ونضجه. هذا العلم الذي وظف علم الأصوات السمعي، وقنن لعلم الأصوات النطقي، وذلك في سعي منه لحماية القراءات القرآنية من التحريف.

- استفاد علماء القرن الخامس الهجريمن جهود من سبقهم كابن جني، والفارابي، وإخوان الصفا، والسعدي، وابن مجاهد إلا أنهم لم يقفوا عند ذلك الحد بل أضافوا إلى الدراسة الصوتية ما يناسب اتجاه التجويد، خاصة من ناحية الصفات الإفرادية والتركيبية للأصوات.

- تقدير حاجة المتعلمين والعلماء فأرسوا قواعد علم جديد وهوعلم التجويد.

- حافظ علماء التجويد مثل القيسي والداني على تقسيم الأوائل كسيبويه(ت 180هـ) والخليل(ت 175هـ) في مخارج الحروف.

- بقيت بعض الأعمال حبيسة لما قدمه الأوائل كالثعالبي الذي لم يخرج عما جاء به المبرد في عيوب النطق والكلام.

- تطور الدرس الصوتي وتشعبه لاهتمام العلماء بأجزاء من هذا العلم وعدم تناوله من باب تكرار واجترار ما قدمه الأوائل، يتجلى هذا في مؤلفات تلك الفترة، على نحو الكشف والرعاية للقيسي، والتحديد للداني، والموضح للقرطبي في التجويد، والقانون في الطب، والشفا لابن سينا.

- بحث علماء القراءة والتجويد في الأصوات بنفس آخر، فعالجوها بطريقة مختلفة لا تكاد تتقاطع مع أعمال ابن سينا (ت 427هـ)، وتتلاءم مع توجههم الذي أملى عليهم التخصص في المجال الصوتي التطبيقي. وهذا دليل على أن القرن الخامس الهجريقد أوجد توجهات بحثية مختلفة.

- بعيدا عن مجالات اهتمام ابن سينا، نجد علماء التجويد قد قدموا نتائج لم تختلف عما توصل إليه المحدثون كإبراهيم أنيس وكمال بشر.

- ساعد البحث على اكتشاف حجم ما قدمه ابن سينا للدراسة الصوتية، وما تتسم به من جدة، بالنسبة للدراسات السابقة أو المعاصرة لها.

- انفرد ابن سينا (ت 427هـ) بدراسة مميزة للأصوات لا نكاد نجد لها نظيرا في عصره، بخلفية طبية وفلسفية.

- حصر ابن سينا أمراض جهاز النطق والسمع وطرق علاجها، وأثبت أن بعض أمراض الكلام لها خلفيات نفسية انعكست على الجانب العضوي. ومن الجانب السمعي اختصر معوقات التواصل في السمع فيكون صمم أو طرش أو وقر ولادي يقول: «ومعنى الصمم غير معنى الطرش، فإن الصمم أن يكون الصماخ قد خلق باطنه أصم، ليس فيه التجويف الباطن الذي ذكرناه، ...الذي يسمع الصوت بتموجه. وأما الطرش، والوقر فهو أن لا تبلغ الآفة عدم الحبس منها، ولا يبعد أن يكون الوقر كالبطلان العام للصمم، ولا يكون هناك تجويف... والطرش كالنقصان من غير بطلان...».[1]

---

[1] - القانون 2/218.

- حدد ابن سينا ما هو طبيعي منها، وما هو عارض والذي قد يصبح مزمنا، يقول: «وفقدان السمع، منه مولود طبيعي لا علاج له، وكذلك سائر أصناف الوقر والطرش، منه مولود طبيعي أيضا لا علاج له، ومنه حادث، لكنه إن طال عهده فهو مزمن، وذلك أيضا قريب من اليأس أو عسر العلاج».[1]

- تنبه ابن سينا (ت 427هـ) إلى أن نقصان السمع أو انعدامه قد يتشارك مع اختلال حسي أوحتى عقلي يقول:«أما الكائن بشركة الدماغ، فيدل عليه الحال في الحواس الأخرى، ومشاركها السمع فيه، ومشاركة قوى الحركة أيضا إياه. وأدل الدلائل عليه مشاركة اللسان، وخصوصا إذا كان عقيب السرسام، وعقيب اختلاط العقل، وبعد آفات دماغية مزاجية مما قيل في باب الدماغ».[2]

- تأكيد ابن سينا (ت 427هـ) قبل الدراسات الحديثة في كون الجانب السمعي له جوانب نفسية لأن السامع نفسه يتحول إلى متكلم، فوجب: «أن يكون السامع حائزا بالقوة على ما يحققه المتكلم بالفعل ...مما يسمح لنا بالانتقال إلى دراسة الجانب النفسي والعقلي من الفونتيكا السمعية»[3]، لأن إدراك الأصوات في الذهن هو أساس السماع وهذا المجال من اختصاص علم النفس:« ودراسة هذا الجانب النفسي، وتأثره بمناهج علم النفس وطرفه وميادينه دفع ببعض الباحثين إلى إطلاق تسمية جديدة على مصطلح الفونيتيكا السمعية، وهي مصطلح الفونيتيكا النفسية phonétique psychologique ».[4]

- أفاض في مرحلة انتقال الصوت من فم المتكلم إلى أذن السامع، وعلى حد علمي لم يسبقه أحد في هذا حيث استعان بعلم الفزياء في تحديد مصادر الصوت، فأوعزها ألى الحركة لأن القرع والقلع لايتمنان دون حركة.

- تحدث عما يسبق النطق من قوى تخيلية وشوقية، تنظم الأحداث قبل الكلام.

- قدم دراسة وصفية واقعية للأصوات، إذ رصد ما اعترى حروف اللغة العربية من تغيرات نطقية، وتأثرها بلغات أخرى، وأسباب ذلك.

- ربط بين التصور السمعي للصوت العربي مع الأصوات الطبيعية والتمثيل لها.

---

[1] - القانون 2/218.
[2] القانون 2/219.
[3] - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، د عصام نور الدين، ص 154.
[4] - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، د عصام نور الدين، ص 155.

- اعتمد مصطلحات خاصة به في تحديد صفات الحروف، كالحروف المفردة والمركبة، ويقصد بها الرخوة والشديدة، ولهذه التسمية بعدا في تحديد مقاطع اللغة وربطها بزمن الانقضاء، فتحدث عن الحرف الحبسي، ومما ذكرناه سالفا نستشهد بما يأتي:

- اشتراك المقطع الممدود والمقصور في الحروف الصامتة، ويوضحها في كونها نوعان« ولا يمكن أن يزاد على مستحقه من الزمان».[1]

1- التي لا تقبل المد البتة، مثل الطاء والباء وهي حروف حبسية كالكاف، وهي حروف لها نصف صوت.[2] ويجعل ابن سينا (ت 427هـ) من الحروف الحبسية مقياسا لأزمنة الحروف خاصة التسريبية الممدودة، يقول: « فلنجعل عيار أزمنة الحروف سماع الحروف الحبسية».[3]

2- التي تقبل المد مثل السين والراء.[4] وهي حروف تسريبية، وتحدد مفهوم ذلك بسهولة تمديدها فيتكون المقطع الممدود« إذا وقعت في أواخر الحروف أو اتخذ منها مقطع ممدود».[5]

وهذه نظرة أخرى لتوضيح نوع الحروف الصامتة في كون الحروف شديدة ورخوة، وعلى هذا الأساس اعتمد ابن سينا (ت 427هـ) أساس الصفات في الحروف فقد اكتشف المتأخرون أن الأصوات الشديدة تنعدم فيها صفة الغنائية القائمة على «التردد بين الانقطاعية المرمزة ...هذه السمة تكاد حصرا، تسجل مع الأصوات الرخوة (الاحتكاكية)، لما تتميز به من قابلية التواصل، والإفادة في تلونات نطقية، طالما أن هناك كمية من الهواء ممتدة بين المصدر ونقطة الإنتاج».[6]

- حدد أنواع المقاطع، بقوله: «ولنا كلام في الحروف ومخارجها وأحوالها، لتطلب، ولتعلم هذه الأحوال منه، فلنسم زمان /ت / وزمان / تن/ ثقيل الخفيف، وزمان /تان/ خفيف الثقيل وزمان /تارن/ ثقيلا مطلقا».[7] وباعتبار ذلك تكون المقاطع عند ابن سينا (ت 427هـ) كالآتي:

---

[1] - الشعر ص 65
[2] - الشعر، 65
[3] - جوامع علم الموسيقى، ص 86
[4] - الشعر ص 65
[5] - جوامع علم الموسيقى، ص 86
[6] - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 149
[7] - جوامع علم الموسيقى ص 88

1- خفيف وهو ما يقابله المقطع القصير

2- ثقيل الخفيف ويقابله المقطع المتوسط

3- خفيف الثقيل ويقابله المقطع الطويل أو الكبير

4- ثقيلا مطلقا ويقابله أيضا المقطع الطويل أو الكبير

وهذه أربعة مقاطع تقابل ما توصل إليه المحدثون في كون الشائع من المقاطع خمسة وهي

1- س ع ← م/ن/ ت

2- س ع ع ←ما/ نا/تا

3- س ع ع ←مل/ سل

4- س ع ع س←صام/ قام

5- س ع س س←نهر/ علم[1]

وبناء على تشكل المقاطع من الحروف يجعلها ابن سينا (ت 427هـ) في ثلاثة أشكال، وهي الأكثر دورانا في كلام العرب خاصة الشعر، وهي نفسها التي أثبتها عبد القادر عبد الجليل[2] في دراسة حديثة، إذ استعمل ثلاثة مقاطع:

ـ المقطع القصير المفتوح، ويقابله عند ابن سينا (ت 427هـ) المقطع المقصور، يقول: «فإن كان ذلك الزمان قصيرا سمي مقطعا مقصورا، وهو حرف صامت وحرف مصوت مقصور».[3]

ـ المقطع المتوسط المفتوح، ويقابله عند ابن سينا (ت 427هـ) المقطع الممدود، يقول: «وإن كان طويلا سمي مقطعا ممدودا، وهو حرف صامت وحرف مصوت ممدود».[4]

ـ المقطع المتوسط المغلق، ويقابله عند ابن سينا (ت 427هـ) ما يسميه بزمان دوران أقصر زمان، وهو « صامت ومصوت مقصور، وصامت».[5]

[1] - ينظر هندسة المقاطع الصوتية، ص 57 ، و ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص 289و 290 فقد توسع في توضيح هذه المقاطع بصورة أيسر.
[2] - ينظر هندسة المقاطع الصوتية، ص 61
[3] - علم الموسيقى، ص 124
[4] - علم الموسيقى ص 124
[5] - جوامع علم الموسيقى ص 124

- وفي الدراسة ما فوق المقطعية بين أهمية النبر في الخطاب النثري والشعري، وربط ذلك بالمقاطع.

- تصور ناضج ومتكامل للدراسة التركيبية للأصوات خاصة عند ابن سينا (ت 427هـ) في حسن تصور للمقاطع وأنواعها في الربط بين التنغيم والنغم الموسيقي وبين المقاطع والنبر في فن الخطابة.

- تصور ابن سينا أجزاء من الجهاز النطقي كغضاريف الحلق، وأدرك فيه بحدسه ما لم يدركه سابقوه يتجلى ذلك في اصطلاحاته، مثل "ما لا اسم له".

- تفرد ابن سينا بإشراك العضلات في الحدث الصوتي، بتحديد عملها في تحريك الحنجرة، وهذا ما لانجده عند سابقيه.

- لم يتوسع البحث في جهود البلاغيين في المجال الصوتي كالباقلاني والجرجاني وحتى الخفاجي، واكتفى بالإشارة إليهم دون التوسع المطلوب حتى لايغمط حق الجهود الصوتية عند بلاغيي القرن الخامس، ويبقى هذا عنوانا آخر لبحث أكاديمي جديد.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- أئمة النحاة في التاريخ، محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1396 هـ/1976 م.

3- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.

4- الإبانة عن معاني القراءات أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت (437هـ)، تحق، د/ محي الدين رمضان، ط 1، 1399ه -1979م، دار المأمون التراث،دمشق،سوريا.

5- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي عند أبي عمرو بن العلاء، د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1 1408/1987.

6- أبحاث في علم التجويد، د/غانم قدوري الحمد، دت، دط.

7- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد(ت 505هـ) وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الآحياء من الآخبار، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي(ت 806هـ)، طبعة جديدة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

8- الإدغام الكبير في القرآن، أبو عمرو بن سعيد الداني، حققه وقدم له د/زهير غازي زاهد، ط 1 (1414هـ - 1993م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

9- الأسلوب والأداء، دراسة صوتية تباينية في القراءات القرآنية، إعداد سيب خير الدين، 2003/2004 ، جامعة تلمسان.

10- الإشارات والتنبيهات لابن سينا (ت 427هـ)، شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق سليمان دينا، دار المعارف، مصر.

11- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط 1975 م.
12- أصوات اللغة العربية، د/ عبد الغفار حامد هلال مط الجبلاوي مصر ط 2، 1988.
13- الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1998/1418.
14- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني(ت 403هـ)، تحق/ أحمد السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط 5.
15- إعراب القرآن الكريم وبيانه، تأليف الأستاذ محي الدين الدرويش، ط 7، 1420 هـ 1999 م، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية.
16- الإلهيات لابن سينا (ت 427هـ)، راجعه وقدم له إبراهيم مدكور، تحقيق الأب قنواتي وسعيد زايد بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة.
17- البرهان في علوم القرآن بدر الدين بن محمد الزركشي، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1408 هـ 1988 م.
18- البيان والتبيين، أبو عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 5 ، 1405/1985.
19- تأويل مشكل القرآن، مسلم بن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر ، ط 3 دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .1981
20- تاريخ عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1/1055
21- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، 1407 هـ، 1987م.
22- التبصرة في القراءات، لأبي محمد بن أبي طالب القيسي، حقق نصه و علق حواشيه، د/ محي الدين رمضان ، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، الكويت، ط 1، 1405هـ -1985م.

23- التحديد والإتقان في التجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت 444هـ) الأندلسي، دراسة و تحقيق، د/غانم قدوري الحمد، ط 1،- 1407هـ - 1988م، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، طبع و نشر و توزيع مكتبة دار الأنبار، الرمادي، العراق.

24- تذكرة النحاة، أثير الدين أبي حيان (ت 745هـ)، تحق عفيف عبد الرحمن، ط 1، 1986، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

25- التعليل اللغوي في كتاب سيبويه(ت 180هـ)، شعبان عوض محمد العبيدي،منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط 1، 1999م.

26 ـ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774 هـ، قوبلت هذه الطبعة الجديدة المدققة على جميع النسخ الخطية في دار الكتب المصرية وعلى جميع النسخ المطبوعة، وتمتاز هذه الطبعة بفهرس تفصيلي لجميع آيات القرآن الكريم، أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

27- التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني هنري فليش، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1388هـ/1968م.

28- توجيه مشكل القراءات العشرية القرشية لغة و تفسيرا و إعرابا، د/عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية ط 1، 2003هـ.

29- تلخيص الخطابة ابن رشد، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الناشر وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم بيروت لبنان.

30- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي بن دريد، طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند، 1344هـ.

31- جوامع علم الموسيقى لابن سينا (ت 427هـ)، تحقيق زكريا يوسف، تصدير ومراجعة أحمد فؤاد الإهواني ومحمود أحمد الحفني .

32- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، تأليف د/عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الحلبوني، ط 1، 1427هـ -2006م .

33- حق التلاوة، حسني الشيخ عثمان، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط 9 .
34- الحيوان لابن سينا (ت 427هـ)، راجعه وقدم له إبراهيم مدكور، تحقيق عبد الحليم منتصر، سعيد زايد، عبدالله إسماعيل بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس.س
35- الخصائص لأبي عثمان بن جني تحق، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2.
36- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، ، مطبعة الخلود، ط 1، بغداد 1406هـ 1986م.
37- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1976.
38- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، دارالرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، 1980.
39- الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق النشر والتوزيع والطباعة،ط 3، 1403هـ-1983م.
40- دلائل الإعجاز، الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471هـ) النحوي، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط 2، مطبعة المدني، القاهرة، مصر،1410 هـ 1989م.
41- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، موفم للنشر، الجزائر، 1992م.
42- الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحق، أحمد حسن فرحات، توزيع دار الكتب العربية ، مط دار المعارف للطباعة، دمشق، سوريا، 1393 هـ - 1973م.
43- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 7، 1407 هـ.
44- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 2، 1413هـ/1993م.

45- سر الفصاحة لابن سنان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت 466هـ) الحلبي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، 1389/1969.

46- السماع الطبيعي لابن سينا (ت 427هـ)، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق سعيد زايد بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس.

47- سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القرويني ابن ماجه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

48- شرح ما يقع فيه التصحيف التحريف، ألفه أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (382هـ)، تحق، عبد العزيز أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،مصر 1383ه-1963م .

49- شرح المفصل موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت مكتبة المتنبي، القاهرة.

50- الشعر لابن سينا (ت 427هـ)، حققه وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس القاهرة 1996م.

51- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزية البخاري الجعفي، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث 4992 5/ 417، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان .

52- صراع الأنماط اللغوية، رانيا سالم الصرايرة، عالم المعرفة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

53- ضحى الإسلام لأحمد أمين ، القاهرة، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 3 (1371هـ - 1952م).

54- الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري، تأليف عادل هادي حمادي العبيدي ط 1 1425/2005 ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، مصر.

55- العبارة لابن سينا (ت 427هـ)، تحقيق محمود الخضري، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، إيران.

56- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، مطبعة دار المعارف بمصر، ط 1، 1962.

57- العين، الخليل(ت 175هـ) بن أحمد الفراهيدي، تحق د.عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد 1386/1967 .

58- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة- مصر- 2000م.

59- علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، ط 1 ، بيروت، لبنان، 1992.

60- غاية المريد في علم التجويد، عطيه قابل نصر، توزيع دار التقوى، ط 6، 1420هـ - 2000م.

61- الغنة بين القديم والحديث مع تحقيق اللطائف المحسنة في مباحث الغنة للشيخ إبراهيم بن عبد الغفار الدسوقي، د/أبو سعود الفخراني. ط 1 (1411هـ–1991م) مط الأمانة، القاهرة، مصر.

62- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية د غالب فاضل المطلبي، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والإعلام سلسلة دراسات، دائرة الشؤون الثقافية والنشر دار الحرية للطباعة، ط 1984م .

63- في الدّراسات القرآنية واللغوية-الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط 3، 1403هـ -1983م.

64- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، 1980.

65- فصول في علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرّذيني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

66- فقه اللغة و أسرار العربية، أبو منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

67- القانون في الطب لابن سينا (ت 427هـ) أبي علي الحسين بن علي، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1420هـ 1999م.

68- القسطاس في علم العروض، الزمخشري تحق د فخر الدين قباوة المكتبة العربية حلب سوريا ط 1 1977.

69- القراءات وأثرها في علوم العربية د محمد سالم محيسن ط 1404/1984 دار الاتحاد العربي للطباعة.

70- القراءات القرآنية تاريخ و تعريف، عبد الهادي الفضلي، دار العلم للملايين، بيروت 1981.

71- القراءات القرآنية (تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها)، عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، إشراف و مراجعة و تقديم أد/ مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلا مي.

72- القراءات القرآنية نشأتها، أقسامها، حجيتها، خير الدين سيب، دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

73- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ، مط دار المعارف، ط 1، 1965.

74- الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطبع وللنشر، الفجالة، القاهرة، مصر .

75- الكتاب، لسيبويه(ت 180هـ) أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحق عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1395هـ - 1975.

-الكتاب طبعة بولاق.

76- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محمد محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بيروت لبنلن، ط 5- (1418هـ 1997م) .

77- الكلمة،دراسة لغوية ومعجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، طبعة 1980.
78- لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة مصورة عن طبعة بولاق مع تصويبات وفهارس متنوعة. المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- لسان العرب، ط 1، دار صادر، دار إحياء التراث العربي.
79- لغة القرآن الكريم ، د.عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط 1، 1401 هـ.
80- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د/ عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.
81- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1973م.
82- اللغة ، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.
83- اللهجات في الكتاب لسيبويه(ت 180هـ) أصواتا وبنية، تأليف صالحة راشد غنيم آل غنيم، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع،جدة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1405هـ -1985.
84- محاضرات في اللغة، عبد الرحمن أيوب، مطبعة المعارف، بغداد 1966م.
85- المحتسب في تبيان وجوه شواد القراءات و الإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني،تحق،علي النجدي ناصف، و د/عبد الحليم النجار، و عبدالفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1999م.
86- المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني(ت 444هـ)، تحق عزة حسن، مط دمشق 1960.
87 - مخارج الحروف وصفاتها أبو الأصبع السهاتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان (تبعد 560 هـ)، تحق محمد يعقوب تركستاني مركز الصحف الإلكتروني بيروت 1984.

88- المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1968.

89- المدخل إلى علم الأصوات، صلاح الدين صالح حسنين، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر، ط 1989م.

90- مرشد المريد إلى علم التجويد، د/ محمد سالم محيسن، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1986، دار الغد العربي القاهرة، مصر.

91- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، سهاب الدين عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة(ت 665هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1- (1395هـ - 1975م).

92- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي العلي الخليل(ت 175هـ)، منشورات جامعة مؤتة ، 1413هـ/ 1993م.

93- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1998.

94- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي، د/محمد رشاد الحمزاوي الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1987.

95- معاني القرآن، الفراء يحي بن زياد، تحق/ محمد علي النجار، ط 2، عالم الكتب بيروت لبنان، 1955.

96- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة جمال للنشر، بيروت، لبنان.

97- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن زكريا بن فارس، تحق/ عبد السلام هارون، ط 1399هـ - 1979م ، دار الفكر.

98- المغني في أبواب التوحيد والعدل، إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي، ج 7 ، خلق القرآن، قوم نصه إبراهيم الأبياري، بإشراف د. طه حسين، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة.

99- المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحق/ محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية.

100- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحق/محمد عبد الخالق عظيمة، دار التحرير للطبع والنشر، ط 1385هـ، القاهرة، مصر.

101- مقدمة تهذيب اللغة، أبو منصور الزهري، تحق بسام عبد الوهاب الجابي، ط 1، 1985، دار البصائر، دمشق، سوريا.

102- الملخص المفيد في علم التجويد، محمد أحمد معيد، مط دار السلام، القاهرة، مصر، ط 4، (1418هـ-1998م).

103- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ملتزم الطبع مكتبة الانجلو المصرية، 1374هـ/1955م.

104- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحق محمد حبيب الله الشنقيطي، وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

105- المنصف في شرح الإمام أبو الفتح عثمان بن جنيّ النحوي لكتاب التصريف الإمام أبو عثمان المازني النحوي البصري، تحق/أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ط 1 1379 هـ - 1960م.

106- منطق الشرقيين لابن سينا (ت 427هـ)، قدم له شكري النجار، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 1، 1982.

107- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت 1400 هـ، 1980م.

108- موسيقى الشعر العربي، شكري عياد، دار المعرفة، ط 2، 1978م.

109- الموضح في التجويد، تأليف عبد الوهاب بن محمد القرطبي(ت 461هـ)، تحق الشيخ جمال محمد شرف ، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط 1، سنة 1416هـ - 2005م.

110- النشـر فـي القـراءات العشـر، أبـو الخيـر محمـد بـن محمـد الدمشـقي الشـهير بـابن الجزري، أشرف على تصحيحه و مراجعتـه للمـرة الأخيـرة فضـيلة الأسـتاذ علـي محمـد الضباع ،شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

111- النفس لابن سينا (ت 427هـ)، تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس.

112- نظرية تشومسكي اللغوية لجون ليـونز، ترجمـة وتعليـق علـي جليـل، الإسـكندرية، مصر، 1995.

113- النهاية في غريب الحديث والأثر محي الـدين بـن الأثيـر، تحـق طـاهر أحمـد زاوي ومحمود الطناجي، ط 1، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، 1963م.

114- الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، منشورات دار الشرق، ط 2.

الرسائل الجامعية:

1- الإدغام عند سيبويه(ت 180هـ) وابن جنيّ، رسالة ماجستير، محمـد مالـك، جامعـة وهران 2000-2001.

2- الأسلوب والأداء، دراسة صـوتية تباينيـة فـي القـراءات القرآنيـة، رسـالة دكتـوراه، إعداد سيب خير الدين، جامعة تلمسان، 2003-2004.

3- الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، مكي درار، رسالة ماجستير، جامعة وهران 1984-1985.

4- الصـوت والدلالـة فـي خطـاب البشـير الإبراهيمـي: عيـون البصـائر نموذجـا، رسـالة ماجستير، إعداد احمد عزوز، جامعة وهران، 1991/1992.

5 -ظـواهر التشـكيل الصـوتي عنـد النحـاة واللغـويين العـرب حـتى نهايـة القـرن الثـالث الهجري، رسالة دكتوراه دولة في اللغة، إعداد المهدي بوروبة، جامعة تلمسان.

الدوريات:

1- مجلة اللسان العربي، عدد 19، الرباط - المغرب، سنة 1982.

مراجع باللغة الفرنسية:

- Dictionnaire de Linguistique, Dubois, Jean et al. Librairie Larousse, Paris,1973
.Eléments de linguistique générale, A. Martinet, A. Collins, Paris, 1980 -
- Introduction à la linguistique, H. A. Gleason, Librairie Larousse, Paris 1969,

مواقع على شبكة الإنترنت:

1- صوت الهاء في العربية، إبراهيم كايد محمد، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الملك فيصل، الأحساء، بحث منشور على شبكة الإنترنت على الموقع: http://www.moudir.com/vb/showthread.php?t=59993،
2- حديث رقم 5773 الباب الاستئذان من أجل البصر 17/467 فتح الباري لابن حجر موقع الاسلام أون لاين islamonline.

الفهرس

الإهداء

شكر وتقدير

مقدمة...أ

تمهيد: إرهاصات الدرس الصوتي العربي...1

الفصل الأول: الصوت الطبيعي واللغوي...18

- الصوت ومفهومه...19

-الصوت الطبيعي والعوامل المؤثرة فيه...25

أ- الصوت مدرك...25

ب- الصوت عرض...25

ج- الأصوات غير المتماثلة...26

د-الأصوات ليست صفات...27

هـ التضاد في الأصوات...27

و-الانتقال والديمومة في الصوت...28

- مصدر الصوت...31

- أسباب حدوث الصوت عند ابن سينا...33

أ- القرع...33

ب- القلع...34

أولا: التموج...35

ثانيا: الحركة...37
- مفهوم القراءة والتجويد والترتيل...44
1- القراءة...
44..
2- التجويد...
53..
3- الترتيل ....
65..
- صفات القراءة الصحيحة...68

الفصل الثاني: الجهاز النطقي عند علماء القرن الخامس الهجري............................71
- أنواع الأعضاء...72
أ- مُصدر الصوت -الجهاز الناطق- 74
- الرئتان...74
- القصبة الهوائية...77
- الحنجرة...78
عمل الحنجرة وحركاتها ودورها في إصدار الصوت...82
عضلات الحنجرة عند ابن سينا...84
- الحلق...88
- مكونات الحلق...90
أ- اللهاة...90
ب- اللوزتان...90
ج- الغلصمة...91
- الفم...93
- الحنك...94
- اللسان...95
- الأسنان...101

- الشفاه..104
- الخياشيم..105
- الجوف...107
- الوتران الصوتيان...108
ب- مستقبل الصوت- الجهاز السمعي-...109
- موقع السمع عند ابن سينا...111
- معوقات التواصل انطلاقا من عيوب النطق والسمع...112
- عيوب النطق الناتجة عن خلل في جهاز النطق..113
- العادات النطقية...125

الفصل الثالث: صفات الحروف عند علماء القرن الخامس للهجرة........................134
- الصفات..135
- الصفات الأساسية..138
- الشدة والرخاوة..138
- الجهر والهمس..151
- الصفات الثانوية..159
- التكرار..161
- الصفير..162
- الإطباق والانفتاح..164
- الاستعلاء والاستفال...167
- حروف الذلاقة والمصمتة..168
- الحروف الصم...173
- الانحراف..174
- الحرف المستطيل..174
- التفشي...175
- الهاوي...176
- الحروف الممدودة..177

- حرفا اللين...178
- الحروف الهوائية..178
- الحروف الخفية..179
- حروف العلة..180
- حروف الإبدال..181
- الحروف الزوائد..182
- الحروف المذبذبة...182
- الحروف الأصلية...182
- حروف القلقلة...183
- الحروف المشربة...186
- حروف التفخيم..189
- الإمالة..193
- الحرف الجرسي...197
- الحرف الراجع..199
- الحرف المهتوف...199
- صفات المخارج عند القيسي...202
- الحروف الحلقية...202
- الحروف اللهوية...202
- الحروف الشجرية..202
- الحروف الأسلية...203
- الحروف النطعية...203
- الحروف اللثوية...203
- الحروف الذلقية..203
- الحروف الشفهية...204
- الحروف الجوفية...204
- الحروف الهوائية..204

الفصل الرابع: مخارج الحروف عند علماء القرن الخامس للهجرة...................205
- مخارج الحروف 206

- الصوامت..213
- الهمزة..213
- خصائص الهمزة النطقية والخطية...216
- الهاء..217
- الألف..218
- العين..223
- الحاء..225
- الغين..225
- الخاء..227
- القاف..228
- الكاف..230
- الجيم..232
- الشين..233
- الياء..235
- الضاد..236
- اللام..238
- النون..240
- الراء..242
- الطاء..242
- الدال..243
- التاء..244
- الصاد..245
- السين..247
- الزاي..248
- الظاء..249
- الذال..251
- الثاء..252
- الفاء..253
- الباء..254

- الميم..255
- الواو..257
- حرفا الغنة..257
- المصوتات...265

الفصل الخامس: اللفظ والصوت بين الإفراد والتركيب..................................270
- التبدلات النطقية للصوت الواحد..271
- الدلالة الصوتية وأساس التواصل اللغوي..287
- دلالة المنطوق...287
- اللفظ والمفرد والمعنى المفرد..295
- المعنى الكلي والمعنى الجزئي...296
- المقطع 298
- مفهوم المقطع...298
- أنواع المقاطع...306
- النبر والتنغيم...317
1 - النبر...317
2- التنغيم..325
الخاتمة..335
المصادر والمراجع..341